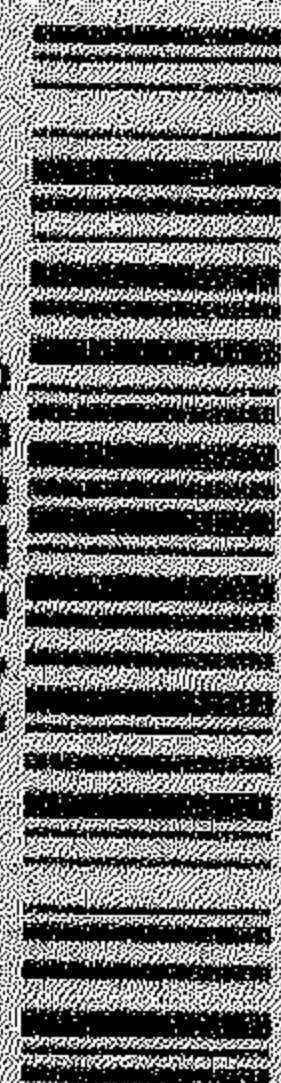




Bibliotheca Alexandrina



0097066

الحیث فی مصر القدیمہ

دکتور عبدالرحمن زکی

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

لكل أمة من أمم العالم — عدا تاريخها السياسى والاقتصادى — تاريخ حربى يتألف من المعارك العسكرية المتتابعة التى حارب فيها الشعب ، ويتضمن هذا التاريخ أحوال جيوشها أو تطورها والوقائع التى خاضتها والقادة الذين أبلوا فيها ، وما الى ذلك من شئون تتصل بالحياة العسكرية ويلخص من ذلك دروس قومية يتلقاها الخلف عن السلف .

لقد أهملت دراسة للتاريخ الحربى للبلاد العربية ، ولا تزال بعض حلقات للتاريخ الحربى المصرى مفقودة لم يتناولها باحث أو منقب . فالمعارك التى خاض أوارها المصريون ، منذ فجر حياتهم ظلت غامضة ، شأنها كطلاس القدماء ، ومع أن الحوادث العسكرية لو تمحصت وجرت عليها البحوث بصورة فنية علمية ، لتبدد من حولها الغموض ، ولكنها عاملا دائما شأن فى صقل الروح الوطنية بين شبيبة البلاد . فلا ريب أن تواريخنا العسكرية إن لم تكن قد فاقت أمثالها فى تاريخ الأمم الأخرى ، فلا تقل عنها خطورة .

نهض الجيش الوطنى منذ تكوينه بأروع الواجبات . وصلة هذا الجيش بتاريخ مصر — وثيقة منذ ستة آلاف عام . وهذه المدة على وجه التقريب هى أيضا تاريخ الجيش المصرى . فقد عاشت مصر أمة مستقلة ذات سيادة خلال معظم تلك السنين الطوال بفضل زعمائها من رجال الإدارة والجيش وبجهود شعبها الحى .

وقد ساعد الموقع الجغرافى بمصر مساعدة عظمى — فكان من أشق الأمور واصعبها إغارة الجيران القدامى وكانت صحراء ليبيا أو سيناء أو النوبة ، إلى حد ما عائقا يقف عقبة امام الغيرين عليها — على حين أن سواحلها الشمالية لم تعرضها لآى خطر كبير .

ففى ذلك العهد ، لم يكن لمصر اعداء لهم اساطيل قوية تهاجم شواطئها . اما الأقوام الذين يقطنون وراء حدودها الشرقية والجنوبية ، فانهم كانوا أقل منها مدنية وثقافة وقوة ، فكان خطرهم بتهديد سلامتها شيئا لا يحسب له حساب . ثم نهض المصريون للحفاظ على رقعة وطنهم ، وكانوا فى ذلك مدفوعين بغريزة الحرص على الحياة ، والدفاع عن النفس ، فانطلقت الجيوش المصرية إلى هضاب آسيا الصغرى ، ورواى سورية ، وبادية شبه الجزيرة ، والصحراء الليبية ، واعالى النيل .

ولم تكن المراحل التاريخية التى مرت بمصر مراحل كلها مراحل تقدم وظفر ونصر فحسب ، بل مرت بها ايضا فترات خمول كالتى مرت على جميع دول العالم التى سادت فى يوم من ايامها أو تسود اليوم ، فكما لا يغيب عن البال لا توجد أمة خلقت قوية أو ظلت محتفظة بحيويتها طوال حياتها ، فهى فى ذلك كالفرد يتعرض للعامل والأمراض ، أى عوامل الضعف والوهن . ومصر إحدى هذه الأمم ، غزاها أقوام ، كان اولهم بدو سيناء ، فالهكسوس ، فدانت لهم الأرض المصرية ، ولكن لم تعترف بسلطانهم على النفوس ، وبعقب احتلالهم بعث ونهوض ، فأضاف المصريون تراثا جديدا ، وادركوا أين وكيف يحمون دولتهم .

فن مجهل الجندى المصرى ، الذى نسج لوادى النيل تاريخا من اظهر تواريخ الأمم على الاطلاق ، وخلف تراثا سيطل معينا للفخار على الأيام ؟

حارب المصرى فى آسيا وإفريقية وأوروبا . فوطئت قدماه أرضها ، وامتطى ظهر مياها ، وامتزجت دماؤه بتربتها ، وخلد ذكرى قلما يدانيها جندى مثله ، فقد حمل الجندى أعلام النصر ، والأمم كلها تقية فى بيداء الجهالة .

أقتاد هؤلاء الرجال — رجال أمثال مينا وأحمس وتحتونس ورمسيس
وبسماتيك وصلاح الدين وابن طولون ويبرس وقطر وقـلاون وعلى الكبير
وابراهيم وغيرهم .. فكان كل منهم يضيف نصراً على نصر ، ومجداً إلى مجد ..

ولماذا نرتد إلى الماضي البعيد ، لنستمد الصفحات الناصعة ، ونسترجع
الذكريات الخالدات ؟ ألم يرفع هذا الجندي ، أعلام نصره على روابي كريت
واليونان والأناضول ، وما جاورها من البلدان ؟ أنسينا أن بفضل هذا الجندي
المخلص امتدت حدود بلادنا إلى منابع النيل التي اكتشفها رجالنا ، كما أسنطالت إلى
سواحل المحيط الهندي . أنسينا أن أباطرة وملوكا استنجدوا بالجيش المصري في
معارك شتى ، بعد أن باءت قواتهم بالفشل .

ودعنا نحدثك بعض الشيء عن هذا الجندي — فعلى عاتق جنود أبناء النيل ،
عاشت مصر مثلما تعيش أمة مستقلة ، ومن هذا الوادي الأخضر تدفقت الجيوش
المصرية رافعة علمنا الخالد .. لا تستحها رغبة التوسع على حساب الآخرين ،
ولا تلهيها سياط السوء للاعتداء على المجاورين .. لا . فان المصريين — في شق
حروبهم — كانوا أبداً دائبين للوصول إلى حدودهم الطبيعية ليأمنوا غزوات
المعتدين أو نقض المتعاقدين أو من أجل الدفاع عن حليف ..

كانت الجنديّة ، في مصر القديمة ، في طبيعة المهن التي تسبغ الشرف على صاحبها ،
وتمنحه ميزة — إن لم تكن ميزات — على أقرانه . بل أكثر من ذلك أن الجندي
حظى بالتقدير والاحترام مثلما حظى الكاهن نفسه ..

وامعانا في السمو بروح الجنديّة ، ظلت وقفاء على طبقات خاصة من الشعب ، كما
ظلت مستأجرة بسمعتها وقيمتها ، وأن كان هذا لم يمنع أن تكون خدمتها إجبارية
في الظروف الطارئة ، وهي كما لا يخفى — ظروف الحرب .

وغنى عن القول إن أعمال الجيش آنذاك كانت تحمل محل الإعجاب والتقدير ،
وتستهوى في القلوب موضع الحب .

ومثل هذه الحقيقة تتبدى بجلاء حين نشاهد النقوش الأثرية مشتملة صورة الفتية ، وهم يتنقلون في صفوف منتظمة ، او في اخية التدريب ، يعدون او يتلقون دروس الرماية بالقوس ، او الطعن بالحرا ب . ولما عرفت مصر ميزات الأسلحة المدرعة والسريعة ادخلتها في جيوشها ، ودربت جندها على استخدامها .

بل ان هذا الإجلال الذى بسطته الدولة على الجندية جعلت الشباب يطمح فيها ، ولا ينفك يسعى اليها . فلم يك بدعا ان تموج المدن المصرية ، فى ايام الفراغة ، بالشبيبة المتوقدة حماسة ونشاطا ، الزاخرة بالأقدام وحب الجندية .

واننا كلما نتأمل فى متباين تمارين القتال البادية على النقوش الأثرية كلما تمثل قبالتنا صورة وضاعة لأمة حربية ألقت الحرب لأنها آمنت بأن العيش السعيد لا يتأتى إلا فى ظل النصر .

وليس هذا فحسب كل ما أحرزه الجنود المصريون من مزايا ، فقد منحهم الملوك اشتاتا من المزايا ، لم يشاركهم فيها احد من الطبقات الأخرى سوى رجال الدين . فقد جرى على منح الجندى الذى يذود عن حياض الدولة ويرفع علمها الظافر ماينوف على عشرة أفدنة معفاة من الضرائب . يستغيا اهله إذاولى وجهه سطر ميدان الجهاد فتقتات منها الزوجة والأبناء طيلة فترة غيابه ، فى سورية او النوبة او الصومال او ليبيا ... فاذا عاد من حومة الوغى خلع عدة القتال وأسلحته ، وركن إلى مزرعته . حتى إذا ماناداه الفرعون لسكى يشمر عن ساعده التى الجندى فأسه جانباً وتقلد سلاحه وغادر ارضه إلى حيث يكافح ويناضل .

ولعل مايقال من ان الجنود المصرية كانت تمتلك ثلث الأراضى الزراعية ، على عهد حكم اسرة سنوسرت مايكفى للدلالة على صدق مارويناه .

ومن الامتيازات التى كان يتمتع بها الجندى المصرى ايضا ، ان لا يودع السجن إذا لم يدفع دينا فى عنقه ، ولا يتولى القبض عليه رجال السلطة المدنية ، بل كانت جل شؤونه يهيمن عليها العسكريون . وكان كل جندى يحافظ على جميع ادوات القتال

الضرورية كما يحافظ عليها الجندي السويسري اليوم . فقد كان على أهبة القتال لدى نداء الوطن ، او حينما يستدعى لتأدية الخدمة العسكرية ، في إحدى الحاميات او قلاع الحدود . ولم يك ليقبض على الجندي لغير جنايتي السرقة والقتل بشرط أن يضبط متلبسا بارتكاب ايهما .

وفي مصر الفرعونية لم ينقد الجندي أجرا ما ، ولكن إذا انطلق للحرب كانت توزع عليه إدارة الجيش طعامه وشرابه . ولم تصل اليها مقادير الكميات التي كان يتناولها الجندي ، ونظن أنه كان يتساوى وجندي الحرس الملكي الذي كان يتلقى تعيينا يوميا مؤلفا من رطلين من لحم البقر وخمسة أرطال من الخبز وكمية من الشراب . ومثل هذه الكمية — بلا مرء — وفيرة للغاية ، يحسده عليها جندي اليوم ، وفي أي جيش .

وكان حط الجندي المصري من الغنائم يجري بطريقة عادلة ، فبعد انتهاء المعركة يبدأ المسجلون (السكتبة) في إحصاء أكوام الأيدي التي تقطع من اجساد القتلى من الأعداء ، وعندما يتم هذا تصنف الغنائم وتوزع على الجنود بما يناسب نصيب كل وحدة من قتلى الغرماء ، وما يتبقى من الغنائم من الأسلحة والنفائس فيجمعها الحراس ويعاد احصاؤها ، ومن ثم تنقل إلى مصر ليشهدها الشعب عن كتب .

ولا يغرب عن الفكر ، ان الجيش المصري كان اول جيوش العالم في استخدام الموسيقى ليسيير الجند على انغامها ، في خطى متزنة ، يمين شمال يمين شمال . وكان الجندي المصري اول من استخدم وسائل التخفية (الكاموفلاج) لكي لا يظهر للعدو في وضوح فكان يغطي غطاء رأسه وملابسه واسلحته وعربته وجواده ، بطلاء ملون في غير النسيج وعلى نسق ما يفعل اليوم الجند في عرباتهم المسلحة ودباباتهم وعتادهم الحربي .

ومما يجعل ذكره ان كلمة « نفر » التي يعرف بها جندي اليوم كلمة فرعونية (Nefer) ، كانت تطلق على الجندي ومعناها الشاب الصالح — وكلمة امير التي تطلق على قائد الوحدة الكبيرة ترجع إلى كلمة امير . فشلا يعادل رتبة لواء لفظة « اميرا ميشا » .

وفي بداءة الفتح العربي لم يشترك المصريون في القوات الدفاعية ، وربما انتهج العرب تلك السياسة خوفاً من أن يحبى المصريون روح القومية المصرية على حسابهم وأن يقوموا بطردهم من بلادهم متى سنحت لهم الفرصة . ولكن بمرور الأيام اندمج المصريون ، وقد دخلوا في دين الله أفواجا ، في الجيش الاسلامي ، وصاروا من اظهر عناصر الجهاد . وقد حرم الخليفة على الجنود بمصر — وفي سائر الأقاليم المفتوحة الاشتغال بالزراعة أو امتلاك الأرض ، لئلا يركنوا إلى الكسل ويسيطر عليهم حب المال ومتاع النعيم . والحق ان العرب بهرتهم ثروة البلاد التي فتحوها ، وقد بدأ خطر هذه الروح للخليفة عمر بن الخطاب فأراد كبح جماح المجندين لأن واجب الجهاد كان يناديهم في كل مكان ، فلم يرض بتقسيم الأرض بينهم ومنعهم من احتراف الزراعة ، حتى لا يميلوا إلى الرخاء والتقاعد عن الحرب ، وحتى لا يتوطنوا في اقليم من الدولة الاسلامية ، فيصعب عليهم الانتقال إلى اقليم آخر إذا دعوا لحماية أو فتحه أو الدفاع عنه .

وكتب الماوردي أن من واجبات أمير الجيش ألا يمكن أحدا من جيشه أن يتشاغل بتجارة أو زراعة يصرف الاهتمام بها عن مصابرة العدو صدق الجهاد، وهذا الأمر يراعى تنفيذه إلى اليوم . فان قانون الجيش يحرم على الضباط والجنود ممارسة أية مهنة أو عمل غير الجندي .

وجاء احمد بن طولون، الذي استقل بحكم مصر فأنشأ جيشا كبيرا مدربا وجعل لأفراده ملابس خاصة . وقد ذكر الكندي المؤرخ العربي المعروف ان الجيش الطولوني بلغ في أجمد أيامه مائة ألف مقاتل — ومن المحتمل أن يكون في هذا الرقم بعض المبالغة ، لكننا نجد في تاريخ الكندي أن عدد القوات المصرية التي اشتركت في معركة الطواحين بلغ سبعين ألفا بقيادة خمارويه .

وفي أيام دولتي المماليك البحرية والبرجية ، عنى السلاطين عناية فائقة بتدريب الشبان المماليك وتثقيفهم ثقافة عسكرية بحتة . فقد ارتأوا أن دولتهم لن تقوم إلا اذا وجدت لها سواعد مفتولة ، وقلوباً تملأها الشجاعة والحمية وعقولاً امهرتها الدربة

والمرانة في ضروب الفروسية والقتال . فكان لامناص لهم — والحالة هذه — من الاحتفاظ بقوات على أهبة الاستعداد — أسكنوا قتيانها في ثكنات خاصة بقاعة الجبل أو قلعة الروضة ، وكان يطلق عليها الطباقي .

وكان النظام الذي يطبق عليهم شديدا للغاية ، حتى لقد حرم عليهم النزول الى المدينة إلا في القليل السادر وبصحبه قادتهم ، لكي لا يمتزجوا بالغوغاء . وكان تدريبهم يمر في مرحل ثلاثة ، لا يتجاوز إحداها إلا اذا بلغ مستوى خاصا من التدريب ، والفروسية والثقافة العسكرية .

وقد اضطلع الفرسان المماليك بطائفة من الحروب ، فقصوا على حملات الصليبيين في مصر والشام ، ثم صدوا التتار في عدة حملات أهمها في معركة « عين جالوت » « ومرج الصفر » وناهضوا هجمات الترك في وقائع شتى .. إلى أن تساقطت دولتهم في مرج دابق .

ولما ولي محمد علي حكم مصر ، لم يك في البلاد جيش مصري . فقد تألفت قوات الدفاع من أخلاط متباينة منها : الشركسي ، والألباني ، والكردي ، والغربي ، والتركي فعمل جهده للتخلص من كل هذه الأجناس الشتيتة والغريبة عن وادي النيل وأنشأ الجندي الوطنية من أبناء البلاد الخالص .

وعرف محمد علي أن الجيش هو الدعامة القوية التي يؤسس عليها الدولة المصرية فبذل همه وعزيمته في إنشاء قوات برية وبحرية ، هيا لها المصانع ، وأقام عليها المدارس ، وأعد الثكنات والمصالح المتنوعة .. فجعل من البلاد معسكرا يعج بالجنود والضباط والقادة ، وبعث بالمتقدمين منهم إلى البلدان الأوروبية ليستحذوا على المعلومات المستحدثة ، ويمارسون ألوان الخبرة والتجربة .

وغنى عن التعريف أن جيش مصر ، في أوائل القرن التاسع عشر قد بلغ عشرات الآلاف بين مشاة وفرسان ومدفعين ومهندسين وما إليه . وهذا الجيش قضى عشرات السنين وهو يحارب بقيادة ابراهيم ، في ميادين اجتمعت لها القساوة

والشقة فى نجاد وفلوات بلاد العرب ، وسهول وجبال الشام ، وبطاح الأناضول وفيا فى
السودان ، وأراضى اليونان الوعرة ، وجزر البحر المتوسط وغيرها . . وما كان
يختتم ظفرا إلا ليبدأ ظفرا جديدا حتى تسنى لمصر أن تنطلق حرة من كل حكم
آل عثمان ، بيد أن الاستعمار كان واقفا لها بالمرصاد ، فاحتل البلاد . ولكن روحها
ظلت سليمة ، فلم تحتضر وتذهب هباء ، وواصل أبناء الشعب الكفاح ، وظلوا
يجاهدون ويعملون حتى خلعوا عن وطنهم الذل والهوان وظفروا بالحرية واستعادوا
الاستقلال لوادى النيل .

عبد الرحمن زكى

القاهرة أبريل ١٩٦٧

تمهيد

لكي نوضح للقارىء تتبع المراحل التاريخية التي مر خلالها الجيش المصرى فى عصوره المجيدة ، رأينا أن نقدم للقارىء فى صفحات قلائل الترتيب التاريخى لتعاقب الدول المصرية القديمة والأسرات التى تتابعت على حكم البلاد ، وذلك منذ أن نهض مينا بتوحيد القطرين . البحرى والقبلى ، وقيام الدولة المصرية الموحدة فى وادى النيل (١)

١ - ما قبل الأسرات

كان ثمة مملكتان قبل الأسرة الأولى ، وقد عرفت أسماء عدد قليل من ملوك الشمال ، وملوك الجنوب من لوحة بالرمو .

١ - اختلف المؤرخون فى تقدير تواريخ الأسرات والملوك . والتواريخ المذكورة هنا يمكن اعتبارها تقريبية إلى عام ٥٠٠ ق . م وأن مابعدا لا يكاد يصل إليها الشك .

الدولة القديمة

(ح ٣٢٠٠ — ٢٤٣٠ ق . م)

الأسرة الأولى (٣٢٠٠ — ٣٠٠٠ ق . م تقريبا) :

فاتحوا الشمال من أهل الجنوب ، وموحدو مصر . تأسيس منف . العقرب
أب — نعرمر (يهتمل مينا) — عحامن — ... الخ .

الأسرة الثانية (٣٠٠٠ — ٢٧٨٠ ق . م تقريبا) :

لعل أصلها من الشمال — حتب سخمرى — رع نب كاكاو — نتر ... الخ .

الأسرة الثالثة (٢٧٨٠ — ٢٦٥٠ ق . م تقريبا) :

منف تصبح العاصمة : خع سخمرى بشى (يبي) — زوسر ح ٢٧٠٠ ق . م
فاتح شبه جزيرة سيناء .

الأسرة الرابعة : (٢٦٥٠ — ٢٥٠٠ ق م)

عهد الأهرام الكبرى ، تبلغ الذروة فى السلطان والبنى .
(ح ٢٦٥٠ ق م) ، ويقول بعض رجال الآثار ، إنها تبدأ فى ٢٧٢٠ ق م .

سنفرو

خوفو (كيوبس) (ح ٢٦٠٠ ق . م)

رع دف ؟

خفرع (كفرن) (ح ٢٥٦٠ ق . م)

منكاروع (ح ٢٥٢٥ ق . م)

الأسرة الخامسة : (ح ٢٥٠٠ — ٢٣٥٠ ق . م) :

يقول بعض رجال الآثار أنها تبدأ في ٢٥٦٠ ق.م .
أوسركاف — ساحروع — نفراركدع — أوناس .

الأسرة السادسة : (حوالى ٢٣٥٠ — ٢٢٠٠ ق.م) :

يقول بعض رجال الآثار أنها تبدأ عام ٢٤٢٠ ق م .
تيتى (توتى)
أوسكا (؟)
يبي الأول (ح ٢٣٢٥ ق . م)
مرن رع الأول
يبي الثانى (٢٢٢٥ — ٢١٨٥ ق.م)
مرن رع الثانى ؟

الأسرة السابعة والثامنة والتاسعة والعاشره : (ح ٢١٨٠ — ٢٠٥٠ ق . م) :

فترة الفوضى الأولى — غزو الآسيويين — أسرتان تحكان فى أهناسيا .
أنقسمت البلاد خلالها . وعندما تعود السلطة المركزة (الدولة الوسطى) إلى الظهور
بالأسرة الحادية عشرة تكون طيبة فى الجنوب هى قاعدتها .

(الدولة الوسطى)^(١)

(ح ٢٠٥٠ — ١٨٠٠ ق . م)

الأسرة الحادية عشرة : طيبة (٢١٣٤ — ١٩٩١ ق.م) :

يذكر بعض رجال الآثار أنها تبدأ عام ٢٠٦٥ ق . م أهم ملوكها :
أنتف الأول ، قالتانى — منتوحوتب الأول .

— يعتبر بعض المؤرخين الأسرة الحادية عشرة من أمرات الدولة القديمة .

منتوحتب الثانى (؟ — ٢٠٧٨ ق . م) .

منتوحتب الثالث (٢٠٧٨ — ٢٠٣٠ ق . م) .

منتوحتب الرابع (٢٠٣٠ — ٢٠٠٠ ق . م) .

الأسرة الثانية عشرة : (١٩٩١ — ١٧٧٨ ق . م) :

ويذكر بعض رجال الآثار أنها تبدأ عام ٢٠٠٠ ق . م .

أمنمحت الأول (ح ١٩٩١ — ١٩٧١ ق . م) .

سنوسرت (أو سيزوستريس) الأول

(١٩٧١ — ١٩٣٦ ق . م) .

أمنمحت الثانى (١٩٣٩ — ١٨٩٤ ق . م)

سنوسرت الثانى (١٨٩٧ — ١٨٧٨ ق . م)

سنوسرت الثالث (١٨٧٨ — ١٨٤٠ ق . م)

أمنمحت الثالث (١٨٤٠ — ١٧٩٢ ق . م)

أمنمحت الرابع

سبك نفرو — رع (ملكة)

الأسرة الثالثة عشرة و الرابعة عشرة والخامسة عشرة والسادسة عشرة (ح ١٧٥٠ ق م)

فترة فوضى كاسحة وتفقد فيها طيبة سلطتها ، ويفد غزاة من الشرق . وأخيرا
تحكم مصر كلها تقريبا أسرتان من الملوك الهكسوس (الرعاة) الأجانب .
(١٧٨٨ — ١٥٨٠ ق . م)

الاسرة السابعة عشر : (١٦٦٠ — ١٥٧٠ ق . م)

استقل بالحكم فرع من ملوك طيبة فى أيام آخر ملوك الهكسوس ويسدأ
النضال النهائى فى عهد سكنن رع الثالث .

سكنن رع الأول (١٦٣٥ — ١٦١٥ ق . م)

وفى تقدير آخر (١٦٠٠ — ١٥٨٥ ق . م)

سكنن رع الثانى	(١٦١٥ — ١٦٠٥ ق . م)
سكنن رع الثالث	(١٦٠٥ — ١٥٩١ ق . م)
وزخبر رع كاموزا	(١٥٩١ — ١٥٨١ ق . م)
سنخت أن رع	(١٥٨١ — ١٥٧٠ ق . م)

الدولة الحديثة

(١٥٧٠ — ٦٦٣ ق . م)

الاسرة الثامنة عشرة : (١٥٧٠ — ١٣٠٥ ق . م)

أحمس (احموزا - أمازيس) :	(١٥٧٠ — ١٥٤٥ ق . م)
أمنمحتب (أمنوفيس) الاول :	(١٥٤٥ — ١٥٤٥ ق . م)
تحوتمس الاول	(١٥٤٥ — ١٤٩٥ ق . م)
تحوتمس الثانى	{ (ح ١٤٩٥ — ١٤٦٨ ق . م)
حتشبسوت (ملكة)	
تحوتمس الثالث	
تحوتمس الثالث	(١٤٦٠ — ١٤٣٦ ق . م)
أمنمحتب الثانى	(— ١٤٢٠ ق . م)
تحوتمس الرابع	(١٤٠٦ — ١٣٩٨ ق . م)
أمنمحتب الثالث	(١٣٩٨ — ١٣٦١ ق . م)
اخناتون (أمنحتب الرابع)	(١٤١١ — ١٣٧٥ ق . م)
سمنكارع	(١٣٥٨ — ق . م)
توت عنخ آمون	(١٣٥٨ — ١٣٥٣ ق . م)
آى	(١٣٥٣ — ١٣٥٠ ق . م)

الأسرة التاسعة عشرة : (ح ١٣٤٢ — ١٢٠٠ ق م) :

عهد جديد عقب ما أحدثه الملك اخناتون

ح ١٣٤٢ — ١٣٠٣ ق م (١)	حرمحب
ح ١٣٠٣ — ١٣٠٢ ق م	رمسيس الأول
(١٣٠٢ — ١٢٩٠ ق م)	سيتي الأول
(١٢٩٠ — ١٢٢٤ ق م)	رمسيس الثاني
(١٢٢٤ — ١٢١٤ ق م)	مرينتاح (منفتاح)
(الاثنان ١٢١٤ — ١٢٠٩)	أمن سيس ، سابتاخ
(١٢٠٩ — ١٢٠٠ ق م)	سيتي الثاني

الأسرة العشرون : (ح ١٢٠٠ — ١٠٩٠ ق م) :

ست نخت من أسرة رمسيس / ٢ يعيد النظام بعد فترة وجيزة من الفوضى .
حكم في خلالها أرسو بضع سنوات . ضياع الإمبراطورية المصرية في سورية .

(١١٩٧ — ١١٩٥ ق م)	ست نخت
(١١٩٥ — ١١٦٣ ق م)	رمسيس الثالث
(١١٦٤ — ١١٥٧ ق م)	رمسيس الرابع
(١١٥٧ — ١١٥٣ ق م)	رمسيس الخامس
(١١٥٣ — ١١٤٩ ق م)	رمسيس السادس
(١١٤٩ — ١١٤٢ ق م)	رمسيس السابع

١ — يعتبر بعض المؤرخين ان الملك — القائد حورمحب آخر ملوك الأسرة الثامنة عشرة ،
وأن الأسرة ١٩ تبدأ في عام ١٣١٤ بالمائيد رمسيس الأول .

رمسيس الثامن	(١١٤٢ — ١١٣٨ ق.م)
رمسيس التاسع	(١١٣٨ — ١١١٩ ق.م)
رمسيس العاشر	(١١١٩ — ١١١٦ ق.م)
رمسيس الحادى عشر	(ح ١١١٦ — ١٠٩٠ ق.م)
رمسيس الثانى عشر	(ح ١٠٩٠ ق.م)

الأسرة الحادية والعشرون : (ح ١٠٩٠ — ٩٤٥ / ٩٥٠ ق.م) :

لمامات رمسيس ١١ استولى حر حور الكاهن الأعظم على السلطة وأسس أسرة الملوك السكينة . وفى تلك الأثناء استقل بالملك أمير من أمراء تنيس يسمى شمنس (نسوبا بندد) ، واحتفظت طيبة باستقلال مهدد .

الأسرة الثانية والعشرون : (٩٤٥ / ٩٥٠ — ٧٤٥ ق.م) :

مؤسس هذه الأسرة من نسل بعض الجنود المرتزقة الليبيين وقد اختيرت ببساطة حاضرة للملك .

شيشنق الأول	(٩٤٥ — ٩٢٥ ق.م)
أوسركن الأول	(٩٢٥ — ٨٨٩ ق.م)
أوسركن الثانى	(٨٨٩ — ٨٦٥ ق.م)
شيشنق الثانى	(٨٦٥ — ٨٥٠ ق.م)
يوبوت	(٨٢٥ — ٨٢١ ق.م)
شيشنق الثالث	(٨٢١ — ٧٦٩ ق.م)
باماي	(٧٦٩ — ٧٦٣ ق.م)
شيشنق الرابع	(٧٦٣ — ٧٥٥ ق.م)
أوسركن الرابع	(٧٥٥ — ٧٤٥ ق.م)

الأسرة الثالثة والعشرون : (ح ٧٤٥ — ٧١٨ ق.م) :

في عهد أوسركن الثاني تولى فرع أصغر من البيت اللوبي منصب كاهن آمون الأعظم في طيبة ، فكانت منه الأسرة الثالثة والعشرون .

الأسرة الرابعة والعشرون : (ح ٧١٨ — ٧١٢ ق.م) :

الأسرة الخامسة والعشرون : (٧١١ — ٦٦٣ ق.م) :

هبط شباكا الذي اشترك مع بعنخي النوبي من حوالي ٧٢٥ ق . م على مصر واسترد سيادة النوبة وأسس الأسرة الأثيوبية .

شباكا	(٧١١/٧١٥ — ٧٠٠ ق.م)
شاباتاكا	(٧٠١ — ٦٨٩ ق . م)
طهارقة	(٦٨٩ — ٦٦٦ ق . م)
تانوت آمون	(٦٦٦ — ٦٦٣ ق . م)

الأسرة السادسة والعشرون : (٦٦٣ — ٥٢٥ ق.م) :

في عهد طهارقه خضعت لملكي آشور المتعاقبين عزر هرون وآشور بانيبال حاول طهارقه وخلفه أن يطرد الاشوريين ولكنهما فشلا . وأقام آشور بانيبال بسمتيك حاكما في ساو بعدفتن واضطرابات . وفي هذه الأسرة ومضت ومضة أخيرة من الانتعاش الحربي .

بسمتيك الأول	(٦٦٣ — ٦٠٩ ق . م)
نخاو	(٦٠٩ — ٥٩٣ ق . م)
بسمتيك الثاني	(٥٩٣ — ٥٨٨ ق . م)
واحبرع	(٥٨٨ — ٥٦٩ ق . م)
أحمس	(٥٦٩ — ٥٢٦ ق . م)
بسمتيك الثالث	(٥٢٦ — ٥٢٥ ق . م)

الأسرة السابعة والعشرون : (٥٢٥ — ٤٠٤ ق.م) .

يفتح قبيز مصر (٥٢٥ — ٥٢١ ق . م) ويحكمها ملوك سن الفرس يتخذون
الألقاب القديمة .

الأسر ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ : (٤٠٤ — ٣٤١ ق.م) :

استرد بعض الأمراء شيئاً من الاستقلال حيناً بعد حين . كان نقطانب من الأسرة
الثلاثين آخر ملك وطنى حكم مصر . واسترد اخيراً الفرس السيطرة التامة على البلاد
حوالى سنة ٣٤٠ ق . م ويعد دارا . الثالث الفارسي (اردشير) مؤسس الأسرة
الحادية والثلاثين .

البطالمة

(٣٠٥ — ٣٠ ق . م)

انتزع الاسكندر الأكبر مصر من دارا الثالث (٣٣٢ ق . م) وحكم خلفاؤه
فيليب اريد ايوس ، واسكندر الثانى والبطالمة وفي جملتهم كايوباترة (٥١ — ٣٠ ق.م)
البلاد فى الاسكندرية حوالى ٣٠٠ سنة . واخيراً آلت مصر إلى الامبراطورية
الرومانية (٣٠ ق.م) ، فالبيزنطية ، ثم انتزعها العرب عام ٦٣٩ بقيادة عمرو بن العاص .

القسم الأول

الجيش فى مصر القديمة

المقصود بالجيش ، مجموعة الأفراد المسلحين والمنظمين الذين يسكلفون بأعمال القتال البرية . ويتألف من الأفراد الذين يتدربون عسكريا للدفاع عن الدولة . ويطلق هذا التعريف العام على جميع الذين يحترفون مهنة الجندية ويتخذونها عملا مستديما ، وكذلك أفراد قوات الاحتياط الذين يدربون على القتال . وقد تطورت فى خلال التاريخ نظم الجيوش تبعا لتغير النظم الاجتماعية والعقائد السياسية عند الشعوب . وأخذت الجيوش تبعا لذلك أنماطا مختلفة على مر العهود ولا يخفى أيضا مدى ما كان لتطور الأسلحة من آثار على تنظيم الجيوش ، فضلا عن التطور التكنولوجى فى زمن من الأزمنة ، كانت المشاة عماد الجيش ، وفى زمن آخر استبدلوا بالفرسان المسلحين . ونرى اليوم المدرعات الميكانيكية هى التى يقع على عاتقها أعنف مراحل القتال . وكانت الجيوش فى بعض العصور تؤلف من الجنود المحترفين أو المتطوعين أو المرتزقة . . هؤلاء الذين يحاربون سعيا وراء الغنائم والحصول على المال أو الشهرة وللغامرة . وفى بعض الأزمنة تألفت الجيوش من الوطنيين الذين يقاتلون فى سبيل الدفاع عن أوطانهم ومن أجل المثل العليا . وهؤلاء يعتبرون القتال حفا لهم وليس واجبا .

وهكذا تنوعت وتطورت نظم الجيوش بين الشعوب ، مواكبة تطورات الأحوال الاجتماعية فى العالم . ولقد كانت مصر منذ القدم أسبق الأمم فى تكوين الجيوش للنظمة والمدرسة منذ أيام الدولة القديمة .

وقبل أن نتحدث عن أحوال الجيش منذ أقدم عصور مصر التاريخية ، ينبغي أن نلم بالمراحل التي مرت بها البلاد في العصر العتيق (ما قبل التاريخ) . وقد أوجز المؤرخون تلك المراحل في أربع هي ، الآتية :

١ — كانت البلاد منقسمة إلى مملكتين : مملكة الشمال وعاصمتها بوتو (بالقرب من دسوق) ، ومملكة الجنوب وعاصمتها نحن (الكوم الأحمر بمركز ادفو) .

٢ — بعد أن استولت مملكة الشمال على الجنوب ، وحدثت البلاد وكانت كل فترة من هاتين الفترتين طويلة جدا .

٣ — توصل الجنوب في فترة يصعب تحديدها إلى التمرد على الشمال ، وفي خلال هذه الفترة حكم الملكان عقرب ، ونعرمر .

٤ — توحدت مصر من جديد ، لكن ملوك الجنوب هم الذين كانت لهم الغلبة هذه المرة على ملوك الشمال . ومنذ ذلك الوقت دخلت مصر في الحقبة التاريخية . وبدأ عصر الأسرات المصرية .

ومن المحتمل أنه كانت هناك محاولات في سبيل توحيد مصر قبل مينا ، بيد أن تلك الوحدة لم يكتب لها الاستمرار . أما وحدة مينا أو « نعرمر » فهي التي بقيت واستقرت ، وجمعت مصر دولة واحدة ، تولى أمرها عدد كبير من الأسرات المصرية حتى فتحها الفرس واسكندر الأكبر .

وفي خضم تلك الأحداث ، أصبح للعسكريين قطاع هام في المجتمع وكانوا مجندون من أفراد جميع الطبقات ، ولذلك لا يمكن اعتبارهم طبقة ممتازة أو مميزة عن غيرها . أما بعد وحدة البلاد ، فمن المحتمل جدا أن يكون المحاربون جميعا من شعب البلاد التي ينتمي إليها الملك الحاكم . ولما استتب السلام والأمن في ربوع مصر واستقرت سلطة الملك في طول البلاد وعرضها ، امتد التجنيد حتى عم جميع أفراد الشعب دون استثناء .

الدولة القديمة

ونلاحظ أنه في عهد ملوك طينة وفي أثناء الدولة القديمة (ح ٣٢٠٠ — ٢٤٣٠ ق . م) كان إلى جانب الجنود المصريين ، عناصر من الجنود المرتزقة . وكان الأولون لا يستدعون للقتال إلا في الحروب الكبرى . وكان يقود الجيش قائد عام . ولم يكن الجيش اقطاعيا مؤلفا من جماعات من المقاتلين يقود كل منها سيد الاقطاع ، بل أن هناك في الواقع جيشا للحكومة المركزية مؤلفا من وحدات حرية تحت قيادة ضباطه المحترفين الذين تفرغوا للأعمال الحربية . ولم يسكن لهم عمل مدني آخر . وكان للجيش سلاح وملابس واحدة في كل فرقة . ويؤيد ذلك الرسوم التي عثر عليها في معبد سحورع ، حيث الجنود يخطون خطوات منتظمة ومجهزون بعتاد وسلاح حربي واحد ، وقابضون على أسلحتهم بأسلوب واحد . وكان الجنود المرتزقة من النوبيين أو من الليبيين . وقد اشترك هؤلاء أيام يبي الأول تحت أمرة القائد « وني » في حملة لإخضاع البدو . وكان للمرتزقة ادارة حرية وقيادة . وقد ترك لنا وني نبأ بأسماء الأشخاص الذين جاءوا على رأس جنودهم ، مرتبة حسب مكانة كل منهم . ولما تولى زوسر (الأسرة الثالثة) حكم البلاد ، ودعم سلطانه بحكومة مركزية ، فكان لابد له أن يستعين بجيش قائم منظم لحماية الدولة من الاعتداء الخارجي ، فقسم البلاد الى مناطق أطلق عليها اسم أبواب المملكة وجعل في كل منها حامية . وقد نصب على كل من هذه المناطق حاكم خاص ، يلقب « مرشد الارض » وقد كان هؤلاء الحكام الكلمة العليا على حكام المقاطعات ، وكان في يدهم ادارة الشرطة . ولذلك كانوا مسئولين عن الأمن في هذه المناطق . وقد أقيمت لهذه الحاميات معازل ، لسكل منها ادارة عسكرية خاصة ، فكان له مخازن غلال الخاصة . وقد حفظت أسماء بعض هذه المعازل ، ومنها معقل « بطولة الأرضين » .

كان الجيش في عهد زوسر يتبع الحكومة المركزية وكانت الوحدة العسكرية الصغيرة في أثناء الدولة القديمة مؤلفة من الشبان الصالحين (نفرو) ، يقودهم رئيس (خرب) وكان يتألف من هذه الوحدات سرايا ، أطلق على قائدها لقب (خرب) (خرب نفرو) وكانت تعتبر السرية الوحدة التكتيكية في الجيش .

وفي أيام الأسيرة الرابعة كان على رأس الجيش البري قائد الجيوش (إمرامشع) وكان في الغالب ابن ملك ، ويجلس بين أعضاء مجلس العشرة العظام ، مثل الأمير « سرايب » ابن الفرعون خوفو .

وفي أيام الأسيرة الخامسة لم يطرأ على تأليف الجيش تغيير يذكر عما كان عليه في أيام الأسرتين الثالثة والرابعة ، فقد كان مؤلفا من مجندين كان يطلق على الواحد منهم « الشاب الصالح » . وتتألف منهم وحدات « عبر » كل منها تحت أمرة ضابط يحمل لقب رئيس الوحدة أو الفرقة « خرب عبر » . ومن هذه الفرق مجتمعة تألفت كتائب الجيش « عبر مشمع » . وعلى رأسها قائد يحمل لقب قائد كتائب الجيش أما حرس الفرعون في القصر فيتألف من فرق مختلفة من الجندين بأمر « قائد فرق المجندين » . وكانت تحمل كل واحدة منها اسما خاصا بها . وكانت توجد فرق أخرى تتألف منها حاميات ثابتة في داخل البلاد وكانت توضع تحت إمرة السلطة المدنية لحفظ النظام . وكان الجيش يرسل بعوثا إلى الصحاري كمحاجر ومناجم سيناء ووادي الحمامات بالصحراء الشرقية ، ومحاجر طرة .

وكانت العناية بالمجندين عظيمة ، فكانوا يدرّبون على الأعمال الحربية ، ويتلقون الدروس العسكرية ، وقد خصصت لها مصلحة قائمة بذاتها فكان يشرف على إدارتها العليا القائد الأعظم للجيش . ونذكر على سبيل المثال « كام تنفت » الذي كان يحمل لقب قائد جيوش البر والبحر ومدير التعليم للجيش .

لقد كان جيش مصر الدائم وقلاعه ، واسطوله يستلزم قيادة ماهرة لنصريف الأمور — كانت تتمثل في بيت السلاح الذي عرف منذ الأسيرة الثالثة . وقد كانت إدارته دائما موكلة إلى أمير ملكي أو إلى زوج أميرة ملكية ، فكان مستقلا عن الإدارة المدنية . وفي عهد الأسيرة الخامسة أصبح هناك بيتان للسلاح (رئاستان) أحدهما للوجه القبلي والآخر للوجه البحري . وقد كان موظفوه ينتخبون من أعلى طبقات الموظفين ، وغالبا ما يكونون من قادة الجيش وكان لهذا القائد لقبان في وقت واحد: أحدهما « سيشيمو اميرا استي نتر وثانيها خرب استي نفر » ومعناها مدير جنود الإله

الحربيين الاثنين . والمقصود من كلمة الإله هذا الفرعون . ويحتمل أن تشير كلمة الاثنين في اللقب جنود جيش مصر العليا ومصر السفلى .

ويشمل بيت السلاح عدة مديريات (مصالح) وخاصة مديرية الأشغال ، لذلك كان كل قائد أعلى للجيش يحمل لقب مدير أشغال الفرعون . وكان يدخل في اختصاص بيت السلاح إدارة شئون الغلال لتموين أعمال الحرب وخزن ما يلزم من المؤن في القلاع ، وتجهيز الجيش بالسلاح والملابس والعدات . وهكذا نرى أن الجيش في مصر لم تسكن عصابات تقوم على السخرة أو على السلب ، بل كان جيشا منظما على الإدارة الحربية في عدته وعتاده وطعامه .

ويظهر لنا من النقوش التي خلفها « وني » كيفية تجمع الجيش بوساطة حكام المقاطعات والمراكز ، فقد كانوا يأتون بالجنود المجندين من الحصون والمدن التي كانوا يحكمونها . وكان حكام المقاطعات المصرية مكلفين بفحص المجندين وتسجيل أسمائهم .

ونلاحظ أنه في ختام الأسرة السادسة ، لا يقابلنا لقب « القائد العام » (امر مشعو) ، فقد بدأ حكام المقاطعات يستولون على القيادة الحربية بعد أن أصبحوا أمراء اقطاعات ، ويجندون الجند لخدمة ملكهم . ويظن أنه قد حدث انقلاب في عهد يبي الأول في نظام الجيش بسبب انحلال الدولة وتقسيمها إلى مقاطعات تكاد تكون مستقلة . ونلاحظ في أواخر عهده أن الوظائف الحربية أصبحت نتيجة لهذا الانقلاب وراثية تقريبا ، كما أننا نلاحظ أيضا أن القيادة العليا كانت في سبيل التغيير . فنجد أن لقب القائد العام للجيش أخذ يختفى وكذلك أصبح تجنيد الجنود بإشراف الفرعون مستحيلا . ويرجع ذلك إلى قيام الامارات الاقطاعية . ومنذ ذلك الحين لم يبق في قبضة الفرعون إلا جيشه المرتزق الذي كان يقوده مدير القوافل وقد أصبح قواد هذا الجيش من النفوذ في عهد يبي الثاني إلى درجة أنهم أصبحوا أمراء اقطاعيين في جزيرة الفنتين ، وأصبحوا من أهم حكام الاقطاع في الجنوب .

الخدمة العسكرية

كانت الخدمة العسكرية في أيام الدولة القديمة اجبارية بطريق التجنيد ، فكانت كل مقاطعة يجند منها الجنود للعمل في المحاجر أو للقيام بالأعمال الحربية في الجهات التي تتطلبها . وتدل الأحوال أن النظام كان سائداً في فصائل الجنود الحربية منذ أيام الدولة القديمة . فقد دلت الرسوم المنقوشة على جدران الطريق الجنائزى لهرم الفرعون « أوناس » أن كل فصيلة من الجنود كانت تحت أمره ضابط ، فكان من بينهم ضابط الخمسة ، وضابط العشرة . وتدل رسوم أخرى على تنظيم الجيش وفرقه وتسليحه . ونجد في مقابر الأسرتين ١١ ، ١٢ في بني حسن والبرشه وغيرها مناظر تدل على عناية القوم بتدريب الشباب على الألعاب الرياضية . وكذلك على مناظر توضح معارك حربية وحصار القلاع مما يدلنا على انتشار الروح الحربية .

ولم تكن الخدمة العسكرية وراثية، ومع ذلك فقد كان معظم الرجال الذين أدوا الخدمة العسكرية ، يخرطون أولادهم في سلكها . وقد كان يؤخذ المجند ، وهو صغير السن إلى الشكنات ، حيث كان يتعلم كيفية الرمي بالقوس واستخدام بلطة القتال والدبوس والرمح والدرقة ، وكذلك كانوا يتدربون على الألعاب الرياضية التي تجعل الجسم مرناً ، وتدريبهم على فنون الحرب والسير للمنظم والسكر والفر والقفز والمصارعة بأيديهم أو الملاكمة . وكانوا يعدون أنفسهم للمعركة على شكل رقص حربي منظم أو بالوثب واللف والتلويح بالقوس في الفضاء وعند الانتهاء من التعليم كانوا يدعجون في الفرق المحاية ، ويتمنحون امتيازات الجنود وعند ما تكون الحاجة ماسة الى واحد منهم ، كان يطلب بعضهم أو جميعهم للانخراط في سلك الجيش (الركزى) وكانت الأسلحة التي في بيت السلاح توزع عليهم ، ثم يقادون إلى ساحة القتال .

امتيازات الجندي :

كانت جيوش الاقطاعيات منظمة على شكل مستعمرات، فكان كل جندي يأخذ من حاكم الاقطاع مقداراً معيناً من الأرض ليعيش هو وأسرته من ريعه . ويظهر أن هذا النظام بقي متبعاً في مصر أثناء حكم الفراعنة ، بل والإغريق . ففي القرن الخامس قبل الميلاد كان كل جندي يملك حوالي سبعة أفدنة ونصف فدان من الأراضي الصالحة (١) ، ولم يكن يفرض الملك سنوسرت الثالث ضرائب على الجنود . وكانوا معفون من أعمال السخرة في أثناء تأديتهم وظائفهم في ساحة القتال . وفي غير هذا كانوا كباقي أفراد الشعب . كان أكثرهم لا يملك ثروة أخرى فكانوا بذلك يعيشون عيشة الفلاح فيفلحون الأرض ويحصدونها ويرعون ماشيتهم ما بين كل حرب وأخرى أما أصحاب اليسار منهم ، فكانوا يؤجرون نصيبهم من الأرض بأجر معتدل مما كان يزيد في دخلهم .

ولما كان يخشى أن ينسى هؤلاء الجنود الشروط التي تملكوا بها تلك الأراضي أو أن يعتبروا أنفسهم ملاكاً حقيقين ؛ كانت لا تترك نفس قطع الأرض في أيديهم مدة طويلة إلا نادراً . وقد أكد هيرودوت تلك الحقيقة . وكانت أسماء الجنود تدون في سجلات خاصة مع بيان ما يمتلكه كل واحد منهم في وقته . وكان هناك كاتب حربي خاص بتدوين هذا السجل في كل مقاطعة ملكية أو مقاطعة اقطاعية وكانت وظيفته توزيع الأراضي وتسجيل الامتيازات ، يضاف إلى ذلك أنه كان في زمن الحرب يقود الجنود الذين كانوا يجندون من الأقليم الخاص بسجله ، وفي هذه الحالة كان له مساعد يقوم نائباً عنه في الحروب إذا اقتضت الضرورة ذلك .

وكان يصرف لجندي الحرس الملكي تعيين يومي مؤلف من رطلين من اللحم ، وخمسة أرطال من الخبز وأربعة «كوبات» من البجعة ومن الامتيازات التي كان يتمتع بها الجندي أن لا يودع السجن إذا لم يف بالدين ، ولا يقبض عليه بواسطة السلطة المدنية . وكان الجندي يحتفظ بسلاحه .

(١) ذكر المؤرخ هيرودوت أن الجندي كان بمنح عشرة أفدنة (١٢ أروري) معفاة من الضرائب

الدولة الوسطى

وبعد فترة طويلة من الفوضى في أعقاب سقوط الدولة القديمة ، تمتع حكام المقاطعات بسلطات كبيرة وبنفوذ قوى في أثناء الدولة الوسطى . ومن أجل ذلك سمح لهم باستبقاء جيوشهم الاقطاعية ^(١) وأسوة بما كان متبعاً في القرون الوسطى بأوروبا كان يلتزم هؤلاء الحكام بارسال بعض قواتهم للخدمة الملكية . ومع ذلك فقد كان هناك جيش ملكي قائم ، يجند أفراداً بالاقتراع العام . وهناك نصب تذكاري نقش عليه بعض الكتابات التي ذكرت أنه في العام الخامس والعشرين من حكم أمنمحت الثالث انتدب أحد كتاب الجيش للسفر الى الجنوب لاختيار وجمع مجندين من مقاطعة أييدوس الجنوبية .

ويذكر لنا القائد خوسبيك الذي خدم في الجيش على أيام سنوسرت الثالث والثاني وأمنمحت تاريخ حياته الذي دونه على نصب تذكاري وكيف تبدأ الأعوام الأولى من حياة الجندي ويصف التجارب الحربية التي مر بها ، قائلاً : —

ظهر جلالة ملك القطرين « خع كاورع » المرحوم لابسا التاج المزدوج على عرش « حور » وأمر جلالاته أن اشتغل جنديا خلف جلالاته وبالقرب منه ، ومعى ستة من رجال الحاشية ، ومن أجل ذلك كنت بجانبه على استعداد ، ثم أمر جلالاته أن أعين حاجبا للفرعون ، ورددت ستين رجلا عندما سار جلالاته الى الجنوب ليهزم رجال قبائل النوبة . وهناك أسرت أسودا بجوار المدينة التي كنت مرابطا فيها . وبعد ذلك اتجهت شمالا مع ستة من رجال الحاشية . ثم عينني قائدا للاتباع وأعطاني مائة رجل مكافأة ... وفي مكان آخر يصف بعض تجاربه تحت قيادة الملك سنوسرت ٣ في حملة ضد النوبة . وفي تلك الحملة رقي خوسبيك الى ضابط لمائة من الجنود .

(١) تعتبر الأسرة السادسة الحد الفاصل بين العصر الملكي الفردي والعصر الاقطاعي . وبانهيار الأسرة السادسة لم تشهد مصر حكومة مركزية قوية تجمع شتات البلاد حتى قيام الأسرة الحادية عشرة حين أعاد أمنمحت الأول توحيد البلاد في ظل حكومة مركزية مرة أخرى .

وفي أثناء السنوات الأخيرة في الدولة الوسطى ، سقطت البلاد في قبضة الهكسوس الذين جاءوا من آسيا ، وبقيت مصر في حوزتهم باستثناء بعض أجزاء النوبة مدة مائة وخمسين سنة تقريبا ، فضعفت البلاد في أثنائها وفقدت حيويتها ، حتى تمكن بعض أمراء طيبة من التغلب عليهم وطردهم من البلاد ، ثم أسس « أحمس » الأسرة الثامنة عشرة ، واستأنفت مصر حياتها المتدفقة نشاطا وازدهارا ، فأسست امبراطورية قوية سادت على قسم كبير من بلاد غرب آسيا .. وبدأ بهذه الأسرة ، مجد مصر الحربى الذى قام به التحامسة والرماسة . ويمكن القول أن هذه الحقبة للجيش المصرى ، تعتبر أزهى أيامه دون جدال . وقد أخذ ملوك الاسرتين ١٨ و ١٩ على عاتقهم وقاية مصر من أى غزو آخر يأتى من الشرق أو الغرب . ولذلك قام ملوك الأسرة ١٨ : أحوسى وأمينوفيس الأول والثانى والتحامسة جميعا فى طليعة جيوشهم مندفعين الى سورية للقضاء على أى تحالف يشن ضد مصر ، وشيدوا المعقل والحصون . فأمنوا البلاد من الاعتداء والغزو . وكان أعظم هؤلاء الملوك جميعا : تحوتس الثالث الذى مد حدود مصر فى الشرق حتى بلغت الفرات .

وكان الفرعون آنذاك هو القائد الأعلى للجيش وهو الذى يقوده إلى ساحة القتال . وكان يساعده قائد كوزير للحرية ومجلس أعلى للجيش للمشاورة . فاذا ما عزم على القتال ، أقبل قواده لتسلم أوامر الملك وتعليماته . وكان الجيش آنذاك ضخما مدربا ومسلحا بالعربات الحربية ومنظما على مستوى وطنى وليس على مستوى اقطاعى ، وكل جنوده محترفون . كان الجيش يتألف من عدة فرق ، كل فرقة منها تعتمد اعتمادا كليا على نفسها بقواتها المشاة والفرسان (العربات الحربية) والرماة وكان يقدر عدد الفرقة بحوالى خمسة آلاف رجل تحت أمره قائد أو أمير . ويقود إحداها الفرعون نفسه . وكانت أسماء الآلهة تطلق على هذه الفرق . وكان يعتمد على العربات فى الهجوم الأول بقوات العدو ثم يتبعها المشاة بأسلحتهم الخفيفة والرماة بقسيهم ، ويحملون الدراقات والرماح أحيانا . كان يحيط بالملك فصيلة مختارة من الحرس الشجعان ، أطلق عليهم « الشجعان » . فقد كانوا مسئولين عن شخص الملك فى ساحة القتال . وكان نقل العتاد يقوم به الحمير ، ومع ذلك فقد استخدم تحوتس ٣ فى حملته إلى الفرات . العربات التى تجرها الثيران فى نقل قطع السفن المفككة حينما دعت الحاجة إلى عبور نهر أو مانع مائى .

الرتب العسكرية

وكان تنظيم الجيش في فرق وكتائب وفصائل يتطلب تعيين قادة مختلف هذه القطاعات الحربية . ولذلك كان لكل قائد رتبة عسكرية تتناسب مع نوع قيادته ، وقد عرف منها ما يلي :

Imira Meshaou	قائد عام القوات / القائد الأعلى إمبرا ميشاؤ
Imira Mesha	لواء — زعيم إمبرا ميشا
Kherf aper neperou	قائد سرية الجنود المستجدين خرب أبر نفرو
Kherp neferou	قائد المستجدين خرب نفرو
Kherp aper	قائد السرية خرب أبر
Imi irti	يوزباشى — رئيس إيمى إرتى
« « our imira	يوزباشى فى منصب هام إيمى إرتى أور إمبرا
Shedj imira a	رئيس القوافل العامة سيدج إمبرا أ
Imira a neb	» » أميرا أ نب
Mekhet a	ملحق بمخدمة القوافل ميخيت أ
Imira per aha	رئيس الأسلحة إمبرا بر أها
Imira seban	رئيس التعليم العسكرى إمبرا سبيت
Imira ges per	قائد الجنود المأجورين إمبرا جيس بر
	وكانت أهم وظائف الأسطول :

Shedj depet	أميرال الأسطول سيدج ديت
Imi irti aper n depet	قبطان إيمى إرتى أبرن ديت
Kherp « « «	ضابط البحرية خرب أبرن ديت
Medeh depet	فنى بالأسطول مدح ديت
Sesh depet	كاتب « سيش ديت

التدريب العسكري

أمدتنا التون والنقوش الأثرية بفيض من المعلومات عن تدريب الجنود للقتال في معسكراتهم ، وفي أثناء سيرهم للمعركة وفي أوضاع مختلفة في معاركهم وطرق حمل أسلحتهم ، بل وكيفية استخدام تلك الأسلحة . وكيف كان نافخ البوق ينظم خطوات الجند أثناء مسيرتهم ، وكيف كان الجند يتدربون على تسلق الجدران ، أو يتبارزون بالعصى ، أو كيف يعدون قسائم وكيف يمهرزون في الرماية . يقابلنا كل هذا في الرسوم النقوشة على جدران المعابد والمقابر والنصب .

كان المجند يلحق عادة بجماعة من ستة أفراد ، يطلق عليهم أسم « جامون . خربو » بمعنى جماعة الناشئين ، ويسمى أفرادها باسم « نفرو » بمعنى الناضجين أو الصالحين للتجنيد ، و « حونو نفرو » بمعنى الصغار الناضجين ، و « أيدو » بمعنى الغلمان ، و « مجاو » بنفس المعنى تقريبا . وتعهدت الدولة هؤلاء بالمؤونة والملابس ، وكان يشرف عليهم مقدمون أصحاب رتب محددة .

وتطلبت تربية الضباط والقادة تحصيل قدر مناسب من الثقافة العامة إلى جانب الثقافة الحربية ، ويرجع هذا الأسلوب إلى الدولة القديمة التي جمع بعض قادتها بين لقب القائد و لقب الكاتب في آن واحد ، فضلا عن لقب الكاهن في بعض الأحيان ، واستمر هذا التقليد خلال عهود الدولة الوسطى ، ثم اتضحت خطوطه وأسايبه وضوحا كبيرا في أثناء الدولة الحديثة .

وقد وصل إلينا حوار دار بين شابين من شباب الجيش في عصر الرمامسة ، يصور جوانب الثقافة العامة لرؤساء الجيش . هذان الشابان هما حورى وأمنموبى ، وقد تلقب الأول بلقب « الضابط مربى أفراس الملك » ، ولقب « معلم المساعدين في ديوان الكتابة » ، وحرص على الافتخار بثقافته العسكرية والكتائية ، وروى عن نفسه أنه تفقه في تعليمات رب الحرب « موتسو » وأنه تعرف على أسرار السماء والأرض .. وتلقب زميله « أمنموبى » بلقب كاتب الأوامر الملكية للجيش المظفر ولقب « ماهر » .

وراسل كل من الشابين زميله ، وحاوره . وبدأ حوارها رقيقا لينا ، ولكنه تحول بعد قليل إلى هجاء عنيف . وتعهد كل منهما أن يعرض على صاحبه في رسائله ما يعرفه ، ويعرض به فيما لا يعرفه .

وأراد حورى أن يتهم على زميله ، فافترض فيه ثقافة الضباط كاملة ، وبدأ يحاوره على هذا الاعتبار ، فسأله عن الأدب القديم المشهور ، وأدب تحرير الرسائل ، ومسائل الحساب والأحجام ، وطريقة تقدير أرزاق الجند وتوزيعها ، وسأله عن أسماء بعض المدن الداخلية ، وسأله عن شهرتها . ثم كان أمتع مأسأله عنه هو مدى معرفة الضابط المثقف بظروف البلاد الخارجية التى يتعين عليه أن يجوس خلالها ويعمل فيها ، وقال له فى ذلك :

« تدعى أنك كاتب وماهر ، وتكرر ذلك ، ونود أن نصدقك ولكن تعال . نمتحنك أولا :

« هب أنه أسرج لك جواد سريع يشبه ابن آوى فى سرعته ويشبه عاصفة الريح إذا انطلقت وهب أنك أطلقت عنانه ، وشرعت القوس . فدعنا إذن نر ما نستطيع أن تفعله وخبرنى عما أسألك عنه :

« ما الذى تشبه ميناء مميرا سوسو ؟ وعلى أى جانب منها تقع مدينة حلب ؟ وما هيئة مجراها ؟ » .

وكانت مميرا سوسو ميناء شهيرة فى فينيقيا ، نسبها المصريون إلى رمسيس الثانى الذى دللوه باسم سوسو . وقد تحدى حورى زميله ان يعرف عنها ثلاثة امور ، وهى : هيئتها العامة ، وموضع مدينة حلب بالنسبة إليها ، وشكل نهرها الصغير . وأصر ، على أن يعتبر هذه المعرفة جانبا من الثقافة الضرورية لكل ضابط امتطى عجلة القتال ، وأمسك القوس ، وتلقب بلقب ماهر . (١)

١ — عبد العزيز صالح : تاريخ الحضارة المصرية ، مجلد ١ ص ٢٠٥ — أنظر أيضا :
Adolf Erman : The Literature of the Ancient Egyptians.
L. Cottrell : Life under the Pharaohs. Pan Edition, P.94-99.

الدولة الحديثة

ومن أهم الصور العسكرية التي أوضحت لنا أسلوب التدريب على القتال ، ما خلفه لنا أمنمحاتب الثاني فرعون مصر وخليفته تحوتمس الثالث خلال روايته لقصة حياته وقد أوجزها إلينا الدكتور عبد العزيز صالح (١) :

كان أبوه قد تعمد أن يرييه تربية حازمة تؤهله للمحافظة على الزعامة العسكرية التي حققها مصر في عهده . فاختار لتربيته قاعدتين من قواعد الجيش ، وهما جرجا التي كانت تشرف على طرق الواحات وتشرف على أمنها ، ومنف العاصمة التي تركزت فيها معسكرات الحيلة وبعض الصانع الحربية .

وتتلمذ أمنمحاتب في جرجا على حاكمها القائد « مين » وتدريب معه على رماية الشاة . وكان مين قد جمع بين الثقافتين شئون الكتابة والعسكرية ، وساهم في حروب تحوتمس ٣ . وصور مين في جانب من مناظر مقبرته درسا في الرماية ، ظهر خلاله وهو يعلم الأمير أمنمحاتب كيف يستغل قوة ساعده في شد القوس الى نهاية مداه ، وكيف يثبت السهم فيه وكيف يطلقه .

واستمر الأمير يتلقى تدريبه في جرجا حتى اشتد عوده ثم انتقل إلى منف وانضم إلى معسكراتها الكبيرة ، وشاطر جنودها معيشتهم ، والتحق بفرقة الحيلة بادئا بأدنى درجاتها ، فانضم الى اسطبل التربية أى تربية صغار الخيل وبقى فيه حتى خبر طباع الخيل وعرف كيف يربها وعرف ميزات اصائلها وبرع في قيادتها وسمح له بامتطاء ظهور الخيل . وتعلم أمنمحاتب الرماية راكبا في العجلة ، ويبدو أنه

(١) الحضارة المصرية ، ص ٢٠٣ — ٢٠٤ . أنظر أيضا :

سليم حسن : مصر القديمة ، الجزء الرابع ص ٦٤٥ — ٦٥٥ . وذلك عن اللوحة التذكارية التي أقامها أمنمحاتب الثاني بجوار « بو الهول » وأكتشفت عام ١٩٣٦ .

أجادها الى الحد الذي شجعه على ان يتحدى فيها رماة الجيش ويعجزهم . وقد بلغ من بأسه فيما روى عن نفسه ، انه رمى من فوق عجلته ، ذات مرة ، اربعة سهام على أربعة أهداف نحاسية متتابعة ، فاخترقها بسهامه . واستكمل امنه محوتب تدريباته مع بحارة الأسطول . واعتماد ان يسابقهم ويتحداهم في التجديف وهو في قاربه « الصقر » .

مقبرة « وسرحات » في جبانة شيخ عبد القرنة :

ومن بين مناظر هذه المقبرة — مقبرة « وسرحات » الذي كان من أ كابر رجال الدولة على ايام امنه محوتب الثانى ، لوحة تمثل هذا الملك وهو يشرف على تجنيد طائفة من الجنود ليقوموا بالخدمة فى الميدان ، وتوزيع جراياتهم عليهم . فنلاحظ ان وقت وجبة الغذاء قد حلت ، وقدمت مائدة الفرعون له على حدة ، ويده بلطة ونشاهد الضباط يتناولون غذاءهم فى حجرة مجاورة . اما الجنود فيكتفون بوجبة تحوى الخبز والماء . اما الذين هم ارقى منهم ، فكان يقدم لهم بالاضافة للخبز لحم ونبيد مكان الماء . ويشاهد الجنود فى الخارج وقد صفهم ضابطهم فى ساحة ، وكل منهم يحمل حقيبته ليضع فيها نصيبه من الخبز . اما المجندون الاحداث ، فلما كانت شعورهم طويلة ، فكان لابد من حلقيها ، ومن اجل ذلك نراهم فى اللوحة قد جلسوا فى الساحة الخارجية ينتظر كل منهم دوره ليحلق شعره . وقد كان حلاقو الكتيبة يقومون بهذه العملية (١) .

مجلس شورى الحرب :

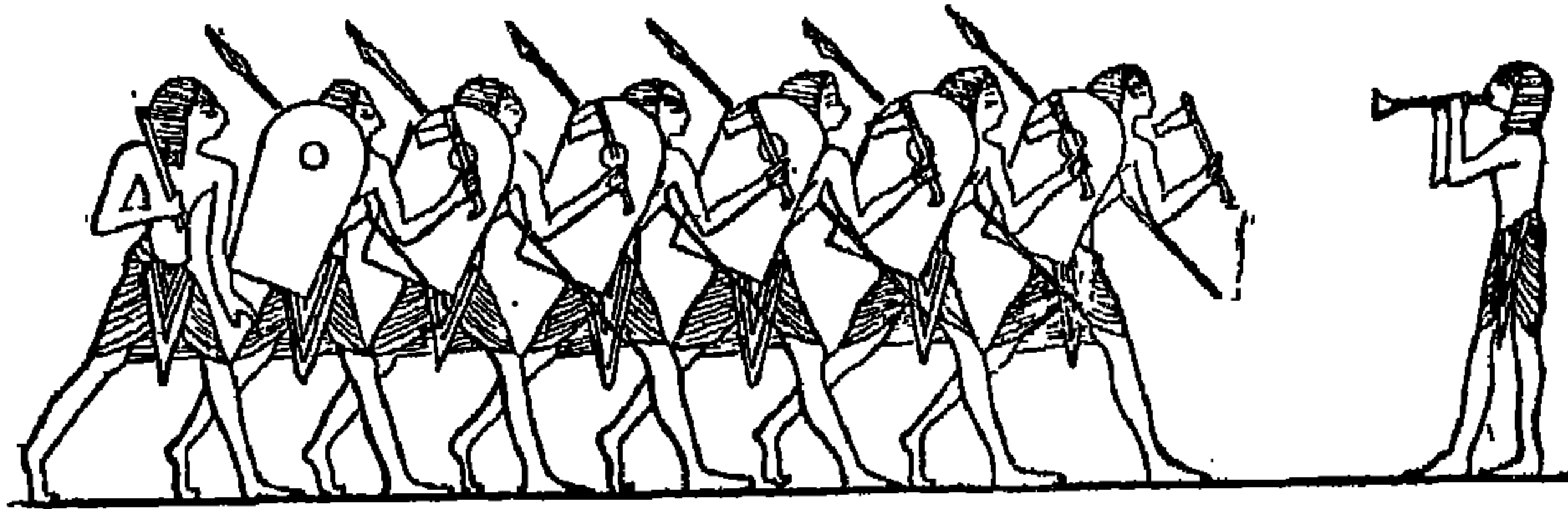
وقد استن بعض الفراعنة العسكريين تقليدا طيبا ، وهو تبادل الراى مع القادة عند مواجهة موقف او وضع مفاجىء فى أثناء القتال ، أو قبل دخول المعركة الكبرى . فان لم يقتنع الفرعون برأى قادته بعد مشاورتهم ، اخذ يقنعهم بضوابط رأيه بكل سبيل ، وأوضح ما يستشهد به حوار دار بين تحوتمس الثالث ومجلس حربه قبيل دخول معركة مجدو ضد بقايا الأمراء المتحالفين ضده فى سورية .

(١) لوحة رقم ٤٠ ص ٦٩٦ فى مصر القديمة ، ج ٤ للدكتور سليم حسن .

تنظيم الجنود للقتال :

كان التشكيل المتبع عادة عن سير الجنود للحرب كما يلي :

المشاة الثقيلة بالقلب ، تسبقها او تليها العجلات الحربية كما تحرس جانبيها . اما المشاة فتكون دائما في المقدمة . وعند دنو القوات من العدو ، يعقد الملك مجلسا يحضره رؤساء الجيش وضباطه ، ليهتلموا للالهة في طلب النصر على الأعداء . ثم يتسلم الملك قيادة الجيش ، ويتقدم الى العدو ، تسبقه فرقة صغيرة من المشاة ، ومعها نافعو الابواق ، تتلوها عربة تحمل صاريا كبيرا (علما) يعلوه قرص الشمس رمز العبود آمون رع ، كأنه يقود الجيش الى محاربة اعداء مصر . يقبل الفرعون فوق عجلته الحربية ، يحف جنوده الرماة وضباط الحرس الملكى ... ثم يشتبك الجيشان وتدور رحى المعركة . فاذا تم النصر نهض الفرعون خطيبا بين الضباط ، ثم يتقدم أسرى الأعداء للعرض امام الملك . ويتلو ذلك إحصاء الأيادي المقطوعة من القتلى لمعرفة عدد الموتى من قوات العدو . ويختتم العرض بخطاب يشكر الملك فيه الجنود ، ثم يأمرهم بالعودة الى الوطن .



جنود نظاميون — حملة الدروع والرماح والبلط

(ش ١)

الجنود الفرسان في الدولة الحديثة

ظهر في باكورة الأسرة الثامنة عشرة سلاح جديد ، وهو العربية الحربية التي تجرها الجياد ، ويعزى في العادة إدخال عربية القتال وكذلك الخيل في مصر إلى عهد المكسوس . وقد جابت من بلاد سورية التي أخذتها عن أقوام الشمال وكانت قد استعملت فعلا في عهد الملوك الأول من الأسرة الثامنة عشرة ، وهم « كامس » و « احمس » و « تحتمس الأول » ، وقد استعملها الملوك والأهلون على السواء لأغراض سلمية وحربية ، وقد دخلت العربات والجياد البلاد أولا بمثابة اسلاب حربية وجزية ، ومن ثم كانت تحتفظ بأسمائها الأجنبية التي سميت بها في بلادها الأصلية غير انه لم يمض طويل زمن حتى انشئت صناعة خاصة في البلاد المصرية تصنع العربات ولكن المواد اللازمة لهذه الصناعات كانت تجلب من الخارج . ولقد كان من الأمور الشاقة تربية الخيول في مصر ، وكانت على ما يظهر تربي في ضياع الفرعون وضياع معابد الآلهة الكبيرة وحسب . وكان لابد من تكوين إدارة خاصة للخيل وعربات القتال ، وكان على رأس هذه الإدارة بضع قواد فرسان ، ولكن من المحتمل انهما كانا قائدين فقط . احدهما للوجه القبلي والآخر للوجه البحري ، وقد وصلت إلينا أسماء كثيرة من هؤلاء القواد من أول عهد « تحتمس » حتى « عهد حورمحب » آخر فراعنة الأسرة الثامنة عشرة . وقد كان يظن من مدلول أول قائد فرسان ، ان هذه الوظيفة كانت مدنية محضة ، ومع ذلك فان تفسيرها في هذا الوقت بقائد فرسان كان

فعلا على معنى حربى ، وقد كان « مين بنحت » موظفا إداريا مدنيا يحمل لقب مدير مخزن الغلال وكان بجانب هذه الوظيفة الرئيسية يدير إدارة خيل الحكومة ، ومن الجائز انه كان قد بدىء فى عهد « تحتمس الثالث » لأول مرة فى تكوين جنود لعربات القتال ، وقد ظهرت فعلا فى عهده العربات فى ميدان الحروب ، ولكن سرعان ما ظهر كذلك فى الوظائف قائد فرسان من جنود القتال الذين أحيوا على المعاش .

والواقع ان مثل هذا الموظف قد وصل إلى أعلى رتبة فى صفوف الميدان وهى رتبة « فارس » عند نهاية خدمته العسكرية ، وبعد ذلك منح لقب « قائد فرسان » بعد إحالته على المعاش ، فالوظيفة اذن كانت رتبة شرف تمنح بعد الإحالة على المعاش ولم يكن يستخدم فى قيادة عربات القتال هذه الجنود إلا من كان من أهل اليسار وهم الذين يكون فى مقدورهم ان يقتنوا لأنفسهم العربات ويصرفوا عن سعد على جيادها ويخصصون الخدم للعناية بها . وظهر فى الوقت نفسه انهم كانوا لا يقبلون فى فرقة الفرسان إلا بواسطة أقرباء عريقين . ومن ثم ارتفعت مكانة هذا الصنف من الجنود على كل انواع الجنود الآخرين المقاتلين ، وعلى ذلك كانت وظيفة قائد الفرسان شرفا لحاملها ، ولكن الفرعون على العكس كان يشغل هذه الوظيفة بأفراد يريد ان يرفع من شأنهم فقد رقى « تحتمس الرابع » كاتب المجندين « حور محب » إلى مرتبة « قائد فرسان » بعد ان كان قد نصبه فى وظيفتين خطيرتين وهما (مربى الأميرة امنهات) ، والمشرف على كل الكهنة ، وذلك فى لحظة كان الخلاف فيها على اشد بين الملك وحزب كهنة آمون .

على ان تتبع سير ترقية « آى » إلى وظيفة قائد الفرسان فى عهد « اخناتون » يظهر من الأمور الصعبة ، ولكنه فى الحقيقة كان فى الأصل من ضباط القتال وهم الذين يرقى منهم قواد الفرسان . ولا نزاع فى ان علاقته بالبلاط جعلت مسألة رفعه إلى هذه المرتبة امرا ضروريا بل عاديا ، وذلك لأنه تزوج مرضعة الملكة « نفر تى » ولكنه على ما يظهر فضلا عن ذلك كانت له علاقة اخرى تربطه بالبلاد لا نعرفها على وجه التحقيق وكل ما يقال فى هذا الصدد انه حصل على لقب « والد الآله »

أما الذين كانوا يعملون تحت إمرة قائد الفرسان فهم رؤساء الاصطبلات .
وكان لديهم عدد من الجياد يرعونها ، هذا إلى ما يتبعها من الرجال الذين كان من أهم
واجباتهم العناية بهذه الحيوانات وأطعامها .

وهناك درجات في داخل حدود وظيفة رئيس الاصطبلات فهناك الرئيس
الأول لاصطبلات الفرعون ومن المحتمل أنه كان مدير الاصطبل الماسكي ، وهو
المكان الذي يقيم فيه جنود الحرس الذين في ركاب الملك ، ويوجد قسم خاص يسمى
اصطبل الغيار حيث تجهز الخيل للغيار وحيث يمرن المقترعون في القسم نجد مثلاً أن
« بقنخنسو » ، الذي أصبح فيما بعد الكاهن الأعظم لآمون كان يشتغل من سن
الخامسة حتى السادسة عشرة وفي نهاية هذه المدة حصل على لقب « فارس » وكذلك
كاتب الورقة الهجائية المشهورة التي تسمى الآن ورقة « أنستاسي الأولى » كان يسمى
نفسه « الذي يعلم جياد الحاكم » ، وكذلك تدلنا هذه الورقة في الوقت نفسه أنه
كان ياقن الجنود انقترعين المعلومات لتثقيفهم في حرفتهم ، وهذا على النقيض التام
من جنود المشاة . وهذا مفهوم بطبيعة الحال لأن الجنود الفرسان كانوا ينتخبون
من أحسن الأسر المصرية ، ولذلك كانت توجه إليهم تلك العناية الممتازة . وكان
السواد الأعظم من هذه الطبقة يرغبون في خراط أبنائهم في سلك الفرسان ، ولهذا
نجد كذلك أن المعلم الذي نقل الخطابات النموذجية التي وصلتنا في ورقة « أنستاسي
الثالثة » كان يلقب الرئيس سائق عربية جلالاته على أن وظيفة السائق الأول لعربة
الملك التي ذكرناها كانت ذات مرتبة عالية ويستدل على قيمتها من مدلولها ، أي أنه
كان يقود العربة المملكية ، وبذلك كان يشغل وظيفة خطيرة جداً .

وكان الفرعون يكلف سائق عربته الأول بالقيام ببعضات خاصة لجلالاته في الخارج
وفي هذه الحالة كان يسمى « مبعوث الملك في كل أرض أجنبية » فمثلاً قام رئيس
الاصطبل « أمناتب » بتفتيش في بلاد كوش ، أو نشاهد سائق عربة الملك الأول
المسمى كذلك « المناتب » يحمل لقب مبعوث الملك إلى سورية من « سيله » حتى
« يافا » ومن المحتمل أن « خاني » الذي أرسل في عهد « أمنحتب الثالث » إلى
سورية لهدأ الأحوال هناك ، كان يحمل هذا اللقب .

أما الجنود الذين كانوا يحاربون بالعربات فهم السائقون، وكان تحتهم في المرتبة المحارب الذى يقف في العربة على ما يظهر . ويتضح لنا ذلك من ذكر هذه الوظائف الحربية التى دونت بالترتيب على حسب درجاتها في ورقة « هود » وكما جاء ذلك أيضا في موقعة « قادش » وقد كان للسائقين نظام داخل اصطبلاتهم ، غير أنه يلاحظ هنا أن كل الحدم وأنباع عربات جنود القتال الذين ذكروا في عهد الرعامسة لم يسكنوا قد عرفوا بعد في عهد الأسرة الثامنة عشرة .

وكان مركز معسكرات الفرسان في عهد الأسرة الثامنة عشرة في عاصمتى البلاد وهما « طيبة » و « منف » حتى عهد « أخناتون » . أما في « تل العمارنة » التى انتقل إليها « أخناتون » فكانت الشكنات مجهزة بساحات عظيمة للتمرين ، وقد عثر في « منف » على صورة تمثل تمرين حرب العربات .

والظاهر أن العلم الذى كانت تحمله فرقة الخيالة في « طيبة » كان يتألف من قضيب عليه تمثال جواد ، وقد عثر على جزء من منظر في الدير البحرى عليه رسم علم مثل عليه جواد أن وجهها لوجه ، ومن الجائز أنه خاص بفرقة الخيالة وهذا أقدم رسم لعلم من هذا النوع .^(١)

وقد كانت رتبة قائد الفرسان آخر ما يناله ضابط القتال من الرقى بعد ختام خدمته العسكرية ، ونذكر هنا أن وظائف الكهانة كان يمكن أن يشغلها أفراد من الجنود القدماء ، وأن لم يحدث ذلك كثيرا على وجه التحقيق . فنشاهد مثلا أن « معى » الذى خدم في عهد « تحتمس الثالث » ونال مكافأة من الذهب لأنه أظهر كثيرا من ضروب الشجاعة قد وضعه الفرعون في وظيفة بحرية وهى الأمير الوراثن ومدير كهنة المقاطعة العاشرة من الوجه القبلى .

١ — تراجع كلامنا عن الأعلام فيما بعد .

إدارة الجيش والنظم الحربية

كان الموظفون في إدارة الجيش من المدنيين ، وهم يختلفون بالنسبة لطبيعة عملهم عن جنود الميدان ، وذلك أن الموظفين الحربيين كانوا يبدؤون حياتهم بالتلمذة في وظائف إدارية صغيرة ، فكان الواحد منهم يعمل بوصفه مساعد كاتب ملكي ، وكان أمثال هؤلاء التلاميذ يدرّبون على تصريف الأمور ، ولم تمدنا الوثائق بالمدة التي كانوا يقضونها في ممارسة هذه المرحلة من التعليم ، وتدل شواهد الأحوال على أن وظيفة « كاتب الجند » كانت تقع في دائرة الوظائف الصغيرة وكان هؤلاء الكتاب يجلسون في مكتب إدارة الجيش وينفذون أوامر « رئيس الإدارة » دون أن يكون لهم دائرة عمل محدودة . وكان لكل وحدة في الجيش كاتب من هؤلاء . والظاهر أن هؤلاء الكتاب الحربيين هم الذين نشاهدهم يعيشون خلف رؤسائهم في رسوم الناظر التي تصور توزيع الطعام والجرايات كما نشاهدهم في رسوم مقبرة « آمون محب » ومقبرة « بحسوخر » وهؤلاء الكتاب يختلفون في ملابسهم عن ضباط الجيش العاملين إذ كانوا يرتدون فوق قمصانهم لباسا آخر .

وقد جرت العادة أن ينتخب الموظفون أصحاب الرتب العالية في الجيش من كتاب الجند ، فمنهم من يكون مديرا للكتاب الحربيين ، وكاتب المجندين ، ثم القائد .

وقد كان عمل مدير الكتاب الحربيين هو تدوين التقارير لما يحدث في خلال المعارك في أثناء الحملات الحربية فهو إذا كان الموظف الذي يدون اليوميات الرسمية عن سير المعارك . وقد دون لنا « ثني » على جدران قبره ، أنه كان يسير في ركاب سيده « تحتمس الثالث » خلال المعارك التي شنها ، سجل أعمال الشجاعة التي قام بها في كل بلد أجنبي وقد دونها كما حدثت ، وهذه الألفاظ التي ذكرها « ثني » تنطبق على يومياته الحربية التي خلّدت ذكرها بمنشآت منها لا تزال باقية منقوشة

على جدران معبد الكرنك ، وما يؤسف له أن نقوش ترجمة حياته في مقبرته قد وجدت مهشمة ، ولكننا نستخلص منها أنه كان يعمل كذلك في عهد « أمنحتب الثانى » وفى عهد « تحتمس الرابع » ومن أجل أعماله العظيمة رقى إلى منصب « كاتب المجندين » . (١)

كاتب المجندين :

يظهر أن هذه الوظيفة لم تكن شائعة الاستعمال قبل عهد الأسرة الثامنة عشرة وإن كانت قد وجدت منذ الدولة القديمة ، ويقول البعض أنها أنشئت فى عهد الأسرة الثانية عشرة ، أما فى خلال الأسرة الثامنة عشرة فنجد عددا عظيما من الموظفين يحملونها ، وخاصة فى عهد « تحتمس الثالث » و « أمنحتب الثانى » و « تحتمس الرابع » و « أمنحتب الثالث » و « أمنحتب الرابع » ثم « حور - محب » . والواقع أنه كان لكل من الوجه القبلى والوجه البحرى كاتب مجندين ، وقد كان كثرة للموظفين الذين يحملون هذه الوظيفة معلوما واضحا من تعدد درجة القائد التى تليها فى درجات الرقى ، ومع هذا فمن المؤكد أنه لم يذكر لنا فى أية وثيقة تقسيم سلطة هذه الوظيفة فى الوجهين القبلى والبحرى ، وكذلك لم يتضح أمامنا على النقوش إلى الآن كاتبان للمجندين أو أكثر فى وقت واحد أبدا .

ويدل ما جاء فى حياة « أمنحتب بن حبو » على أن هذه الوظيفة كانت فى الوجه البحرى الذى كان يعد أهم من الوجه القبلى من الناحية الحربية ، وما وصل إلينا عن كتاب المجندين لا يدل قط على أن تقسيم هذه الوظيفة كان ممكنا ، وذلك لأن الترقيات التى كانت تلى هذه الوظيفة ليس لها أى أثر قط فى النقوش المصرية .

التجنييد :

وصف لنا « أمنحتب بن حبو » فى النقوش التى تركها لنا أعماله بوصفه كاتب المجندين ، فقد بدأ أحد نقوشه بالكلمات التالية : لقد جمعت المجندين لسيدى .

(١) سايم حسن : مصر القديمة ، ج ٥ ، ص ٤٧٨ - ٤٨٢ .

وأحصى قلمي عددا لانهاية له . ووضعت الشباب مكان القدامى من الجنود ، فتصبح عصا الشيخوخة ممثلة في أبدانهم الحية ، وأحصيت ضريبة ييوتهم على حسب أفرادها وأعفيت ييوتهم من الضرائب .. فمن هذا الاجراء يتضح أن التجنيد كان ينقسم إلى صنفين مختلفين ، ولكن لا يمكن ان نستخلص منه ما إذا كان هذا التقسيم يعالج الجنود النظاميين أم جنود الرديف ، إذ نعلم بدورنا أنه منذ تكوين جيش عامل في عهد الدولة الوسطى ، كان تنظيم المجندين من هذين الصنفين من الناس مختلفا ، فقد عرفنا أنه في « البرشة » في عهد الفرعون « سنوسرت الثالث » كان جميع جنود الجيش العامل منفصلا عن المجندين في المقاطعة .

والواقع أنه كان للجنود النظاميين في عهد الدولة الوسطى أراض معفاة من الضرائب زمن الخدمة العسكرية وبعدها ، فكانت بمثابة رزق أساسى لهم ولأسرهم ، هذا أن ملوك الدولة الوسطى كان لهم حرس ينتخبون من صنف من الضباط العاملين وهؤلاء خصص لهم حقول وماشية وعبيد ، وذلك لأن الفرعون كان مضطرا في أوائل هذه الدولة إلى معونة عدد عظيم من الجنود في الحروب التي كان يشنها لتحرير البلاد من جهة ، وللمحافظة على الأقاليم التي فتحها وضمها لمصر في سورية والسودان من جهة أخرى .

وكان للفرعون في أوائل الأسرة الثامنة عشرة أراض شاسعة ، وبخاصة الأراضى التي استولى عليها من حكام المقاطعات بعد القضاء على سلطانهم وتشيت شملهم ، وكذلك الأراضى التي استولى عليها بعد طرد الهكسوس من البلاد .

ومن أجل ذلك نرى أن ضياع الجنود في هذه الفترة كانت منتشرة في أنحاء البلاد لدرجة عظيمة ، فكان ربان السفينة « أحس بن أبانا » يمتلك في ذاك الوقت بهذه الوسيلة أراضى شاسعة في مقاطعات « الكاب » وهو يقص علينا بنفسه أن معدات سفينته كان ينفق عليها من أراض منحها . وفي عهد حكم الفرعون « أحس » كان مدير السفن المسمى « نسي » يملك حقولا في « منف » تبلغ مساحتها نحو خمسة عشر ومائة أرورا قد وهبها أيام الفرعون ، وقد أقيمت من أجلها قضية نزاع

على ملكيتها في عهد « حورحوب » واستمرت في يد القضاء حتى عهد « رمسيس الثانى » .

وكذلك عثر على لوحة حدود جاء فيها أن « تحتمس الأول » قد منح راكب العربى « كرى » حفلا تبلغ مساحته نحو خمسين ومائة أرورا « الأرورا تساوى ٢٩٣٥ مترا أى ثلثى فدان) . وكان كذلك حامل العلم « نب آمون » يملك حقولا قبل أن يعين صاحب الشرطة فى عهد « تحتمس الرابع » فى « طيبة » الغربية ، ومن هذا يمكن القول بأن الاعفاء الذى ناله « نب آمون » عن أملاكه بوصفه رئيسا للشرطة يدل على أن الأراضى التى يمنحها الجنود لم تكن معفاة من الضرائب .

هذا وقد جاء فى رسوم القائد الفرعون « حورحوب » ذكر مستعمرات عسكرية ، إذ نجد مع القوائم التى تحتوى على الأفراد المدنيين قوائم تشمل جنودا عاملين يملكون سفنا وحدائق . وذكر لنا كذلك « رمسيس الثانى » مرة أخرى فى موقعة « قادش » بعض الحقائق فى هذا الصدد إذ يقول : أنى صرحت لكم بالسكنى فى ضياعكم وأملاككم مع أنكم لم تقوموا بالخدمة العسكرية ، فهذه الكلمات التى فاه بها « رمسيس الثانى » كان يقصد بها منح هذه الأراضى المعفاة من الضرائب لتكون بمثابة أساس لإنشاء جيش عامل فى البلاد ، إذ أنه قرن استغلالها بأن يكون مالكيها على تمام الأبهة دائما ليقوم بواجبه العسكرى كلما دعا داعى الحرب للدفاع عن الوطن ، وإذا حدث أنه أصبح مالك هذه الأرض المعفاة من الضرائب غير قادر على حمل السلاح ، فإن ابنه الذى يرث هذا الاقطاع من بعده يجب عليه أن يحمل السلاح بدلا منه ، وإذا اتفق أن ليس فى الأسرة ذكر قادر على حمل السلاح فإن الاقطاع يرجع ثانية ملكا للفرعون ، فيعطيه بدوره غيره من القادرين على حمل السلاح .

ولا ريب فى أن الإدعاء الذى ذكره لنا « رمسيس الثانى » من أن المبدأ القائل بأن المالك لمثل هذه الأراضى كان من حقه أن يواصل تملكها حتى ولو كان غير قادر على حمل السلاح ، وليس له ولد يحمل محله ، مبالغ فيه ، وذلك لأن

القانون الأصلي معروف تماما وهو يقضى بأن ملكية الأرض والانخراط في سلك الجيش العامل كانا يتمشيان معا جنبا إلى جنب منذ أوائل الأسرة الثامنة عشرة ، إذ يقص علينا في هذا الصدد « أحس » الذى أصبح فيما بعد مديرا لمعدات السفن في عهد آخر ملوك الأسرة السابعة عشرة « وكان والدى جنديا في جيش الفرعون » « سفن ثم أصبحت جنديا بعده مع أنى كنت لا أزال صبيا » . ومن ذلك نستخلص أن معظم جنود الجيش العامل كانوا أولاد جنود يضاف إلى ذلك أن « امنحتب بن حبو » (كاتب المجندين) أعلن في نقوشه أنه يجعل المجند الصغير يحل محل سلفه لتسكون بذلك عصا شيخوخته ممثلة في ابنه الذى يحبه ، وكان يشير إلى أنه تحت سلطانه بوصفه كاتب المجندين — الإدارة التى تجعل الولد يحل مكان والده في الأملاك التى وهبها الفرعون إياه مقابل خدمته في الجيش العامل ، وكذلك كان يقصد الكاتب « ثنى » نفس المعنى بكلماته التالية التى ذكرها لنا في تاريخ حياته . . . ولقد رافقت الفرعون « تحتمس الرابع » ودونت له أسماء جنوده العدة ، وكذلك نجد نقوشنا تفسر لنا صورة تدل على تدوين أسماء كل أفراد جيوش جلالته . واقتراع المجندين من بين كل الشبان ، وجعل كل رجل يعرف واجبه في حاة الجيش على يد كاتب الملك الحقيقى محبوبه ، وكانت الجيوش « ثنى » وهذان النصان يدلان على ما كان يحدث في هذه الإدارة الحربية . فقد كان من الواجب التأكد من هذه القوائم بمراجعتها وكذلك التحقق من قدرة كل جندي على الخدمة في الجيش أو عما اذا كان ابنه سيحل محله فياخذ أملاكه بدون ضريبة . ونجد أمثال هذه المراجعات لقوائم الجنود في نقوش قبر كل من « ثنى » و « حور محب » وكان كل منهما يحمل لقب « كاتب المجندين » فنجد في المناظر الجنود مقسمون فرقا بقيادة حامل العلم أمام « كاتب الإدارة » في صفوف ، ونشاهد « كاتب المجندين » يراجع القوائم وهى التى كانت الأساس في تنظيم الجيش ، إذ بها يستطيع الإنسان أن يتأكد عند ما يوجد أى شك في موضع أى جندي أو ضابط ، وكانت الجيوش تعبأ على حسب هذه القوائم ، وعلى هذا الأساس من النظام أصدر ولى العهد في حكم « رمسيس الثانى » إلى الضباط أن ينادى الشبان

من الشجعان المدونين في قوائم الفرعون ، وأنه يجب عليهم أن يحملوا السلاح أمام جلالته^(١)

والظاهر أن أولاد جنود الجيش العامل كانوا يدرّبون في سن محددة ، ولكن بما يؤسف له أنه لم تصلنا نصوص صريحة عن ذلك في عهد الأسرة الثامنة عشرة ، مع أننا كما سبق قد وجدنا « أحس » قد حل محل والده ، وهو لا يزال صبيا ، غير أنه قد بين لنا أن حالته كانت حالة خاصة ، ومع ذلك فقد ذكر في بردية من العهد الآهناسي ، (أى الأسرة العاشرة) أن سن التدريب كانت في العشرين ، ولكن في ذلك خلاف عند علماء الآثار وكان هؤلاء المجندون يجمعون في فرق خاصة حيث كانوا يدرّبون كما يستخلص ذلك من لقب « حامل العلم » « منى سو » الذى كان يطلق عليه لقب « مدرب فرق البحارة » ، وهذا الجندى بعينه هو الذى نراه مصورا على جدران مقبرة « كاتب المجندين » « ثنى » وقد رقى إلى وظيفة « كاتب المجندين » . كما نجد ذلك في نفس الصورة نظام سير هذه الفرق ذهابا وإيابا تحت إشراف ضابط يحمل لقب « حامل العصا » أى أنه مصلح بالعصا ، ولكن من الجائز أن تكون كل مناظر مقبرة « ثنى » تمثله نفسه في وظائفه المختلفة .

كان التدريب العسكرى يجرى في حاميات لا نعرف مواقعها على وجه التحقيق ، فنعرف أن واحدة منها كانت في طيبة ، حيث كان يدرّب حرس الفرعون ، وهؤلاء كانوا يرافقون الفرعون عندما يغادر طيبة وكان الفرعون يرافق الجيش نفسه أحيانا كما ذكرنا ذلك من قبل عندما خرج « أحتب الثالث » للصيد والقنص وكانت توجد حامية أخرى كذلك في « منف » التى كانت مقر القائد الأعلى لجيوش الدولة في خلال الأسرة الثامنة عشرة .

ولم تكن هناك حاميات أخرى في الدلتا إلا إذا استثنينا معاقل الحدود والحاميات التى في المقاطعات ولا شك في أن جزءا عظيما من هذه الفرق التى كانت تحمل السلاح هم الجنود الذين يتألف منهم الجيش العامل ، ويقضون وقتا غير محدود

(١) سليم حسن : المرجع السابق ذكره ، ص ٤٨٤

فى تلك الحاميات يدربون تدريبا عسكريا قبل أن يطلق سراحيهم ويؤذن لهم بالعودة إلى اقطاعاتهم التى منحوها .

وكان تجنيد العساكر الرديف كذلك تحت ادارة « كاتب المجندين » وكانوا يشتغلون كثيرا فى خلال الاسرة الثامنة عشرة فى شئون النقل .

أما فى الحروب فكانوا لا يستعملون الا عند الضرورة الملحة ، فنشاهد مثلاً على جدران معبد الدير البحرى فرقة الجنود الخاصة ينقلون مسلات الملكة « حتشبسوت » وعلى مقربة منهم مجند والجيش أى الجنود الذين كانوا يدربون ليصبحوا جنودا نظاميين وهم الشباب المقترعون . وفى نص آخر ذكروا بأنهم من بلدة « اطفيح » أى المقاطعة العاشرة من أعمال الوجه القبلى . ولانعلم أن كان هذا التخصيص يدل على أنه كانت توجد نسبة مئوية للتجنيد أم لا . وكل ما وصل إلينا الى الآن من معلومات فى هذا الصدد وثيقة واحدة ترجع الى عهد الاسرة الثانية عشرة ذكر فيها أن النسبة كانت ١ ٪ ، وذلك حينما أريد جمع جيش من الرديف للقيام بحملة الى الواحات . والواقع أنه لا يمكننا أن نحدد النسبة المئوية الحقيقية للمجندين الذين كانوا يؤخذون من الأهلىن لاختلاف أنواع المجندين أنفسهم ، وبخاصة فى الجيش العامل الذى كان يتألف من عدد عظيم ، ومن المحتمل ان هذا التجنيد كان ينفذ قهرا ، اذ نجد فى مقبرة رئيس الشرطة « نب آمون » « بطيبة » الغربية منظرًا يشاهد فيه عدد عظيم من الشباب قد جمعوا فى مكان واحد لينتخب منهم من تتوافر فيه شروط التجنيد وعلى مقربة منهم نلاحظ ذويهم يرجون من أولى الأمر اعفاءهم .

وكان من الضرورى لهذا اعداد قوائم دقيقة بأسماء كل الأهلىن ومكانتهم الاقتصادية وعلى حسب هذه القوائم كان يقرر « كاتب المجندين » ضرائب كل جهة تناسب عددها ويشاهد وضع هذه القوائم ومراجعتها فى منظر على جدران مقبرة « كاتب المجندين » ثنى « وقد كتب معها الشرح التالى : « تسجيل كل البلاد أمام جلالته ، ومراقبة كل الأشياء ، ومعرفة الجنود ، والسكنة ، وخدم الفرعون ،

وكذلك كل الصناعات في جميع البلاد ، وكذلك الثيران ، والبط والناعز بوساطة ...
« ثنى » . (١)

ولم تكن دائرة نفوذ « كاتب المجندين » تنحصر في الأمور الحرية الخاصة بفرق المجندين ، بل كانت تمتد كذلك إلى فرق العبيد من أسرى الحروب ، وهم الذين كانت تملكهم الحكومة وقد بين لنا ذلك « أمنحتب بن حبو » في تاريخ حياته حيث يقول « لقد أنجزت أعمال السخرة برجال من أحسن الأسرى الذين أسرهم جلالته في ساحة الوغى ، وراقبت جنوده . ويقول : « لقد أحصيت أسرى جلالته الذين كنت رئيساً لهم » وقد كان يوزعهم على حسب أمر الفرعون على للعابد المختلفة ، وكان هؤلاء الأسرى من العبيد يستوطنون ضياع الفرعون ، أو يحتلون ضياع العابد الموقوفة عليها فكان الرجال منهم يفلحون الأرض أو يصيرون رعاة ، أو منظفين للذهب ، أو يعملون بنائين . . الخ . أما النساء من الأسرى فكانن يحترفن الغزل ، أو يعملن غسالات أو يقمن بتقديم البخور وطاقت الأزهار . وقد كانت هذه القوائم تدون بدقة وإحكام ولا شك أن ذلك هو الأساس الذي تقوم عليه كل إدارة محكمة النظام وقد كان يشترط في كل قسم منها أن يكون قائماً بذاته ، فلا يتعدى قسم على آخر تجنباً لعدم الارتباك في سير العمل .

حماية الحدود :

تدل النقوش التي ذكرها « أمنحتب بن حبو » في تاريخ حياته ، وهي التي تصف لنا اشرافه على التجنيد وإدارة جنود الجيش العامل وجنود الرديف والجنود العبيد على أن كاتب المجندين كان يشرف على دائرة حيوية أخرى إذ يقول : « لقد وضعت كذلك فرقاً على الطريق لترد الأقوام الأجانب على أعقابهم إلى بلادهم . وهؤلاء الأقوام يحيطون بكلتا الأرضين . كذلك كان من واجباتهم منع تنقلات البدو الرحل ، وقت بنفس العمل على الشواطئ عند مصبات النهر التي كانت

(١) سليم حسن : المرجع السابق ذكره ص ٤٨٧—٤٨٨

مغلقة . إلا لبحارة الفرعون لقد كنت مرشد طرقهم وكانوا طائعين أو امرى .
وكذلك كنت الفم الأعلى (الرئيس الأعلى) الذى كان يرأس الشجعان ، وأدبت
همج آسيا » .

ومما سبق يتضح أن الأماكن التى كانت فى حاجة إلى حماية من المغيرين على
شواطئ الدلتا وحدودها أو بعبارة أخرى الجزء الشمالى من أرض الدلتا هو الذى
كان تحت إدارة أمنحتب بن حبو « بوصفه كاتب المجندين » على أنه لم يرد فى
نقوش الأسرة الثامنة عشرة ذكر حماية الشواطئ . حقا نعرف أنه كان لهذه
الشواطئ مشرف خاص يحمل لقب « مدير مصبات البحر » هذا إلى أنه قد جاء
ذكر موظف يحمل هذا اللقب فى عهد الفرعون « تحتمس الثالث » وكان مكلفا
بقيادة حملة إلى سينا فى « سرابة الخادم » .

الواقع أنه كان من الضرورى اتخاذ قواعد حرية على حدود الدولة من
الشرق والغرب فى خلال الأسرة الثامنة عشرة ، وقد كانت إدارة الحدود
فى عهد الدولة الوسطى مقسمة تقسيما عظيما محكما فكان يشرف على الحدود الشرقية
أمير للمقاطعة السادسة عشرة (بنى حسن الآن) . إذ كان يسيطر على قواعد المعازل
وعلى رجال شرطة الصحراء من الدلتا حتى مقاطعته ، وكان يحمل من أجل ذلك
لقب « مدير الصحراء الشرقية » وهو اللقب الذى كان يحمله « خن » قبل عهد
« امنمحات الأول » وكان يحمله « نخن » بعد عهد « امنمحات الأول » وكذلك
« نترنخت » فى عهد « سنوسرت الأول » وكذلك كان يلقبته « خنوم حتب » .
فى عهد « سنوسرت الثانى » أما الجزء الباقى بعد المقاطعة السادسة عشرة حتى
بلاد النوبة فكان على ما يظهر يشرف عليه قائد الجيش فى الصحراء وهو للشرف
العام على شرطة الصحراء .

ومن الغريب أنه بينما نجد معلوماتنا عن حراسة الحدود الشرقية في الدلتا تحتل مكانة عظيمة في عهد الأسرة الثامنة عشرة ، تتضاءل معلوماتنا جدا عن حراسة الحدود الغربية في الدلتا بالنسبة لنظيراتها ، على أننا من جهة أخرى نعلم أن « أممحتب بن حبو » ، قد ذكر لنا أنه أحاط شاطئ الدلتا بنقطة حراسة ، وهذا يدل على أنه كان على الشاطئ الأيمن للدلتا معاقل حربية وقد كانت نقطة الحراسة هذه في غرب الدلتا موجودة من قبل منذ الدولة القديمة ، فقد ورد ذكر لقب « مستشار ثغور البلاد الأجنبية في شقي الدلتا » وكذلك لقب « حارس حصن باب الغرب » غير أن هذه المعاقل لم يأت ذكرها في النقوش في عهد الأسرة الثامنة عشرة ، وكان أول ذكر لمعاقل الحدود الغربية في عهد الفرعون « مرنبتاح » ثم في عهد « رمسيس الثالث » ، والظاهر أن النظام في هذه الجهة كان يختلف عنه في الجهة الشرقية يدل على ذلك أنه كان في الجهة الغربية قائد يحمل لقب « قائد فرع النهر الأيمن » (الفرع الكانوبي) . ونرى فيما بعد أن هذا اللقب كان يحمل في الوقت نفسه لقب « حاكم فرع النهر العظيم » كما كان القائد الأعلى يحمل في الجهة الشرقية لقب « حاكم سيله » غير أنه مما يؤسف له أن اللقب وصل إلينا مهشما . ومهما يكن من أمر فإن لقب « حاكم النهر العظيم » قد وصل إلينا في نقوش الأسرة الثامنة عشرة ولكن من غير لقب حربي معه .

أما عن حدود الوجه القبلي من جهة الصحراء فلم توجد أية معاقل بل كان يقوم بالحراسة هناك « شرطة الصحراء » وهم رجال خفاف الأجسام ، سريعو الحركة ، معظمهم نشأ في الصحراء نفسها وكان يسيطر عليها مشرف يحمل لقب « مدير الصيادين » وهؤلاء المديرون هم الذين كانوا بدورهم في عهد الدولة الوسطى حكام مقاطعات أو قواد الصحراء ، وفي خلال الدولة الحديثة كانوا تحت سيطرة كاتب المجندين ، ولم تكن مهمة هؤلاء الحراس قاصرة على أعمال الشرطة أو الأمور الحربية ، وذلك بتعقبهم القارين إلى الواحات أو حماية عمال

مصنع الأحجار من غارات البدو الجائلين الذين يعيشون فى الأرض فساداً ، أوصيانة الطرق المؤدية إلى مناجم الذهب ، فقد وجدنا فى قبر رئيس كهنة « آمون » المسمى « منخبوع سنب » فى عهد « تحتمس الثالث » منظر مدير صيد ، ومعه جزية الذهب من « قفط » ، بل كانوا كذلك على الرغم من كل هذه الخدمات التى يقومون بها باقين على حالتهم الأصلية يزاولون الصيد والقنص وهى مهنتهم الأصلية التى فطروا عليها ، من أجل ذلك نشاهد « رئيس البدو » و « مدير الصحراء » « نفرخاوت » ممثلاً على لوحته التذكارية حاملاً أثقاله على كتفه ، وكان ابنه « منخبوع سنب » يلقب كوالده « مدير الصيادين » ومدير الصحراء ورئيس البدو وكان مقر كل منها سكان الصحراء لامن سكان المدن المصرية . (١)

(١) سليم حسن : المرجع السابق ذكره ، ص ٤٩٠ — ٤٩٦

قائد الجيش

كانت السبيل ميسرة لكاتب المجندين أن يرقى في وظيفته إلى أعلى رتبة في الجيش ، وأعنى بذلك رتبة « قائد » والأمثلة على ذلك كثيرة ، فقد كان كل من « ثنى » و « سات است » و « رعسو » ثم « معى » كاتب مجندين ، قبل أن يصبحوا قوادا . وكذلك كانت الحال مع القائد الأعظم « حور محب » فإنه على حسب ما وصل إلينا من المعلومات عن ألقابه كان في بادئ أمره « كاتب مجندين » ولكن الأمثلة الأخرى التي لدينا لمن رقوا قوادا لا نعرف منها عن سلك رقيتهم شيئا ينحصر لنا أن نحكم بأنهم شقوا طريق رقيهم المعتادة فن هؤلاء « نحوتي » و « بتاح مى » الذى حاصر حكم « تحتس الرابع » . « وامنحتب » فى عهد « امنحتب الثالث » ثم « بآتون محب » . ولم يشذ عن هذه الأمثلة إلا القائد الأعظم « امنانت » فإنه رقى إلى رتبة قائد من الجيش العامل نفسه . ولا بد أن نلاحظ هنا أنه قد ظهر عدة قواد فى وقت واحد فى البلاد ، وليس هذا بغريب فقد كان بطبيعة الحال لكل من الوجه القبلى والوجه البحرى قائد قائم يقود الجنود المدربين ، وهم الذين كان لا يوجد منهم إلا نفر قليل فى المعسكرات ، وهؤلاء هم الذين كانوا فى أغلب الأحيان يعفون من الضرائب التى كانت تفرض على اقطاعاتهم أما مكانة القائد بين كبار رجال الدولة فقد عرفناها من منظر على جدران مقبرة « رئيس الكهنة » فى عهد الفرعون « توت عنخ آمون » تمثل مقر الإدارة العامة فنجد الوزير يحتل المكانة الأولى ، ثم يأتى بعده « مدير أملاك الفرعون » ثم « مدير المالية » « فدير محكمة العدل » وخلف هؤلاء يأتى « مدير مكتب الوزارة » فدير بيت المال وهو تحت إمرة « مدير المالية » ثم يأتى بعد كل هؤلاء « القائد » ومما هو جدير بالذكر هنا أن هؤلاء القواد كانوا فى عهد « اخناتون » يرقون إلى وظيفتهم هذه من وظائف كنيائية وحسابية . والواقع أن القائد لم يكن المجال فسيحا أمامه ليستعمل مواهبه ودرايته الحربية قط ، على أنه إذا اتبحت له الفرصة ، فإنه

كان يفوق عدوه في الحال لأن ثقافته كانت أكبر عون له على ذلك ، إذ كان من واجبات القواد أن يعرفوا طرق مواصلات جنودهم ، والاعتناء بجراياتهم وعدد الجنود اللازمة لهم ، وهذا إلى أن الجيش المصرى لم تكن مهمته القيام بالحروب وحسب ، بل كان فى أغلب الأحيان يستخدم فى انجاز مشاريع البناء ، ونقل الأحجار اللازمة لأعمال الحكومة ، ومن ثم كان من الضرورى للقائد أن يكون ملما بكل ما يتعلق بهذه الأمور ، مما جعل الأعمال الحربية المحضة تتضاءل أمام الواجبات الأخرى ، التى كان يضطلع بها القائد لتنظيم تلك الأعمال وتنفيذها . من أجل ذلك تعدد لنا ورقة « انسطاسى » (١) المعلومات التى كان يجب على كل موظف حربى أن يلم بها ، وفى قدرته حل معضلاتها اذا واجهته . وأهم شىء لفت اليه النظر مؤلف هذه الورقة ، هو ما كان يجب أن يقوم به القائد من أعمال البناء قبل قيامه بحملته فيجب على القائد أن يحسب حساب الجرايات اللازمة للرجال لحفر بحيرة أبعادها معلومة ، أو لأجل نقل مسلة ذات أبعاد معينة وحجم معين ، وكذلك حساب منزلق لأجل بناء ما ، وكذلك عدد الرجال اللازمين لإقامة تمثال ضخمة ، وبجانب هذه الأعمال يوجد عمل آخر بالإضافة إلى الأعمال الحربية ، ولكن لا يختلف فى جوهره عن الأمور السابقة ، وهذا العمل هو توزيع قوات الجيش والمؤن اللازمة لحملة مسافرة إلى بلاد « سوريا » هذا فضلا عن أن كاتب هذه الورقة يفرض فى وثيقته هذه على كل موظف حربى ، أن يكون ملما بتخطيط البلدان التى سيندلع فيها لهيب الحرب وأن يكون ملما ببلغة أهلها وان يكون فى المستوى العلمى الذى تتطلبه وظيفته العالية .

(١) سليم حسن : الأدب المصرى القديم ، ج ١ ، ص ٢٧٨ — ٣٨٤

القائد الأعلى

كان الفرعون الرئيس الأعلى لكل القواد كما كان هو أعلى قائد في الجيش ، وعلى أية حال فإنه كان يظهر أمام العالم في الوثائق الرسمية بهذا المظهر وكان لا يعين بدلامنه قائدا للجيش إلا نادرا ، إذ كان لا يحدث ذلك إلا في الحملات الصغيرة التي كان يتولى قيادتها « نائب الملك » في بلاد « كوش » (ابن الملك) .

وحقيقة الأمر أن الفرعون كان يعين نائبا عنه أو ممثلا له ، يقوم بكل ما يقوم به القائد الأعلى ، وكانت العادة المتبعة أن يعين ولي العهد في خلال الأسرة الثامنة عشرة كما كانت الحالة في عهد الدولة الوسطى . ففي عهد « تحتمس الأول » مثلا كان أكبر أولاده ، « أمنمس » هو القائد العام للجيش ، إذ وجدت وثيقة تبين ذلك ، جاء فيها بذكر أولاد الملك القائد الأعلى لجيوش والده « أمنمس » .

كان الفرعون يرسل أكبر أولاده لينوب عنه في قيادة الجيش العليا في « منف » القاعدة العامة للجيش ولذلك كان لزاما على ولي العهد بوصفه القائد الأعلى أن يتدرب علميا على الفنون الحربية ، وكانت العربة وقتئذ أحسن أداة للحرب . ومن المحتمل جدا أن أولياء عهد غير من ذكرنا كانوا يشغلون مركز القائد العام للجيش ، وقد ظهر في عهد « امنحتب الثالث » أمير صغير يحمل لقب « ابن الملك القائد العام للجيش » اسمه « نخت مين » أما في عهد « امنحتب الرابع » فلا نعرف من كان القائد الأعلى ، لأن هذا الفرعون لم يعقب ذكرا . هذا إلى أن خطابات « تل العمارنة » لم يأت فيها ذكر لاسم القائد العام ، ومما لا شك فيه أن « حور محب » لم يكن وقتئذ قائدا أعلى للجيش ، إذ لم يأت اسمه في النقوش بما يدل على ذلك . ومن الجائز أن « تحوتي مو » الذي كان يحمل لقب « قائد الجيش الأعلى » ، وقتئذ وكذلك لقب « الامارة » كان يشغل هذا المنصب ، وبخاصة إذا أضفنا إلى ذلك أن سوطه قد وجد في حجرة دفن الفرعون « توت عنخ آمون » . أما في عهد « توت عنخ آمون » نفسه فقد تولى هذا المنصب الرفيع « حور محب » ، وكان مركز قيادته مدينة « منف » . ولقد كان لتعيين أفراد من غير الأسرة المالكة في هذه الوظيفة الحربية

وهي التي كانت حتى الآن لا يشغلها إلا ولي العهد أو أمير - أول مبرر لاتخاذ الخطوة الأولى لقيام الأسرة التاسعة عشرة واختفاء الأسرة الثامنة عشرة . (١)

وظائف المسنين

كانت السنة المرعية حتى عهد « اخناتون » أن يحال كل موظف حربي إلى التقاعد بما في ذلك القائد الأعلى للجيش ، إذا كان من غير البيت المال غير أن الفرعون لم يترك أصحاب الكفايات منهم يتقاعدون نهائيا ، فقد كان يوجد للكفء منهم عملا مفيدا في وظيفة ما من الوظائف التي تليق برجل عظيم حنكته التجارب ، وضحي بشمرة حياته في خدمة بلاده ، والذود عن حياضها ، فكان القائد مثلا يعين بعد تقاعده عن العمل في الجيش ، في وظيفة « مدير أملاك » وغالبا ما كان يعين مدير أملاك الفرعون نفسه ، أو مدير أملاك إحدى نساء البيت المال ، وبذلك يصبح وفي يده وظيفة تشعر بالثقة في شاغلها ، وأحيانا كان يعين الواحد منهم مدير الأملاك المعبد ويساوي هذا معبد الإله أو معبد الفرعون نفسه ، وهذا المركز كان يستمد سلطانه من الحكومة التي تضمن من جانبها للموظف المتقاعد معيشته المادية ، فتجعل له دخلا يضمه إلى معاشه ، وبهذه الطريقة كانت الحكومة تضم دخل المعابد ، فتستولي على بعض رأس المال الذي كان محجوبا عنها اغتصابا ، ففي عهد « اخناتون » كان مدير أملاك « بيت آتون » كما كان في الوقت نفسه « مدير أملاك معبد رع » في عين شمس .

وكان « أمنحتب بن حبو » في آخر مجال حياته مدير أملاك أكبر بنات « أمنحتب الثالث » « سات آمون » وهي التي قد تزوجت من والدها كما تقص علينا النقوش ، وبذلك بقي « أمنحتب بن حبو » مدير أملاكها بعد زواجها وكان يدير أملاك الملكة « تي » زوج « أمنحتب الثالث » كاتب حربي يدعى « نخت مين » أما في إدارة أملاك المعابد فكان يتولى شئونها القائد « ساست » بوصفه مديرا لمعبد الإله « أوزير » في عهد « أمنحتب الثالث » بالعبارة . وكذلك كان يتولى نفس

(١) سليم حسن : مصر القديمة ، ج ٥ ، ص ٥٠٣

الوظيفة في المعابد الجنازية لكل من الفرعون « أحس » و « تحتمس الثالث » ثم « تحتمس الرابع » وكان « رع — سو » قائد الفرعون « اخناتون » مديرا لمعبد « أمنحتب الثالث » الجنازى . وكذلك كان « أمنمأنت » قائد الفرعون (حور محب) مديرا لمعبد « تحتمس الثالث » وقد ثبت أنه حتى كاتب الجنود « سبك نحب » كان يشغل وظيفة « مدير أملاك معبد آمون » ولكن هذا العمل كان فريدا في بابه في خلال الأسرة الثامنة عشرة ، فقد كانت العادة أن يعين الموظف الحربى القديم بعد انتهاء مدة خدمته في الجيش العامل في وظيفة إدارية ، وقد بقى هذا النظام متبعاً إلى عهد الرعامسة ، إذ ذكر لنا في ورقة « هاريس » (١) أن أملاك المعبد كانت تحت إدارة رجال من قواد الجيش الذين أحيلوا على المعاش ومن الغريب المدهش أن الوظائف التى يتولى إدارتها المتقاعدون من الموظفين الحربيين لم تكن ذات أهمية كبيرة . وتدل الظواهر على أن المصالح الحكومية والإدارات التى كان فيها للتعليم أو التخصص وشرف المحتد شأن ، كان يقصى عنها المتقاعد ، ولم يشذ عن هذه القاعدة إلا « حور محب » كاتب المجندين فى عهد « تحتمس الرابع » فقد كان على اتصال وثيق بالبيت المالك ، إذ عينه سيده « تحتمس الرابع » مريياً لإحدى بناته ورقاه فى الوقت نفسه على ما يظهر إلى رتبة « قائد فرسان » إذ كان يجرد فيه خادماً مخلصاً ، فهو الذى قاد جيوش الفرعون لمحاربة كهنة « آمون » لأول مرة . وقد وصفت هذه الحروب على إحدى اللوحات التى أقامها « اخناتون » على تخوم بلدة « اخناتون » عاصمته الجديدة ، غير أن هذا النقش قد وصل إلينا مهشماً ، ولم يبق منه إلا بعض كلمات تمكننا أن نلتبس منها ما كان يقصده هذا الفرعون .

(١) قرطاس يضم حجة بأوقاف المعابد من عهد رمسيس الثالث نسخت فى عهد ولده رمسيس الرابع ، وتعد هذه الحجة من وثائق التاريخ الاقتصادى الهامة ، وقد عثر عليها قرب مدينة هابو ، وسمى القرطاس باسم مشتريه البريطانى هاريس ، ثم آل إلى المتحف البريطانى .

على أننا لا نعلم بالضبط من النقوش مقدار نفوذ هذه الوظيفة لأنه كما يشغلون
إلينا نص صريح في ذلك ، ومع ذلك يمكن القول بأن صاحبها كان يسيطر على
وظائف الكهانة في طول البلاد وعرضها ، وعلى مرافق الكهانة الحيوية
والاقتصادية في كل مقاطعات القطرين ، وكانت هذه الوظيفة حتى عهد « تحتمس
الرابع » في يد رئيس كهنة « آمون » في « طيبة » . ولكن لما أعلن هذا الفرعون
الحرب على الكاهن الأعظم وانتصر عليه إستولى على هذه الوظيفة وقلدها
« حور محب » كاتب المجندين ، ومربي الأميرة ابنة الفرعون لما كان يعهده فيه
من الإخلاص والولاء . ومن ذلك يتضح أن الفرعون قد عاد ثانية واتخذ من
موظفي الجيش رجلا من المخلصين له يقوم بأعباء هذه الوظيفة الخطيرة ، على أن
يتولى « حور محب » منصب رئيس كهنة القطرين لم يمه الحرب بين البلاط والكهنة
إذ أعادها ثانية « أمنحتب الثالث » للكاهن الأعظم للاله « آمون » « بتاح سو » ،
ولكنه لم يلبث أن نزعها مضطرا من كهنة آمون « ثانية كما لمح بذلك « اخناتون »
في لوحة الحدود السالفة الذكر ، وقلدها هذه المرة الكاهن الأعظم للاله « بتاح »
بمنف ، وهو « تحوتى سو » ابن « بتاح سو » السابق الذكر ، وكان يرمى من
وراء ذلك أن يبعد هذه الوظيفة عن كهنة « آمون » بطيبة مقر حكمه ، وبذلك
يستريح باله من مناوآتهم ومشاركتهم إياه السلطة . وسنرى فيما بعد أن هذا الفرعون
أقصى كذلك « مدير البيت العظيم » للأُملاك الفرعونية عن مقر ملكه ، وجعل
مركزه « منف » عندما شعر بازدياد سلطانه ونفوذه في العاصمة .

وخلاصة ما سبق ذكره عن مجال حياة الموظف الحربى ، وما كان يقوم به
من الأعمال بعد التقاعد ، وأنه كان لا يعد في سلك كبار الموظفين ، وإن كان
صاحب سلطان مدة خدمته العسكرية ، ولا يمكن التقليل من شأنه ، غير أنه عندما
كان يترك العمل في الجيش ، لم يكن يقلد وظيفة ذات نفوذ ، وذلك لأنه لم يكن
من فئة الموظفين الذين كانت تسند إليهم وظائف ذات نفوذ في البلاط الفرعونى
أو الذين كانت لهم قوة عظيمة خارج حدود وظيفتهم في أواخر الأسرة الثامنة
عشرة ، مما يمهدهم الطريق للإستئثار بالسلطة لأنفسهم ، لذلك كان يلزم للوصول
لجمع السلطة ، والقبض على زمام الأمور في البلاد صنف آخر من رجال الجيش ،
وهؤلاء هم رجال الجيش العامل .

جندى الميدان

كان الجندى يقترع من بين طائفتين مختلفتين من الشعب . فطائفة منهم كانوا يجندون من بين أولاد الجنود القدامى ، وهؤلاء كان لزاما عليهم أن يحلوا محل آبائهم ، وكانوا أحيانا يحتلون مراكزهم ، وطائفة أخرى كانوا يجندون من بين الشبان الذين قضوا فترة طفولتهم فى البلاط الفرعونى ، يتلقون العلم ويدربون مع أمراء البيت المالك أنفسهم ، فكانوا بذلك يؤلفون فرقة مختارة من الغلمان المثقفين ، ومن ثم نشأت العلاقات الشخصية بين الفرعون وضباط الميدان ، وهذه العلاقات كان لا ينقطع سببها فى الميدان مادام الفرعون يقود جيشه فى ساحة الوغى . وهذه الوسيلة كانت سببا هاما لا يستهان به فى ترقية هؤلاء الضباط ، لأن الفرعون كان قد تربى معهم فى صغره ، كما كان يقودهم فى رجولته .

وكان آباء هؤلاء الأطفال الذين ينشئون فى صغرهم فى بلاط الفرعون يحملون لقب « غلام بيت التعليم الفرعونى » أى الأطفال الذين تعلموا مع الأمراء فى قصر خاص فى أثناء طفولتهم . وكان هؤلاء التلاميذ يحملون هذا اللقب بكل فخر وكبرياء مدة رجولتهم ويدعون به كما كانوا يحملونه وهم لا يزالون غلمانا فكان « سن من » أخو « سنموت » أكبر رجل فى الدولة فى عهد الملكة « حتشبسوت » يلقب بهذا اللقب على أن موجه تحقير كل فرد غير موظف جعلنا نفهم بداهة أن السواد الأعظم من هؤلاء الأطفال كانوا ينتسبون الى طبقة صغار الموظفين والكهنة والمستخدمين اذ نجد والد أحدهم كان كاتب ثيران وآخر كان والده حارس باب الإدارة ، وهناك ثالث كان والده رساما الخ .. ولكن لما كان معظم أولاد الأمراء الذين كانوا فى المرتبة الثانية بين الأمراء يصبحون ضباطا عاملين فى الجيش كان الجمل الغفير من هؤلاء الغلمان المدربين أولاد الطبقة الدنيا ينخرطون معهم فى هذا السلك الحربى ، هذا الى أنهم كانوا يشغلون معهم مراكز صغيرة تتناسب مع طبقتهم فى البلاط الفرعونى

يضاف الى ذلك أنه قد ظهر بين هؤلاء الغلمان عدد ضئيل جدا ممن كانوا يشغلون وظائف حكومية ، هذا الى أنه كان يوجد بينهم بعض الأجانب . ويحتمل جدا أنهم أرسلوا رهائن الى مصر ، وقد شغل بعضهم فيما بعد وظيفة مرب في البلاط الفرعوني فكان الواحد منهم يحمل مع وظيفته الممتازة لقب مرب لأميرة أو أمير في القصر ، وقد كان عدد هؤلاء المربين عظيمًا جدا في عهد الأسرة الثامنة عشرة .

أما عن كيفية تعليم هؤلاء الصبية فلم نجد في الرسوم التي عثر عليها حتى الآن إلا صورًا تمثل تدريبهم على الرماية بالقوس والنشاب . وعلى أية حال فإن أحسن ما كان يتفاخر به الملوك في هذا العصر هو التدريب الرياضي كما جاء في لوحة «أمنحتب الثاني» وكان هؤلاء الغلمان يشاطرون الملوك هذا التدريب .

الضابط

وأما حياة الضابط العامل في الميدان فكانت عادية ، اذ كان يبدأ مجالته في الجيش جنديًا بسيطًا في أحد الفرق العسكرية في حامية من الحاميات ، أو في سفينة من السفن ، وكان يعرف بجندى تابع لفرقة كذا بحامية كذا ، أو جندى تابع لبحارة كذا في سفينة كذا ثم يلقب حامل العلم في فرقة كذا أو حامل العلم في سفينة بحارة كذا ، ولاندرى إذا كانت هناك درجات للجنود — كما نعرف اليوم . الأمباني والجاويش . . وغيرها .

أما الخطوة الثانية في مجال رقي الضابط العامل بعد رتبة حامل العلم فهي ترقيته الى رتبة « فارس » وقد وضحت هذه النقطة عند ذكر الوظائف التي جاءت مرتبة على حسب تدرجها في مرسوم « نوري » الذي صدر في عهد « سيتي الأول » وكذلك جاء هذا الترتيب على بخار ، غير أننا نلاحظ في مرسوم « نوري » وجود رتبة أخرى قبل رتبة فارس ، وعلى ذلك يكون مجال رقي الجندى كما يأتي . أولاً حامل العلم ، ثم رئيس اسطبل ، ثم رتبة فارس . (١)

(١) سليم حسن : مصر القديمة ، ج ٥ ص ٥١٠ - ٥١٤ .

وكان الفارس يظهر بوصفه قائد جنود في الحاميات التي على حدود الدولة أوفى المقاطعات على أننا لا نعرف بصفة قاطعة الى أى مدى كانت سيطرة هذا القائد على الجنود والأسرى، كما أننا لا نعرف على وجه التحقيق عدد الفرق التي كانت بقيادته هذا الى أننا لا نعرف اذا كان الجنود الذين كانوا بقيادته يشملون جنودا مرتزقة من غير المصريين .

أما فى بلاد النوبة فكان يعمل هذا الفارس بأمره نائب الملك فى « كوش » وكان يحمل هناك اللقب الثانوى « مدير البلاد الأجنبية الجنوبية » وكان فى الوقت نفسه يحمل لقب « قائد معقل فى النوبة » .

أما فى « سورية » فكان القائد يحمل لقب « قائد » ومدير البلاد الأجنبية الشمالية أى قائد الجنود الذين كانوا يعسكرون فى المدن والحاميات فى بلاد « سورية » والواقع أن « سورية » لم تكن منظمة تنظيميا دقيقا كما كانت الحال فى بلاد النوبة ولم يكن يحكمها نائب ملك يسيطر على عامة أمورها ومن أجل ذلك كان من أول واجبات هؤلاء الضباط أو القواد أن يراقبوا الأمراء الوطنيين الذين كان فى يدهم حكم البلاط ، لهذا كان الفارس « آمنسو » يطلق عليه لقب « اذننى الملك » فى عهد الفرعونين « تحتمس الثالث » وابنه « أمنحتب الثانى » وهذا اللقب يعيد إلى الذاكرة بوجه خاص لقب « رايسو » ، وهذا اللقب بعينه كان يعطيه قائد المدينة (معناه التربص أو التسمع) وهذا الريسو كان يقابله فى المصرية وقتئذ لقب « فارس » إذ نجد أن القائد « معى » كان يلقب « رايسو » فى خطابات « تل العمارنة » وكان هو نفسه يلقب فى عهد « أمنحتب الثالث » بالمصرية « الفارس مبعوث الفرعون فى الأراضى الأجنبية » مما يدل دلالة واضحة على أن اللقبين كانا يحملان معنى واحدا . ولكننا لا نعلم بصفة مؤكدة من كان تحت أمرته ، ومن الجائز أن هذه البلاد الشمالية كانت بأمره قائد ويستند هذا الاستنباط إلى أن القائد « تحونى » الذى عاصر الملك « تحتمس الثالث » كان قائدا فى هذه الجهات ، وفى آن واحد كان مديرا للأراضى الأجنبية الشمالية ، وبهذا يكون قد ظهر بوصفه قائدا له الكلمة العليا فى هذه الممتلكات . هذا ، وقد وجدنا فى خطابات « تل العمارنة » أن قائدا

قد كتب لأحد الأمراء السوريين بلهجة الأمر مما يشعر بأن القائد كان هناك هو صاحب القول الفصل . ولكن المدهش في الأمر أن هذا القائد لم يذكر هنا . ولم تذكر لنا خطابات « تل العمارنة » موظفاً كان يسيطر على بلاد « سورية » سيطرة حقيقية إلا « نياخو » ، وكان يلقب « حامل المظلة على يمين الفرعون » . وهو من ألقاب الشرف العالية في البلاط الفرعوني ، على أننا لا يمكننا بأية حال من الأحوال التحقق من هذه الوظيفة التي كان يقوم بها ولا عن مقر وظيفته « يرموتا » ولا شخصيته هو ، وكذلك جاء ذكر « أمنموبى » الذى كان يسيطر على ما يظهر تمام السيطرة على ممتلكات مصر فى « سورية » وقد جاء ذكره فى خطابات « تل العمارنة » فى خطاب أمير « تاعنك » باسم « أمان حتبى » والظاهر أن مقر إدارة الحكومة المصرية لهذه البلاد كان فى غزة فى الجنوب ، وعلى أية حال فإن كل الشواهد تدل على أن كان صاحب السيطرة فى الممتلكات الأميرية فى « مجدو » كما كان له نفس السلطة فى الجنوب فى « غزة » . ومما يؤسف له أنه لم يصلنا أى لقب من الألقاب التى كان يحملها . ويجب أن نشير هنا أيضاً إلى جنود الحاميات التى كانت خارج الحدود المصرية . فقد كانوا على حسب ما جاء فى ورقة « ساليه » ^(١) يسرون على نظام الجنود فى البلاد نفسها ، يتألفون من جنود وضباط أعلام ومديرين ، ونذكر من وثائق الأسيرة العشرين أن هؤلاء الجنود كان يشرف عليهم « فارس » . أما فى عهد أحناتون فكان هؤلاء الجنود يتألفون بصفه قاطعة من جنود أجنبية فى كل المستعمرات المصرية كلها والظاهر أن المدير المسيطر عليهم كان يحمل رتبة أكبر من رتبة « فارس » ولم يصلنا حتى الآن من أسماء المديرين الذين كانوا يشرفون على الجنود الأجانب فى الأسيرة الثامنة عشرة إلا اسم القائد « تحوتى » ، ويحمل لقب القائد ومدير الأراضى الأجنبية فى عهد « تحتمس الثالث » .

ويمكننا أن نستخلص أن النظام الذى كان قائماً فى الأقاليم الغربية « لوبيا » التى كانت تحت سيطرة مصر يشبه تمام الشبه النظام الذى كان قائماً فى سورية على الأقل

(١) سليم حسن : المرجع السابق ذكره ، ج ٥ ، ص ٥١٥ — ٥١٦

فى عهد الأصرة التاسعة عشرة ، فقد كان القائد الذى على رأس القوات هو الفارس ومدير البلاد الأجنبية فى « لوىا » .

تقدير أبطال الممارك :

كان من بين الجنود العاملين نفر يسترعون النظر بما يأتونه من ضروب الشجاعة والمهارة فى فنون القتال مما كان يستهوى نظر الفرعون ويشير إعجابه ، فى كافهم على حسن عملهم وإقدامهم بما كان يعبر عنه عند المصريين بعبارة « ذهب الشجاعة » أو « ذهب النداء » . فكان الفرعون يهب شجعان جيشه مشابك ذهب ، وفئوس ، وخناجر وأساور ونياشين فى صور ذباب وأسود ، وصدریات الخ . وهذه كانت أشكال هدايا الشرف المادى ، أما الشرف الأدى فكانت الألقاب التى يمنحها الفرعون من فاق من رجاله برجحان عقله وحسن تدبيره للأمور وأهمها لقب « شجاع الفرعون » . غير أن ألقاب الشرف الأدى لم تكن قاصرة على الجندى العامل ، بل كان يمنحها كذلك للموظفين الذين يصحبون الفرعون فى غزواته ، ويقومون بأعمال مجيدة تدل على الشجاعة ، أو كان ينالها موظف وهو يؤدى خدمته بهمة فى أثناء معاملاته التجارية برؤوس أموال أخذت من الأعداء فكان ، بعض الضباط يمنحون لقب « صاحب الغنائم » وقد حمل هذا اللقب الفرس « آمون محب » الذى أصبح فيما بعد نائب الجيش فى « كوش » ، وكذلك كان ينقلده حامل العلم « سور منوت » فى عهد « امنحتب الثانى » . ومن هذه الألقاب كذلك لقب « محارب الحاكم » (أى الفرعون) وكان يحمله الضابط « أحس » فى أوائل الأصرة الثامنة عشرة وكان يمنح الجندى الشجاع لقب « المحارب القديم » .

آلهة الحرب

كان لقدامى المصريين آلهة حرب ، كما كان لكثير من الشعوب القديمة ، كالإغريق والرومان ، وقد ورد ذكر آلهة الحرب المصرية في كثير من النصوص ورسمت على جدران المعابد ، وغيرها من الآثار . وكان في طبيعة تلك الآلهة :

الالهة منتو :

هو الاله الشديد ذو القوتين ، وقد وجد في وقت ما مع الاله « رع » ، فأصبح يدعى « منتورع » ، وكان يعبد الناس في جهات عديدة كطيبة ومدامود ... الخ ، ولاسيما في عصر الأسرة السادسة . ويظهر الاله « منتو » على هيئة رجل برأس باشق عليه تاج يتكون من قرص الشمس مع ريشتين ، وهناك صور أخرى يظهر فيها هذا الاله برأس باشق ، وقد أمسك في يده اليمنى سلاحا حربيا ، كما أن هناك صورة أخرى رسم فيها « منتو » وهو يحمل حربا طويلة صنع حدها من البرونز يطعن بها أحد الأعداء المقيدين . وعندما عبد هذا الاله في مدينة « زرت » ^(١) تغير شكله ، وإن لم تتغير طبيعته فقد ظل إلها للحرب ، ولكنه رسم في صورة رجل يعلو جسمه رأس ثور ، وقد أمسك في يديه عددا من الأسلحة كالقوس والسهام والمراوات واللدى وغيرها من أدوات القتال ^(٢) وقد ذكر هذا الاله في وصف طويل لمعركة قادش ورد فيه أن « الملك رمسيس الثاني أشرق كما يشرق الاله رع (الشمس) وأخذ أسلحة الأب « منتو » سيد طيبة ، وقد استل أسلحة في يده واعتلى مركبته الحربية ووجهها إلى قلب المعركة ففر الأعداء وكتب له النصر عليهم »

(١) الطود الحالية وتقع على مسافة ٢٠ كيلو مترا جنوب الأقصر .

(٢) محرم كمال : آلهة الحرب عند قدماء المصريين . مجلة الهلال ، مارس ١٩٤٠ .

وقد أقيم معبد هذا الاله الرئيسى منذ عهد الدولة الوسطى فى مدينة مدامود^(١) ومن المحتمل جدا ، أن هذا المعبد بدأ تشييده الملك « سنوسرت الثانى » من ملوك الأسرة الثانية عشرة ، وقد صورت على جدرانها عدة رسوم للاله « منتو » بشكل الباشق وشكل الثور أيضاً .

وقد كانت تختص مدينة مدامود بعناية ملوك مصر الحار بين الذين اشتهروا بالفتح ومن هؤلاء « تحوتمس الثالث » الذى أعاد بناء المعبد ووسعه من بعده « أمنحوتب الثانى » الأسرة الثامنة عشر « وتحوتمس الرابع ، وسبق الأول ، ورمسيس الثانى الذى أقام فيه معبدا جديدا ، وبطليموس الثالث والخامس وبعض ولاة الرومان .

وكانت تقام الأعياد سنويا لهذا الاله برئاسة الفرعون فى المعبد وفى القصر . وقد استمرت تلك الحفلات تقام كتقليد متبع فى العصور التالية فكان القوم يخرجون بعد الحفلة الدينية فى المعبد ، فى جماعات وقد ارتدوا ملابس العيد فيهللون ويشربون ويمزحون حتى ساعة متأخرة من الليل .

الالهة سخمت :

والالهة سخمت التى تمثل أصلا حرارة الشمس المحرقة أراد البعض أن يعطيها صفة الحرب على اعتبار أنها الهة البطش والتدمير ، ولها فى الآداب القديمة أساطير طويلة .

الاله ريشيف :

والعروف أنه أدخلت آلهة أجنبية إلى مصر نتيجة لغزواتها فى البلدان المجاورة ومن بين هذه الآلهة — المعبود المعروف باسم « ريشيف » ويرجع أصله إلى كنعان وقد كانت لهذا الاله عدة صفات كما أنه وصف بمميزات الاله « أبولو » الأغريقى ، وقد وجدت للاله ريشيف فى مصر عدة نقوش من أهمها : لوحة صغيرة صور عليها

(١) مدينة تقع بالقرب من الكرنك .

الاله فى شكل رجل متقدم بقدمه الأيمن فى يده اليمنى خنجر وفى اليسرى ترس وعلى رأسه ما يشبه تاج الوجه القبلى وأمامه مذبح صغير، ويرجح أن هذه اللوحة كانت قديما فى معبد دير المدينة بالنوبة .

ولریشيف بقايا لوحة فى متحف برلين (رقم ١٤٤٦٢) ، وقد ظهرت عليها رأس الاله عليها لباس الرأس الذى يشبه تاج الصعيد وفى يده اليمنى الدبوس وقد كتب فى أعلا اللوحة الاله العظيم ریشيف الذى يقبل الدعوات .

وبالمتحف المصرى لوحة تحمل رقم ٧٠٢٢٢ يظهر فيها ریشيف حاملا الدبوس فى يده اليمنى وعلى رأسه نفس غطاء الرأس المذكور سابقا . وعلى جبهته نجد رأس غزال وهى احدى مميزاته ، وفى يده اليسرى نجد ترسا مستطيلا ينعطف مقدمه نحو وجه الاله ، وقد كتب على اللوحة عبارة « ریشيف الاله الأعظم » أما الدبوس الذى فى يد ریشيف فهو فى الغالب غريب عن مصر ويرجع ظهوره بها إلى أيام الدولتين الحديثة والوسطى (١)

(1) Leibovich. J : Quelques nouvelles des représentations du Dieu Rechef
فى حوليات مصلحة الآثار المصرية ، الجزء ٣٩ ص ١٤٥ — ١٦٠ .

الحصون في مصر القديمة

الدولة القديمة :

شيد المصريون القدامى الحصون في أهم الأماكن التي كانت معرضة للغزو ، حيث كان يتيسر لهم صد العدو . وكانوا يختارون المواقع التي قد يستطيع الأعداء أن ينفذوا منها للبلاد ، وبخاصة عند أفواه الوديان المشرفة على الصحراء والتي يمكن البدو أو غيرهم أن ينقضوا منها على البلاد للنهب ، وكانت تعرف هذه الأماكن « بأبواب المملكة » ومن الحصون التي شيدت في أوائل حكم الأسرات (١) حصن العرابة المدفونة ، وموقعه هو كوم السلطان الحالي ، وعرفت باسم حصن أيدوس ، والمعروف عنه أنه شيد في أثناء الدولة القديمة قبل أيام الأسرة الخامسة لان بعض نبلائها استخدموها مقبرة لموتاهم ، فجردوه من خصائصه العسكرية ، وكانت النتيجة أن شيد حصن عسكري آخر على بعد عدة مئات من الأمتار في الجنوب الشرقي منه ...

كان الملك زوسر (الأسرة الثالثة) ، أول من نظم وسائل الدفاع عن مصر ، فقسم حدود البلاد الى مناطق أطلق عليها أسم أبواب المملكة . وجعل في كل منها حامية ، وعين بكل من هذه المناطق حاكما خاصا يلقب « بمرشد الأرض » . وكانت لمؤلاء الحكام الكلمة العليا على حكام المقاطعات وكانت في يدهم ادارة الشرطة ، كل في مقاطعته ، ولذلك كانوا مسئولين عن النظام والأمن في هذه المناطق ، وكانت تلك المناطق تخضع مباشرة لهذا الموظف . وقد شيدت لتلك الحاميات العسكرية حصون منيعة لحامية المناطق والدفاع عنها . وكان في كل حصن حامية من الجند تقوم بأعمال الخدمة وتخزين المؤن التي تكفي الجند مدة طويلة ،

(1) Maspero : Dawn of Civilisation, p. 450.

وقد وصلت لنا أسماء بعض هذه الحصون منذ الأسرة الثانية — فقد عثر فعلا على نقش عليه اسم حصن « سخر حتب » ، وكذلك عثر على اسم حصن آخر من الأسرة الثالثة نقش على خاتم لكاتب هذا الحصن .

كانت كل هذه الحصون « أبواب المملكة » مفامة على طراز واحد ، ولا تختلف بعضها عن بعض اختلافا كبيرا في مقدار مساحة كل حصن وبمك جدرانه الخارجية . وكان تخطيط الحصن يشبه سطحاً متوازي الأضلاع ، وكان سورہ الخارجى فى أغلب الأحيان مشتملاً على دعائم عمودية من المبانى تربطها مدايمك البناء باللبن .

وقد عرف عن الملك زوسر أيضاً ، أنه شيد سورا من أسوان الى الفيلة ، قدر طوله بحوالى ١٢ كيلومترا ليضمن السيطرة على منفذ هام فى الحدود الجنوبية ، ويعتقد بعض علماء الآثار أن السور العظيم الذى بناه أمنمحات الأول على حدود الصحراء شرق الدلتا ، لم يكن الا تجديدا لسور أقيم فى أيام الدولة القديمة .

وعرف عن الملك سنفرو (الأسرة الثالثة) ، أنه بعد عودته من إحدى حملاته ضد النوبيين ، شيد بعض الحصون فى الوجهين القبلى والبحرى ، وأطلق على كل منها اسم « حصن سنفرو » ، وكما أنه شيد عدة حصون فى شرقى الدلتا بين البحيرات المرة ووادى طميلات . وقد أدرك فراعنة الدولة الوسطى ، الفوائد العسكرية لتلك المنطقة ، فشيدوا هناك « سور الملك لصداعتاءات الآسيويين » .

وينسب بعض رجال الآثار حصن السكاب الى فراعنة العصر الذين ينسبون الى ما بين الأسرة السادسة والعاشرة . وقد كان هذا الحصن ، كما وصفه ليسيوس أحد رواد الآثار المصرية ، يتألف من فناءين مربعين محاطين بالأسوار ، أحدهما داخل الآخر ، ويصل بينهما طريق سفلى على شكل قوس دائرة ، ولا يقع الفناءان على محور واحد ، بل يتجه الفناء الداخلى اتجاها شديدا نحو الجنوب . وكان السور الخارجى منيعا ، يبلغ ارتفاعه تسعة أمتار ، وعرضه ١١ مترا ونصف متر ، وله ممر متسع وتمتد أطوال أجنابه مسافة ٥٦٠ مترا ويبلغ امتداد أنصرها ٤٨٠ مترا .

ويعتقد أنه كان للحصن أربعة أبواب او فتحات ، وليس هناك آثار تدل على وجود سلام حجرية ، ولكن يظن انه كانت هناك بعض الدرج التي تؤدي الى الطنف العلوى .

ويبين الأسلوب المعمارى فى حصن الكاب طريقة خاصة فى فن البناء ، نجد لها مثلاً آخر فى كروم السلطان فى أحد حصون أييدوس ، وذلك أن الجدار كان يقسم الى عدة أقسام روعى فى الأسطح العليا لأحجارها أن تكون مقعرة تقعرا شديدا ونستطيع القول عن طريقة الدفاع عن الكاب وأييدوس أن الأمراء المصريين لم يكتفوا بالأسوار المنيعة فحسب ، بل عمدوا الى بناء بعض المنشآت العسكرية بالإضافة الى تلك الأسوار ، كاشيدوا الحصون فى بعض الأماكن المناسبة لإقامتها ، من ذلك أنه أقيم حصن صغير يقع على بعد سبعة أمتار من الكاب وفى الجهة المقابلة من النيل ، ويحتمل أنه شيد لرجال الاستطلاع حينما يلجأون الى الراحة بعد العمل .

وشيد فى أييدوس حصن مماثل ، وكان قريبا جدا من أسوار المدينة ، حتى ان بقاياها مازالت مختلطة ببقايا المدينة نفسها . وظاهر أن هذا الحصن كان يعتبر عاملا أساسيا لاغناء عنه فى الدفاع عن المدينة ، وقد استعمل ثكنة للجند وحصنا يشرف على المدينة ، وفى الوقت نفسه يقوم كخط دفاعى أول أمام العدو اذا أراد الهجوم .

وقدبقى هذا الأسلوب خير النظم الدفاعية مدة طويلة من الزمن ، فلما اتسعت المدينة فى الاتجاه الجنوبى الغربى، واتخذت القلعة القديمة مكانا لدفن الموتى ، شيدت أخرى فى ضواحيها على مسافة لا تبعد كثيرا عن دور الأهالى .

الحصون فى الجنوب

يعترض مجرى نهر النيل ستة شلالات أو جنادل . يقع سادسها على بعد حوالى ٧٦ كيلو مترا شمال الخرطوم . وخامسها يقع جنوب مدينة بربر على مسافة ٤٥ كيلو مترا والرابع يسمى كربكان يقع بين أبو حمد ومروى ، وهو يمتد مسافة ٢٢٠ كم ، والملاحة فيه عسيرة للغاية . والشلال الثالث ، ويدعى حنك يقع على مسافة ٦٦ كيلو مترا شمال دنقلة . أما الشلال الثانى ويعرف بالشلال الأعظم فيقع شمال وادى حلفا ويمتد ١٩٠ كيلو مترا ، والملاحة فيه عسيرة أيضا . أما الشلال الأول ، فيقع عند مدينة أسوان شمالها وجنوبها .

كان الشلال الثانى أهم الموانع الطبيعية التى اعترضت الغزاة القادمين من الجنوب ويسمى بطن الحجر ، وتحتف به بقاع قاحلة جرداء . وقد جعلت منه المنحدرات السريعة عراقيل فاصلة وقفت فى أوجه المغيرين الذين حاولوا غزو مصر القديمة من الجنوب . ذلك لأن طبيعة الأرض القفراء ، وصعوبة المسالك النهرية ، وتفاوت مستواها المائى ، أضف اليها وعورة الطرق الموازية ، وخلوها من الزاد . كل هذا لا يشجع الجيش المغامر على غزو مصر .

فلما عززت مصر قوتها ، اتجهت إلى التوسع والتملك وكان الجنوب مطمح ملوكها فقد رأوا أن السودان هو الميدان الطبيعى للتوسع ، وكانوا فى حاجة إلى الذهب والرقيق .

وكان الشلال الثانى (شمالى وادى حلفا) حدا ذا فائدتين ، إذ تصلح منطقته قاعدة للدفاع ضد غزوات الجنوب ، ونقطة تستخدم قاعدة تبدأ منها الغارات والمعارك تساعد المغيرين إلى الشمال أو إلى الجنوب ، فضلا عن أنها مركز تجارى هام

وقد اهتدينا إلى معرفة المراحل المتتالية لغزو النوبة في أثناء حكم الأسرة الثانية عشرة ، فقد غزا أمنمحت الأول بلاد الماشين ويواين وهيريوشا ، ثم مد حدود البلاد قريبا من كورسكو .. وجاء أسورتسن الأول ، فتابع تقدمه إلى بوهين أو وادى حلفا ، أى أنه مد حدود مصر إلى الجنوب بمائة ميل أكثر من سلفه . وكان على ما يحتمل أول ملوك مصر الذين شيدوا قلعة ثم أسسوا مدينة جنوبى كورسكو . ولما تولى أسورتسن الثالث الملك شق لأسطوله طريقا بين صخور الشلال الأول وظل يدعم نفوذه إلى ما بعد ذلك ، ثم شيد حصنين متقابلين فى آخر حدود دولته على شاطئى النيل ، أحدهما فى ممنة والآخر فى قة جنوب وادى حلفا . وكان أمنعها وأضخمها الحصن الغربى الذى عرف باسم « خع كا ورع القوى » وهو اسم أسورتسن الثالث الملكى . وشيد فى داخله معبدا للاله « ددأون » النوبى ، ولا تزال آثار الحصنين باقية الى اليوم ، تشهد ببراعة القدامى فى فن البناء العسكرى وفى اجادة اختيار المواقع العسكرية .

ثم امتد بناء الحصون الى الجنوب لعدة أميال ، وسندكر فيما يلى أهمها بين جزيرة الفنتين بأسوان والشلال الثانى ، ومعظمها شيده ملوك الأسرتين المصريتين : ١٢٦ ١١ :

كوشتمنا أو ايكور — سابا جورا — كوبان — كورسكو — عماده — ابريم — أرمانا . وشيدت الحصون الآتية فى منطقة الشلال الثانى بين بوهين وممنه :
بوهين — مايانرتى — دورجينرتى — معتوقه — دبنارتى — ورنارتى ، وممنه الشرق وممنه الغرب .

وقد قام نفر كبير من علماء الآثار بكشف تلك الحصون ودرسها دراسة وافية ، نذكر منهم بورخاردت ولبسيوس وهوسكنز ودى فوجيه وسومرز كلارك ورايزنر وجاردنر وايرمان وجريفيث وإيمرى وغيرهم .

ولم يقف بناء الحصون المصرية عند الأسرة الثانية عشرة ، بعد استتباب الأمن وازدهار التجارة ، ولا سيما بين الشلال الأول والرابع تقريبا ، بل استمر بناؤها وقد عثر على ثبت بتلك الحصون التي شيدت في تلك الأماكن يرجع تاريخ بنائها الى حوالي مائة عام قبل بداية الأسرة الثامنة عشرة ، عثر عليه في الرمسيوم العالم كوييل عام ١٨٩٦ ضمن مجموعة أوراق البردي . وقد شيد هذه الحصون سنوسرت الثالث لتحصين بلاده . وقد ذكرت مرتبة حسب مواقعها الجغرافية من الجنوب الى الشمال (١) .

وفيما يلي أسماء تلك الحصون التي جاءت في البردية :

١ — حصن دابر خاست (؟) وقد جاء اسمه في مقال جيد للعلامة بورخاردت كيدنكالو (٢)

٢ — حصن « سخم خع كاورع » — مع خرو = سمعة (٢) .

٣ — حصن « إتنو بزوت » = قبة الحالية ومعناها صد الأقواس وتسمى كذلك سمعة الشرق .

٤ — حصن « خسف أوتنبو » = ورنرتي ويطلق عليها جزيرة الملك .

٥ — حصن « وعف — خسوت » = « شلفك » (مرشد) . (شلفك)

٦ — حصن « در — وتبو » (؟) = مرجيس .

٧ — حصن « أقن » = دنبارتي = دابي .

٨ — حصن « بهين » = وادي حلفا الحالية . (بوهين)

٩ — حصن « سرّة الغرب » (؟) « وادي حلفا » (شرق) .

(١) سليم حسن : مصر القديمة . ج ٣ ص ٤١٦ — ٤١٨ .

(2) Burchardt : Altagypté Festungen ander Zweiten Nilchnelle.
Leipzig, 1923.

(٣) كانت سمعة في عهد الدولة الوسطى آخر الحدود كما يعلم من لوح سنوسرت الثالث البطل الفاتح

- ١٠ — حصن خسف مزاي « سرّة الغرب » (صد للمازوى) .
- ١١ — حصن معام : عنينة الحالية وتقع على الشاطئ الغربى ولا تزال بقاياها إلى الآن .
- ١٢ — حصن باكى = كوبان .
- ١٣ — حصن سنمت = ييجه الحالية .
- ١٤ حصن آبو = إلفنتين أو أسوان الحالية .
- ١٥ — حصن زد — كوبانية (؟) .
- ١٦ — حصن (اسم مفقود) .
- ١٧ — حصن — ختى = جبل السلسلة أو بلدتها .

ونحن إذا درسنا بقايا هذه الحصون والقلاع لوجدنا هناك نوعين مختلفين فى الطراز والأسلوب . النوع الأول هو تلك الحصون التى كانت تقام فى الوديان ، والنوع الثانى ما كان يشيد فى الجبال . نجد أولهما فى جبال النوبة السفلى حيث كان يقام الحصن على النهر ، وفى حصن فرس يلاحظ أن النهر قد غير مجراه ، فبعد الحصن قليلا عن النهر . أما الحصون الجبلية التى أقيمت فى جهة الشلال فقط ، فقد كان السيل هو العامل الفاصل فى إقامة الحصن وفى كيفية بنائه . وكان على المهاجم فى هذه الحال لأجل أن يستغل السهل ليصل إلى سفح جدار الحصن أن يتسلق عقبات ، كما كان عليه أن يصعد مرتفعات عمودية .. وإلا فإن الميزة الاستراتيجية للحصن تصبح على العكس لا قيمة لها .

ونجد أن معظم حصون « الشلال » قد أقيمت على صخور منحدرية . فليس فيها دائما نظام إقامة السور المزدوج . وفى حصن « مرجيس » يوجد على جانبه الواقع تجاه البرجداران متوازيان يبعد أحدهما عن الآخر ، وقد بنى كل منهما بناء محكما . ولا نعرف تماما إذا كان الجداران قد شيدا فى عهد واحد أو فى عصرين مختلفين ..

وهنا تتساءل كيف يحصل على الماء في الحصون القائمة في الصحراء .
الواقع أنه كان يوجد في الحصن باب خاص يفتح على النهر مباشرة . وكان يوجد
ممر سرى لا يراه الأعداء يبتدىء عند هذا الباب ويستمر مسافة ، وكان منطى
بأحجار مسطحة . ونجد مثل هذا النظام في حصن « سمينة » وفي حصن « ورنرتى »
و « كوبان » والحصن الأخير يقع في الوادى ، ولكنه مبنى فى الصخر . وعلى
ذلك لم يكن فى المستطاع حفر آبار فيه .

وكان بكل حصن معبد . وقد وجد فعلا فى هذه الحصون مبان تشبه المعبد
فى كثير من الأحوال . وقد اتضح أنها للعبادة وذلك بما وجد فيها من آثار
تدل عليها .

وكان يوجد فى كل حصن بصفة مستديمة غير البيوت التى يسكنها الجنود
والقواد ، مخزن غلال وبيت مال .. كما استدل على ذلك من بعض اللبنيات المختومة
التى عثر عليها فى « ورنرتى » .

كانت قلعة « كوبان » تقع على مقربة من معبد الدكة وإلى الجنوب منه ،
وترجع إلى أيام الدولة الوسطى ، ولعلها كانت إحدى الحصون التى شيدها ملوك
الأسرة الثانية عشرة لتأمين منطقة بلاد النوبة السفلى ، ولقد بقيت هذه القلعة
بمثابة حلقة الاتصال بين الوادى ومنطقة مناجم الذهب ^(١) بوادى العلاقى وقد غمرتها
مياه السد العالمى .

قلعة سمينة :

إن الوثائق التى وصلتتنا عن سمينة عديدة ، أهمها تخطيط الأستاذ لبيوس الذى
وضعه حوالى سنة ١٨٥٠ والذى يصور لنا فى لوحة واحدة جميع الأعمال التى أقيمت
على جانبي النيل ، وهناك أيضا الكتاب الذى وضعه الأستاذ دى فوجيه سنة ١٨٥٥
وهو ملىء بالحقائق المهمة التى يوضحها تخطيط خاص لسمينة ورسم يبين تحصينات

(١) د . عبد المنعم أبوبكر : بلاد النوبة ، المكتبة الثقافية رقم ٥٨ ، ص ٥٩ - ٦٠

. ولدينا أخيراً تخطيط قديم للأستاذ كايو Caillaud ويرجع إلى سنة ١٨٢٥
ويعتبر على جانب عظيم من الأهمية رغم أنه غير دقيق إذ يضم مساحة أوسع بكثير
من التي يضمها تخطيط ليسيوس .

ولا يعدو تخطيط دي فوجيه أن يكون مجرد رسم عادي ، ولهذا يحسن
الاعتماد على تخطيط ليسيوس لكل من سمعة وقة ، وأتمام ما يحتاج إليه من المعلومات
من دي فوجيه .

تعرض مجرى النيل مجموعة من الصخور ، وقد تناثرت فيه عدة جزر صغيرة ،
ولهذا يقل اتساع المجرى حتى يصل إلى ٤٥٠ متراً ، ويلاحظ المرء أمام سلسلة الجزائر
بعض الجنادل التي تعرض الملاحة ولا تسمح بها إلا في قناتين ضيقتين على جانبي
النيل لا يزيد اتساعهما معا على ربع اتساع المجرى جميعه .

سمعة شرق :

يقع حصن « سمعة » على الجانب الغربي للنهر بينما يقع « قبة » على الجانب
الشرقي ، وقد شيد الأخير على بقعة شديدة الارتفاع ، والحصنان معا يكادان يغلقان
مدخل النيل أمام القادمين من الجنوب .

وفي تخطيط كايو Caillaud نلاحظ جنوب ذلك الحاجز الممتد من الجزائر
خليجاً واسعاً وميناء طبيعياً يقول ماسبرو عنه أنه كان من المستطاع تجميع الأسطول
المصري فيه عند القيام بحملة ضد إثيوبيا . وكانت قوارب أهل الجنوب وتجارهم
تنتظر أمام هذه الحصون لتحصل على الترخيص لمرورها إلى المياه المصرية .

يقوم حصن سمعة على منحدر يصل إليه المرء بسهولة من ثلاث جهات : هي الشمالية
والجنوبية والغربية ، أما الجهة الشرقية فعمودية تتركب من صخور تنجيه بانحدار
شديد نحو النهر بحيث تجعل الوصول إلى الحصن عن طريقها غاية في الصعوبة ،
ويرتفع جانب الحصن الجنوبي بانحدار خفيف ، بينما نجد الجانبين الآخرين يمتدان

أفقيا نحو التلال التي تفصلها مجموعة من الأخاديد العميقة تصل ما بين المنحدر المقام عليه الحصن وسلسلة الجبال الليبية ، وهناك أيضا أخدود عميق على شكل الحرف ٧ يحمي زاوية الحصن الشمالية الشرقية ، ويمكن أن نرى هذا الأخدود الكبير الذي يبلغ اتساعه حوالى مائة متر واضحا فى تخطيط لبيوس .

ويتكون الحصن من بنائين رئيسيين متساويين حجما ومتعامدين أحدهما على الآخر وكلاهما مربع الشكل ، ويتصل بأحد الأبنية الرئيسية بناء فرعى يمتد من الشمال إلى الجنوب ، ويقع عند قمة المنحدر المقام عليه الحصن جميعه ، وتشرف نهاية هذا البناء من الناحية الشمالية على الأخدود الذى أشرنا اليه . بينما نجد البناء الفرعى الآخر الذى يتصل بالقسم الرئيسى الثانى من الحصن متجها نحو الغرب ومشرقا على الصحراء ، أما أهم جزء فى الحصن فإنه يتجه نحو الجنوب ، وفيما يلى بيان أبعاد الحصن :

طول بناء الواجهة المطللة على النيل	١٢٥ مترا
طول البناء المتعامد على الواجهة	١٣٠ مترا
متوسط اتساع البناء المشرف على النيل	٥٠ مترا
متوسط اتساع البناء المتعامد على الواجهة	٤٢ مترا

وقد يتساءل الإنسان عن السبب الذى دعا إلى تشييد الحصن على هذه الصورة فتصميمه الداخلى عبارة عن شريطين ضيقين من البناء (أحدهما عمودى على الآخر) بينما تتضخم كتلة بنائه تبعا لاتساع محيطه . ولعل الرغبة فى توفير المواد كانت سببا فى تقليل كمية العمل بالداخل أو لعلها كانت لتقليل كمية المواد اللازمة للوصول بالحصن إلى الارتفاع المطلوب .

ومنظر الحصن الجانبي كامل تماما وهو يتألف من منحدر مدعم من الخلف يليه أخدود ثم مرتفع مكسو بالأحجار . أما الاستحكامات المحيطة بالحصن فتتألف من جدران يتراوح ارتفاعها بين ١٥ و ٢٥ مترا ، بينما يتراوح سمكها عند القاعدة بين ٨ ، ٩ أمتار ويصل عند قمتها إلى أربعة أمتار ، وقد بنيت هذه الجدران من اللبن ..

ودعمت بعدد من الخشب وضعت رأسيا وعلى مسافات متقاربة ، وقد اختفت تلك الأعمدة تماما ، غير أنه من المستطاع رؤية أماكنها بسهولة حيث لا تزال توجد آثار الخشب المتحلل ، وقد ازدحم سطح الحصن بالفتحات التي كانت تثبت فيها تلك العمود .

ويتكون من التقاء السطح الخارجي للجدران مع الأرض زاوية قدرها ١٦٠° تقريبا ، وتلك ظاهرة فلاحظها في جميع أبنية قدماء المصريين ، ولعلها ترجع إلى أن مواد البناء المستعملة كانت ، ضعيفة فكان لا بد من تقوية الحصن بجعل قاعدته مميكة ما أمكن ، إذ هي المعرضة قبل كل جزء فيه للهجوم . وقد أقيمت عند قمة الحصن عدة دعائم ممك كل منها متران وذلك لتقوية الأجزاء الخارجية في بناء الحصن الأعلى .

وأمام الجدار أخدود يبلغ اتساعه حوالى ٣٠ أو ٤٠ مترا ولا يستطاع تحديد عمقه بالضبط ، أما المنحدر فكان يكسى بأحجار جافة ، تجعل الوصول إلى الحصن أشد صعوبة وزيادة على ذلك كانت نهاية الأخدود تغطى بالأحجار كما كان الحصن كله يحاط بأبنية حجرية تقوم كخط دفاعى أمامى لا بد من تخطيطها أولا قبل أن يستطيع المهاجم الوصول إلى جدران الحصن نفسه .

وكانت تلك الأبنية الحجرية تكون في الناحيتين الشمالية والغربية من الحصن حائطا خارجيا يرتفع مترين فوق منطقة البناء . أما في الناحية الشرقية فعلى العكس من ذلك كانت تلك الأبنية تؤلف سطحا عموديا يضاف إلى المنحدر الصخري ، ونلاحظ ذلك أيضا في الناحية الجنوبية حيث أصبح الوصول إلى الحصن عن طريقها غاية في الصعوبة . وسنترك الكلام عن آلات القتال التي وجدت واستعملت آنشد ...

هناك زاوية ضخمة من البناء الرئيسى ، ونحن لانعرف إذا كانت بشكلها هذا تتفق مع طرز العصر المعمارية ، على أنها كما يبدو كانت فريدة في نوعها . ورغم ما يذكره دى فوجيه De Vogue فإن الإنسان لا يستطيع أن يجد مبررا لذلك الوضع الشاذ الذى كان يحول دون وقوع نظر الانسان الى الأسفل من الجدار إذا أطل من جزئه العلوى .

التحصينات الجانبية :

ولاريب أن المنظر الجانبي للحصن كان يتفق تماما مع المناريس القليلة الارتفاع التي يجدها الإنسان دائما عند نهاية الجدران ، وقد اختفت الآن الأجزاء الجانبية بحيث تضارع متانتها البناء الأصلي وتعتبر في الواقع جزءا منه وقد كان ذلك أمرا أساسيا يراد به اظهار قيمة تلك التحصينات الجانبية التي لاغنى عنها في الدفاع .

وإذا فحصنا تخطيط العالم لبيسوس وجدنا أن دعامات الحصن غير متشابهة فان ارتفاعها يبلغ ١٥ مترا كما يصل السمك الى أربعة أمتار في بعض الأحيان وخاصة في القسمين المجاورين للحائط الجنوبي الرئيسي ، أما معظم الدعامات الباقية سواء في الجهة الغربية أو الشمالية فيتراوح سمكها في الأجزاء العليا بين سبعة وثمانية أمتار ، بل أن إحدى الدعامات بالحائط الجنوبي أضخم من ذلك ، وهناك ثلاث دعامات أخرى تبدو كأنها أبراج مربعة الشكل تتصل ببناء الحصن الرئيسي بواسطة جدار أقل سمكا من الجدران الأخرى ، وفي حصن كوبان مثل واحد لهذا الطراز . ويمكننا أن نوجه نقدا شديدا الى نظام اقامة تلك الدعامات ، فان الطنف أو الطوار العلوى كان من الضيق بحيث لا يسمح بوضع منجنيقين لدفاع أحدها معاكس للآخر في الاتجاه مع اعطاء الحيز اللازم لاستعمال كل منها بحرية ، على أن القسم الجنوبي من ذلك الطوار وان كان أفضل من ذلك تسليحا الا أن رجال المنجانيقات الذين كانوا يعملون فوقه لابد قد تعرضوا للخطر أكثر من المدافعين عن بناء الحصن الرئيسي .

والحق أن اقامة التحصينات الجانبية على الوجه الذي ذكرناه كان خطأ ، فان الانسان لا يستطيع أن يحصل على نظام دفاعي محكم بواسطة أبنية لا تتصل مباشرة بالجدران الرئيسية مهما كانت تلك الأبنية قوية متينة ، ولهذا كان على الحصن الرئيسي أن يحمى نفسه بواسطة تحصينات تقوم على أسس تخطيطات معمارية خالصة . وقد حل هذا الاشكال بوجه ما في حصن أومنوس Omnos .

ويجب أن نلاحظ أن الدعامات كانت متقاربة جدا في أماكن عدة من الحصن وبخاصة من الجهة الغربية مما اضطر رجال المنجانيقات الى التصويب بزوايا حادة

جدا ، ولعل المهندس المعمارى قد اتبع فى ذلك المبادئ التى اتبعت فى تشييد حصن .
أبى دوس وكوبان معنقدا أن الإكثار من الدعامات يجعل الحصن عزيز المنال كما
أنه لم يستطع التجاوز عن فكرة التحصينات الجانبية . ولاريب أن ذلك يجعلنا
نعتقد أن حصن سمعة لم يكن سوى تجربة أولى لاقامة التحصينات الجانبية التى وإن
فهم السبب فى تشييدها بالبناء الرئيسى ، فإنها لم تدرس بعد الدراسة الوافية من جميع
النواحي .

المدخل والقسم الداخلى من الحصن :

قال دى فوجيه أنه رأى باين فى الجدار الشمالى الصغير ، تفصل بينهما مسافة
تقل عن خمسين مترا ، على أن تخطيط لبسيوس الذى يعطينا صورة واضحة للمدخل
الغربى لا يظهر لنا فى الجدار الشمالى سوى فتحة غير واضحة المعالم ، ومن المحتمل
أن الباب الذى رسمه ذلك العالم ، كان المدخل الوحيد فى الجهة الشمالية لان الانسان
لا يستطيع أن يدرك أية فائدة لوجود الباب الآخر .

والواقع أن ذلك الجانب الشمالى هو نقطة الخلاف بين كل من لبسيوس .
ودى فوجيه ، إذا اختلف كلاهما على مكان الدعامات التى كانت تحمى الباب .
ولنتفق مع ماذهب إليه لبسيوس ونقول أن اتساع الباب كان يتراوح بين ثلاثة
وأربعة أمتار ، وعلى جانبه يمر يباغ اتساعه تسعة أمتار ، وكان الجانب الأيسر
لذلك المر يمتد مسافة خمسة عشرة مترا ، وينتهى ببرج وهذا يشبه مايجده
فى حصن كوبان .


ورغم عدم وضوح تخطيط لبسيوس فإنه يوضح لنا أن الحصن كله متصل بالحنديق
الذى يحميه .

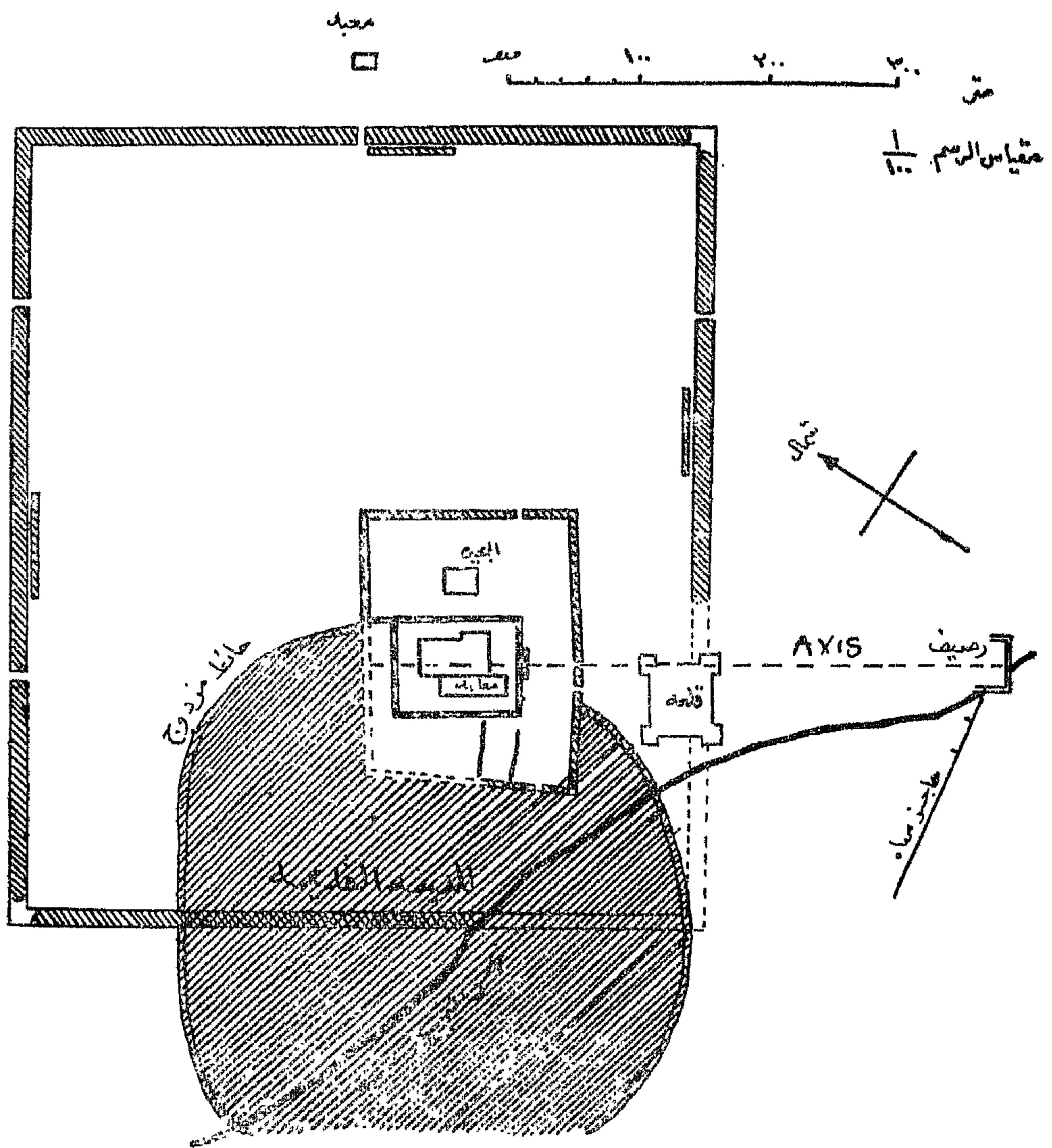
وكانت أجزاء الحصن المختلفة تتباين فى طرازها ، فبينما نرى فى الجانب الغربى
طنفا مرتفعا كان بالجانب الشمالى بهو داخلى يشبه هذا الذى نجده فى أبى دوس .
إلا أن ذلك كان أضيق منه وأعمق .

حصن بوهين

يقع حصن بوهين عند مدينة وادى حلفا التى غمرتها مياه السد العالى .
شيد فى أيام الدولة الوسطى (٢٠٥٢ — ١٧٨٦ ق . م) ، وقد كشفت
عنه إحدى بعثات التنقيب البريطانية برئاسة العالم إمرى ، فوجدته فى حالة جيدة
ولذلك استطاعت البعثة ان ترسم للقلعة عدة رسوم توضح الحالة التى كان عليها الحصن
منذ أربعة آلاف سنة . شيدت بوهين ضمن مجموعة الحصون التى أقامها ملوك
الأسرة الثانية عشرة (١٩٩١ — ١٧٨٦ ق . م) عند الطرق التجارية للسيطرة
على منطقة الشلال الثانى الاستراتيجية التى تفصل بين بلاد النوبة العليا والسفلى
وقد فشل المهاجرون فى الاستيلاء على هذه القلعة مدة مائتى سنة إلى أن اكتسحت
ح عام ١٦٧٥ ق . م عندما تعرضت مصر للغزو ، ثم استردتها عندما استعادت قوتها
الحرية ح ١٥٧٠ ق . م . فأعادت بناء تحصيناتها ووسعتها ، ثم هاجمتها جيوش
مملكة كوش السودانية ودمرتها قرب نهاية حكم الأسرة العشرين عام ١٠٨٥ ق م
ولما تم كشف حصن بوهين أدرك أفراد البعثة أنهم أمام أفضل نموذج للعمارة
الحرية المصرية احتفظ به حتى اليوم .

يتألف الحصن من سور ضخيم سمكه أربعة أمتار و ٨٠ سنتى مبنى من الآجر ،
ويبلغ ارتفاعه تسعة أمتار على الأقل ، تخترقه فتحات مربعة متباعدة . وتعلوه
التاريس التى صنعت من الطين المحروق المدور . وكان الباب الأكبر أعظم
الأماكن منعة ، إذ شيد ضمن سور الحصن على زاوية قائمة . ورغم عما أصيب به
قسمه العلوى من التخريب ، فإن أساسه بقى قائما على حاله . فقد وضع عند الدخول
بابان كبيران مزدوجان ، وجسر مصنوع من الخشب يمتد فوق الخندق الجاف ،
ويؤلفان رواقا ضيقا طويلا لا بد للقوة المهاجمة من المرور منه ، فتعرض لسيل من
سهام المدافعين الرابطين (١) .

(١) نشرت مجلة العالم التى كانت تصدر فى لبنان فى عددها  (١٩٩١) الشاملة (تقريراً
موضحاً بالرسوم لأعمال بعثة التنقيب فى بوهين ، ص ٢٠



(ش ٢) قطاع أفقي لمدينة الكاب القديمة وأسوارها وقلعتها

الحصون فى أعقاب الأسرة الثانية عشرة

سنضيف فيما يلى تحصينات بلدين ها « أمبوس » فى مصر القديمة التى نستنتج من تخطيطها أنها كانت أحدث من « ممنة » ثم « سيسى » التى اندثرت الآن معالمها بالنوبة والتى وصلت إليها جيوش الأسرة الثالثة عشرة ، ومع ذلك فنحن لا نستطيع أن نستنتج من معالم هذين الحصنين المتباعدين الاتجاه الذى اتخذته عمارة الحصون بعد « ممنة » .

أولا : « أمبوس »

بنيت هذه المدينة الصغيرة فوق بقعة نائية مرتفعة تقع على الشاطئ الأيمن لنهر النيل وتبعد قليلا عن « أسوان » . ومن وصفها الوحيد الذى لدينا نعرف أنها كانت مربعة الأضلاع يبلغ طولها ٢٠٠ متر وعرضها ١٥٠ مترا ، وفى النتوء الجنوبي من البناء بابان يبعد أحدهما عن الآخر خمسين مترا ، وكلاهما له فتحات فى الوسط كما هو الحال فى طيبة وتانيس ودندره ويختلفان عن بعضهما فى الاتساع إذ يبلغ اتساع أحدهما مترين بينما يبلغ اتساع الآخر ثلاثة أمتار ونصف متر . ومن العجيب أن ممك الجدران عند هذه الأبواب ليس واحدا حيث نراه عند الباب الغربى الكبير أحد عشر مترا بينما كان عند الباب الصغير سبعة أمتار ونصف متر فقط ، دليل ذلك يرجع إلى أن البابين لم يشيدا فى وقت واحد وإنه فى الفترة التى تخللت بناءهما طرأت على الحصن تغيرات ذات بال ، والدليل على ذلك أن العلامة الأثرى شميليون لا يحدثنا إلا عن باب واحد يرجح أنه بنى فى عهد الأسرة الثامنة عشرة .

وتخطيط الجانب الشرقى من الحصن قبالة النهر يستحق الملاحظة . إذ تقوم فى الزاويتين الشمالية والجنوبية أبراج يبعد كل منها عن الآخر خمسة عشر مترا يظهر أنها شيدت لحماية الأبنية الرئيسية ، وفى الناحية الشمالية كانت تلك الأبراج

محمى على الأقل نصف الجدار الشمالى بينما كان الأساس فى تشييد الأبراج بالناحية الجنوبية الشرقية حماية الجانب الشرقى الذى يوجد بمنصفه برج آخر أقيم للدفاع عن الجانبين الأيمن والأيسر بالحصن الرئيسى .

ولارىب أننا نجد أنفسنا هنا أمام طراز جديد من التحصينات الجانبية ، فليست هناك جدار خارجية أكثر من التى ذكرناها وليست هناك أبنية منعزلة ناتئة من البناء الرئيسى من ذلك النوع الذى كان يعرض المدافعين للأعداء ويحرمهم حرية العمل ، بل كان الدفاع عن خارج الحصن والاشراف عليه يجرى كله من الداخل .

وتعتبر « أمبوس » المثل الوحيد للتحصينات المصرية ذوات الأبراج ، وهى مع ذلك أولية جدا فى طرازها العمارى . فان البرجين المشيدين فى الزاويتين الشمالية والجنوبية لا يسيطران على الأجناب المتصلة بهما إلا من ناحية واحدة فقط ، كما أننا لانجد تحصينات جانبية لواجهتين من واجهات الحصن الأربع ، ومن المحتمل ان يكون ذلك الطراز من البناء محاولة لتنفيذ فكرة معمارية جديدة .

ويكاد يكون من المؤكد أن حصون « أمبوس » ليست أقدم من حصون « كوبان » و « سمعة » لأن فكرة بناء الأبراج أكثر تعقيدا من فكرة إقامة الدعامات التى اتبعت فى الحصنين الآخرين . ولارىب أن تشييد حصن « أمبوس » قد تم فى عهد الأسرة الثالثة عشرة ، ومن المحتمل أن يكون نظام إقامة الأبراج والأبنية البارزة كوسيلة دفاعية قد ظهر فى فترة النهضة المصرية التى عمت فى ذلك العهد .

وإذا فرضنا أن تحصينات « أمبوس » قد شيدت بعد الأسرة الثالثة عشرة فلا شك أن طرازها يكون تقدما ملموسا طرأ على الطرز التى اتبعت فى « سمعة » على أننا نلاحظ عدم وجود تحصينات ذوات أبراج فيما عدا « أمبوس » بينما نجد بعد الأسرة الثانية عشرة مثلا واحدا على الأقل للتحصينات ذات الدعامات الجانبية المشيدة على طريقة « سمعة »

ثانيا : « سيسبي »

لا تبعد أطلال سيسبي كثيرا عن قرية سيسبي الواقعة بين كل من تومبوس وصولب والقي يحدثنا عنها ليبسيوس فيقول : « انها مرتفع تقوم فوقه أطلال حصن قديم وتبدو لنا على الهضبة عدة قلاع شبيهة بحصن سيسبي هذا تقع كلها في جوار النهر ، وتدل على أن هذه المنطقة كانت مأهولة بعدد كبير من السكان المحاربين الذين اندثرت معالمهم الآن . وتقوم هذه الأطلال جميعا في منطقة تسمى سيسبي تبعد مسيرة ساعة كاملة عن « سيسبي »

كان بهذا المكان معبد قديم لم يبق منه الى الآن سوى أربع عمد كانت رؤوسها على شكل سعف النخيل ، والمعبد يحمل اسم الملك سيقى الأول ويكاد يكون أبعد أثر تركه هذا الفرعون نحو الجنوب .

ويمكن أن نرى في محيط بقايا هذا المعبد وفوق الهضبة التي أنشئت من أجله أطلال مدينة لا تزال بقايا حصونها ظاهرة إلى الآن . ولعل هذا يبدو غريبا ولكن لا تلبث دهشتنا أن تزول إذا تصورنا هذه المدينة الكبيرة وقد احتضنت في وسطها ذلك المعبد .

أما جدران الحصن التي يتراوح سمكها بين أربعة وخمسة أمتار فقد قويت بواسطة دعائم أقيمت على طول المحيط ، وثبتت في الجانب الغربي من الحصن له مسافات منتظمة متساوية . ويتراوح طول هذه الدعائم بين أربعة وخمسة أمتار بينما يبلغ سمكها أربعة أمتار كما ذكرنا آنفا . وتقدر المسافة بين محاورها بستة عشر مترا تقريبا وهي مسافة لا بأس بها إذا روعي في الأمر قصر تلك الدعائم ، أما زوايا الحصن فلم تشيد عندها دعائم .

وخلاصة القول أن تلك الأبنية البارزة اصغر هنا منها في « ممنة » ولكن وضعها مادي وطبيعي والمسافات التي تفصل بينها معقولة كافية . ونحن نلاحظ — دون شك في سيسبي طريقة جديدة لاستعمال الدعائم ادخل عليها كثير من التهذيب .

وبقايا الحصن فى حالة سيئة بوجه عام بحيث لا يمكننا أن نعرف منها مواضع
بوابات ذلك الحصن ، على أنه من الممكن أن نشاهد فى الجانب الشرقى مدخلا كبيرا
يتراوح اتساعه بين ثمانية وعشرة أمتار ويقع هذا المدخل على محور بناء المعبد
نفسه ، وكان يحيط به برجان قويان .

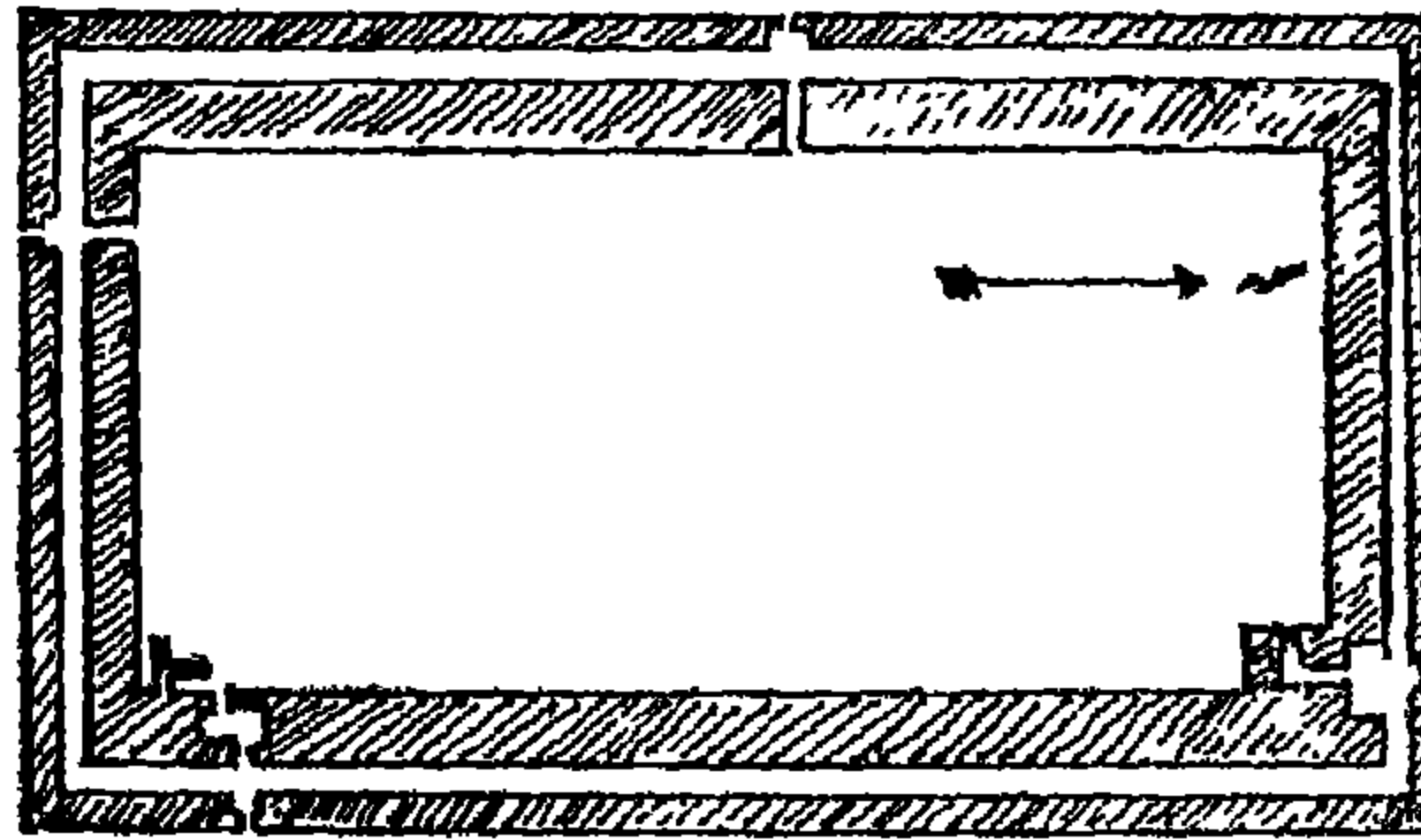
حصون أخرى :

إذا تتبع الإنسان الترتيب الطبيعى لحوادث الغزو فانه لاشك يضع باقى حصون
سييسى حول فترة الحكم التى تولى فيها ملوك الأسرة الثالثة عشرة شئون البلاد ،
إذ لا ريب أن المصريين فى ذلك الوقت حصنوا مداخل الشلال الثالث ... على أنه
من الصعب جداً أن نميز بين حصون الأسرة الثالثة عشرة وحصون الأسرة الثامنة
عشرة لأن مجموعة تحصينات سييسى تقع فى حقيقة الأمر بين حصنين اثنين يرجعان إلى
عهد تلك الأسرة الأخيرة ، بنى أولهما أيام تحتمس الأول لحماية القناة الصالحة للملاحة
فى النيل بالقرب من الشلال الثالث وكان يقع بين جزيرتى ثومبوس وأبادين . أما
الحصن الثانى فقد شيد بعيداً عن سييسى فى مكان يقال له الآن صوليب (Soleb) وقد
شيدته أمنحتب الثالث ، وكان على جانب عظيم من الأهمية إذ يحمى مجرى النيل حتى
المنحناء دنقلة .

ونستطيع أن نستنتج من ذلك أن سيطرة المصريين على منطقة الشلال الثالث فى
عهد الأسرة الثالثة عشرة لم تكن قد استتبت بعد ، وقد لعبت كل من صوليب
وثومبوس فى ذلك العهد نفس الدور الذى لعبته سمنا فى الإمبراطورية القديمة .
ومهما يكن من أمر ، فالثابت أن النفوذ المصرى وصل فى عهد تحتمس الأول
إلى منطقة التقاء النيل الأبيض بالنيل الأزرق وأنه امتد فى عهد أمنحتب الثالث مع
وادى النيل حتى بلاد النوبة جنوبى تاكارزى . فأمنحتب الثالث إذاً هو المؤسس
الحقيقى لنياباتا عند جبل بركال ، تلك المدينة التى أصبحت فيما بعد عاصمة لاثيريا .

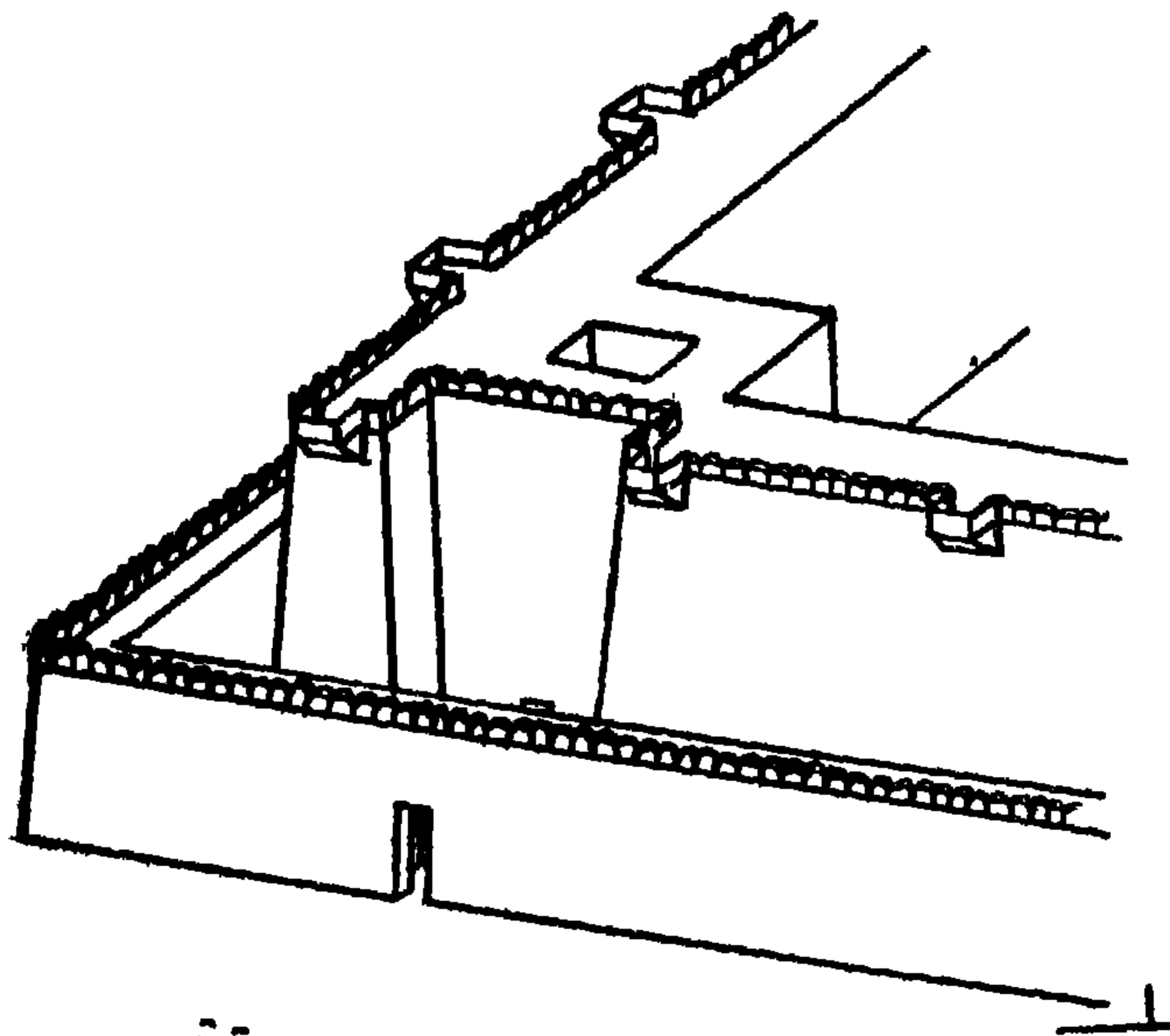
ويلوح لنا أن مجهودات ملوك الأسرة التاسعة عشرة كانت ضئيلة فى ذلك الاتجاه
الجنوبى وأن كنا نعلم أن معبد سييسى قد بناء سيقى الأول . ومن المحتمل أن يكون

شونة الزبيب مايدوس
خاخر دونه مايدوس



قياس
١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠ ١١ ١٢

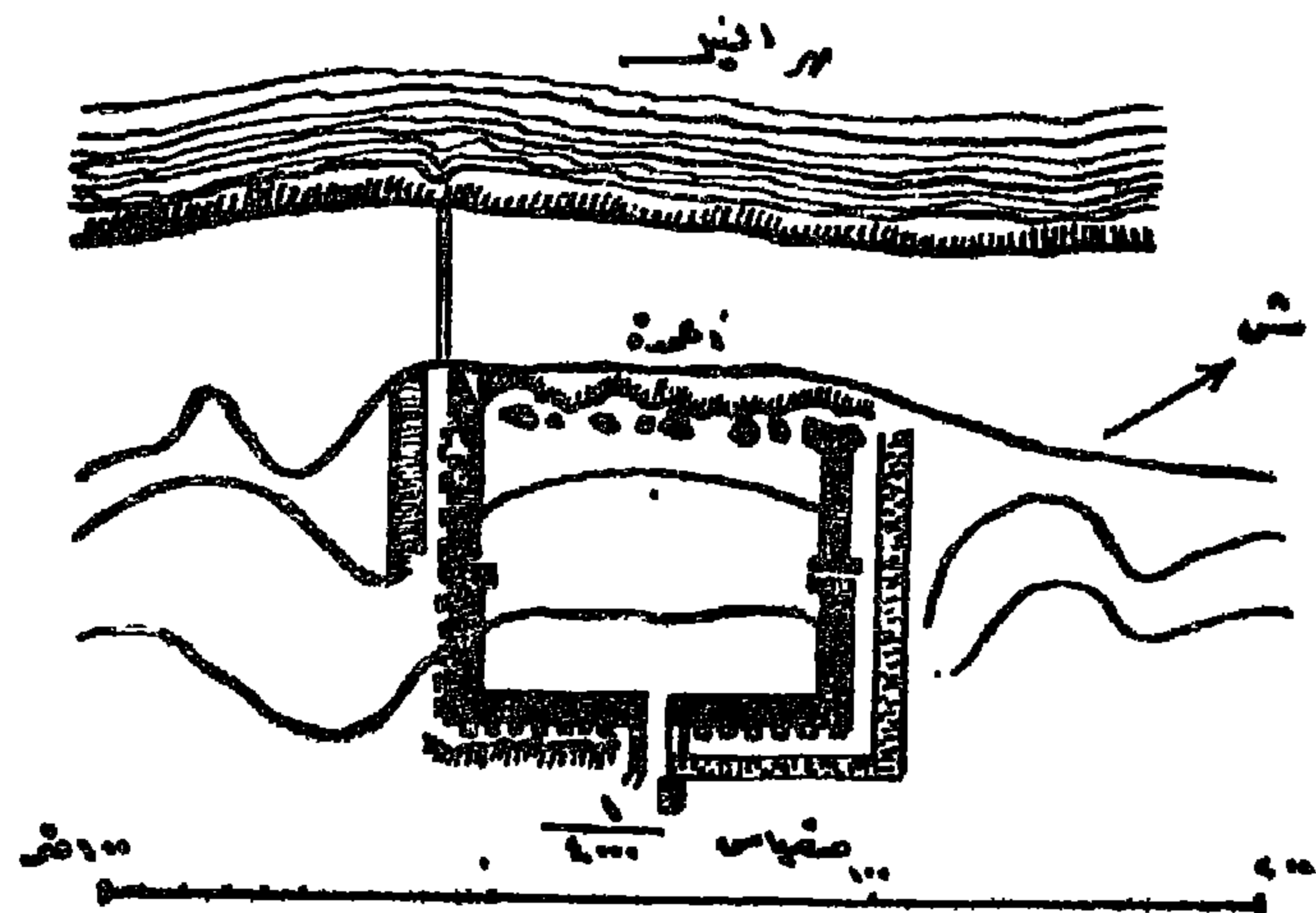
شونة الزبيب



سيتن منظره للزاوية إيشالفة الشقية

(ش ٣) تفصيلات معمارية لقلمة شونة الزبيب

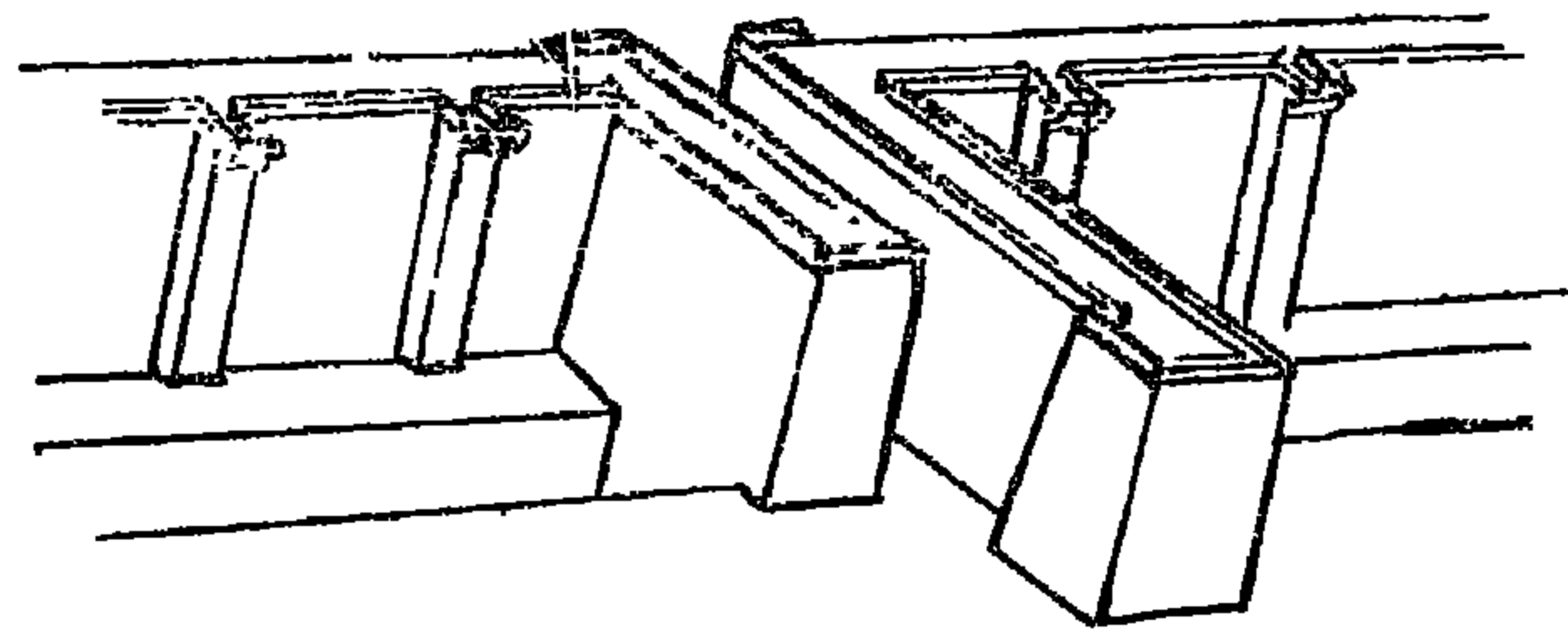
كوبان مأخذ من البيروني



الجهة التي يرفع بها

(ش ٤)

سهم يانعة
 مستطبة وديانة ولفه قيسى



(ش ٥) - تفصيلات معمارية لقلعة كوبان (فوق وتحت)

هو نفسه الذى بنى الحصن أيضا . ولاريب أن ذلك الملك قد شيد حصونا أخرى حول الآبار الممتدة على طول طريق كوبان ، وأقام مرا كز محصنة فى الوديان الحجرية الواصلة إلى مناجم الذهب ، وكانت تلك المرا كز عبارة عن حصون مربعة مشيدة من الأحجار وليست من اللبن .

وانشغلت مصر بحروب مستمرة على حدودها الشمالية فى عهد كل من رمسيس الثانى ورمسيس الثالث ، ولذلك لم يجد هؤلاء الفراعنة من وقتهم متسعا لتشييد الحصون عند حدودهم الجنوبية ، والحق أنهم لم يكونوا فى حاجة إلى ذلك فإن المملكة المصرية التى امتدت أراضيها وقتئذ من الخرطوم إلى البحر الأبيض المتوسط أى ما يقرب من ٢٦٠٠ كيلومتر كانت قد توطدت أركانها تماما .

وقد أدى تأسيس مملكة إثيوبيا المستقلة بعد قرنين أو ثلاثة قرون من عهد رمسيس الثالث إلى تفكير تلك المملكة تفكيرا سريعا فى غزو أقاليم أفريقيا الاستوائية ، وكانت مصر عندئذ قد فتحت أبوابها للمهاجرين الاغريق الذين نزحوا إلى أقاليم البحر الأبيض المتوسط .

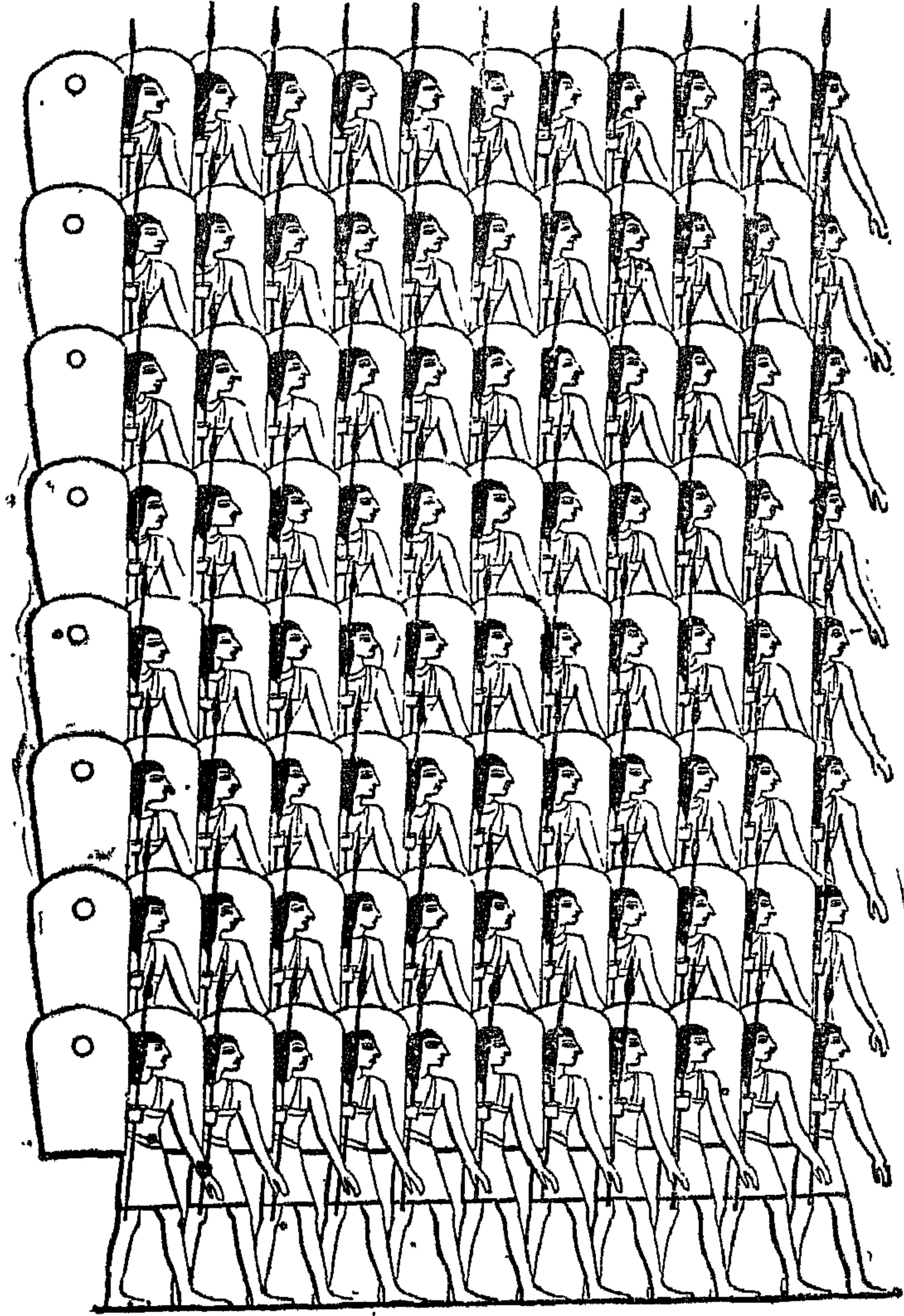
ولسنا على علم يقين بمدى اتساع مملكة إثيوبيا فى اقليم البحيرات الاستوائية آنئذ، على أننا لا نشك فى أن تقدمها قد أوقفته تلك الحصون التى شيدها المصريون بتلك الجهات ، والتى ربما يعثر عليها فى يوم من الأيام ، إذا لم تسكن مياه النيل قد غمرتها

تطور عمارة الحصون

وكان من نتائج حروب مصر فى آسيا ، أن اقتبس مهندسوهم بعض التأثيرات المعمارية الخاصة بمباني حصون سورية وجنوبى آسيا الصغرى ، واستعملوها فى الحصون المصرية .

ونرى ذلك فيما شيده ملوك الأسرة التاسعة عشرة من الحصون فى شرقى الدلتا وتألف منها شبكة دفاعية على الأسلوب الكنعانى ، ولم يقصروا بناءها على الأجر

بل كسوها بالحجارة ، كما فعلوا في أسوار هليوبوليس القديمة ومنف . وقد ضاعت
معالم تلك الحصون ... وأتينا لنلاحظ أثر العمارة الآسيوى واضحا في مباني المعبد
العظيم الذى شيده رمسيس الثالث ، المعروف باسم مدينة هابو الذى بلغت فيه
العمارة العسكرية المصرية أوج كمالها .



جنود الجيش المصرى فى عهد الفراعنة .

(ش ٩) حملة الدروع والرمح

صناعة الأسلحة في مصر القديمة

قبل أن نتكلم عن صناعة الأسلحة في مصر القديمة ، جدير بنا أن نوضح أهم المعادن التي كانت تصنع منها تلك الأسلحة ، كالسيف والمدة ، والخنجر ، والرمح ، وبعض أجزاء العجلة الحربية . .

اتفق معظم علماء الآثار على إطلاق أسماء أهم المعادن المعروفة على العصور التاريخية البارزة منذ القدم ، وأهمها :

- ١ — عصر النحاس ويمتد بين ح ٤٠٠٠ ق . م ، وح ٢٠٠٠ ق . م .
- ٢ — عصر البرونز ويمتد بين ح ٢٠٠٠ ق . م ، وح ١١٥٠ ق . م .
- ٣ — عصر الحديد ويمتد بين ح ١١٥٠ ق . م ، إلى عصر الصلب .

مرت الحضارات القديمة في الشرق الوسيط ، وهي حضارات الآشوريين والمصريين والفينيقيين والحثيين خلال تلك العصور ، وكان انتقال أحداها من عصر معدني إلى آخر يلاحقه تطور حضاري كبير ، وكان له أكبر الأثر في تطور شامل بعيد المدى .

وكان استغلال مناجم النحاس في سيناء منذ الأسرات المصرية القديمة الأولى من أهم ما اتسمت به حضارة قدماء المصريين ، كذلك استغلت مناجم الذهب في صحراء مصر الشرقية . وقد كان لانتاج هذين المعدنين النحاس والذهب تحت الإشراف الحكومي مزايا اقتصادية لا تقدر . ذلك لأن النحاس كان منذ بدء الحضارات المعدن الرئيسي للمعاملة بين دول العالم القديم ، حتى حل البرونز مكانه . فلا غرو إذن ، أن يكون لمصر السيادة في شرقي البحر الأبيض المتوسط زمننا طويلا إمتد على الأقل إلى القرن الثالث عشر ق . م .

وقد أكد العلامة لوكاس المصريولوجى ، أن عصر البرونز بدأ فى آسيا الغربية قبل مصر لافتقارها إلى القصدير ^(١) حتى استمدته . وأثبت رأييه بما عثر عليه من الأدوات السكثيرة المصنوعة من البرونز فى المقبرة الملكية فى حفريات « أور » التى يرجع تاريخها إلى ما بين عامى ٣٥٠٠ ، ٣٢٠٠ ق م ثم استقر عصر البرونز ^(٢) فى مصر أجيالا طويلة ، لا تقل عن ١٣ قرنا إلى أن تلاء عصر الحديد .

ولما توصل الحثيون إلى طرق استغلال الحديد ، وعرفوا أساليب صناعته ، بدأت مصر تفقد مكانتها ، لجهل المصريين — الطرق الفنية لصناعة الحديد حينذاك ومن ثم تضاءلت أهمية النحاس ، ومن بعده البرونز ، بعد أن تفوقت مصر فى صناعتها أجيالا طويلة ، ويشهد بذلك ما عثر عليه رجال الآثار من الأدوات والأسلحة فى مقابر قدماء المصريين .

وعلى ذكر ما وجد من التحف فى مقبرة توت — عنخ — آمون (١٣٥٨ ق م) فقد عثر على خنجر جميل النصل صنع من الحديد ، ووجدت أيضا تعويذتان صغيرتان من الحديد ، صنعا فى أسلوب فى مصرى . وقد أثار وجود تلك الأشياء الحديدية فى تلك الحقبة عدة أسئلة . لأن الحديد المصنوع كان يعتبر شيئا جديدا فى العالم فى عام ١٣٥٣ ق م . ويتفق معظم رجال الآثار على أن الحديد الذى صنعت منه تلك الأشياء ، وصل من بلاد الحثيين (آسيا الصغرى) ، على سبيل التبادل أو الإهداء إلى فرعون مصر .

(١) كانت أم مصادر القصدير فى آسيا الغربية بالقرب من بيلوس فى لبنان ، ولكن عندما انتهى استغلاله ، بدأت مقادير كبيرة منه تصل إلى شرق البحر المتوسط من غرب أوروبا (كبريتانيا وإسبانيا) .

« (٢) البرونز خليط من النحاس والقصدير بنسبة تختلف من ١٦ر٣ ٪ من الأخير ، وله عدة خصائص يمتاز بها على النحاس ، من أهمها أنه يمكن طرقه « على البارد » .

والمعروف أن من أهم ماوصل إلينا من الأدوات للصنوعة من الحديد في مصر يرجع إلى الفترة التي تتوسط عامى ٨٠٠ و ٧٠٠ ق. م. وهى فى مجموعها الضئيل أشياء تنسب إلى الفترة اليونانية المصرية ، وقد عثرعلى كثير منها فى حفريات نيوكراتيس فى شمال غربى الدلتا (حيث كانت المستوطنات اليونانية) ، ولكن لايعلم مصدر المعدن — أى الحديد ، هل جاءت الحامة من الصحراء الشرقية أو من صحراء أسوان، أوغيرهما .

ولقد عرف الحديد فى مصر القديمة باسم «خامة السماء» (Ore of Heavens) ولكن لم تعرف أساليب صهره ، واستخلاصه لصناعة الأدوات والأسلحة قبل الأسرة الخامسة والعشرين . وليس هناك فى المتحف المصرى أدوات صنعت من الحديد ، يمكن نسبتها إلى ما قبل تلك الأسرة ، فقد كان استخدامه نادرا جدا ، وقد استمد فى معظم الأحيان من النيازك أو الشهب التى تهبط سطح الأرض من السماء (١) وقد جمع العالم وينرايت — الأشياء الحديدية التى عثر عليها فى مصر فى ألفى عام من تاريخها القديم ، وهى :

١ — الأسرة الرابعة : قطعة من الحديد عثر عليها فى الهرم الكبير .

٢ — الأسرة الخامسة : قطع كثيرة من الأزاميل وغيرها عثر عليها فى سقارة .

٣ — الأسرة السادسة : قطع كثيرة لمعول (أزمة عثر عليها فى بوسير) وكومة من قطع الأدوات المحطمة فى دهشور ، وحفنة من صدا الحديد يحتمل أنه عثر عليها فى أيدوس .

٤ — الأسرة الثانية عشرة : رأس ربح من النوبة .

٥ — الأسرة السابعة عشرة : أزميل محطم وكعب عصا بالقرب من أسنا .

(١) الفصل الذى كتبه ر . انجلباك عن المواد والعمليات الميكانيكية والفنية عند قدماء المصريين فى كتاب :
Legacy of Egypt, P. 135. Oxford

وتلك مجموعة متواضعة ، وبعضها يشك في أصلها . (١)

يتضح من هذا كله ، أن مصر كانت تعيش في عصرها البرونزي ، بينما كان غيرها في بلدان غرب آسيا ، قد انتقل إلى العصر الحديدي . وليس هذا فحسب ، بل أنها ، بالرغم مما كانت عليه من السيادة في أثناء الإمبراطورية الثانية (الرعامسة) لم تكن تستخدم الحديد بعد . ومعنى ذلك أيضاً أنها حاربت أعداءها في أعظم عصورها بالأسلحة البرونزية .

لما عرف الحيثيون — صناعة الحديد بعد ما عثروا عليه في بلادهم بآسيا الصغرى ، أدركت إمبراطورية آشور (بلاد ما بين النهرين) حاجتها إليه لكي تصنع منه السلاح لجيشها ، ولتستخدمه في صناعة العجلات الحربية والمحارث والفئوس . فلم يكن بد من استخدام القوة لتحرير طرق التاجر وفتح المنافذ إلى الجبال الغنية بالمعدن . ولذلك أستدركت موقفها بسرعة لكي لا تقلت منها الفرصة ، ويقوى منافسوها عليها . ومن هنا بدأت تعمل في سبيل الحصول على الحديد من بلاد الحيثيين بجميع الوسائل . ذلك لكي تهزم بأسلحتها الحديدية أعداءها الذين كانوا لم يخرجوا بعد من عصر البرونز .. وهكذا عرف الآشوريون والحيثيون من قبلهم كيف يفاجئون أعداءهم بالأسلحة الحديدية . ومن هنا أيضاً جاء التفوق والغلبة ، وانقلاب كفة الميزان الدولية في الشرق الوسيط . وقد تحدث المؤرخون كثيراً عن حروب الآشوريين ، واصطداماتهم المتعاقبة ضد سكان سورية وفلسطين . ومصر .

Wainright G.A. The Coming of Iron. Antiquity.

(١)

p, 5, 24 March 1936.

أهتدى في نصوص الآداب المصرية القديمة إلى مدى استخدام الحديد ، ففي ملحمة الكاتب بشتاور التي سجلت فيها إنتصارات رمسيس الثاني في سورية ، ذكر الحديد « ثلاث مرات » وفي قصيدة أخرى ذكر ناظمها أن سيف منفتح الثاني لم يعرف له مستقراً للراحة ، كما أنه أشير كثيراً إلى الأواني الحديدية . وتقابلنا بعد الأسرة الثانية عشرة نصوص كثيرة ورد فيها ذكر الحديد وذلك بعد ما أصبحت علاقة الحيثيين بالمصريين ودية .

وهكذا يتضح لنا أن صناعة الحديد في مصر ولا سيما في سلاحها ، جاءت متأخرة جدا ، ومن المحتمل أن يكون في ذلك بعض الأسباب التي أدت إلى أضمحلل شأنها في الزمن القديم ، ومن ثم تغلب الفرس عليها ، والأغريق ...

وننتقل بعد ذلك إلى صناعة العجلات الحربية في الدولة المصرية الحديثة ، ولا سيما على أيام أسرتي تحتمس ورمسيس .

فمنذ أيام الدولة الحديثة ، انتشرت صناعة العجلات الحربية ، وكانت هذه العجلات تصنع عادة من الخشب ، ولم تصنع إطارات معدنية للعجلات مطلقا ، ومع ذلك فقد استعانوا أحيانا بالواح معدنية في هيكل العجلة (العربة) التي كانت تتألف من عدد كبير من القطع الصغيرة . وكان يصنع محور العجلة بضم عدة أجزاء دائرية نشرت من الخشب السميك .

وهناك صناعة الأسلحة ، كالأقواس والسهام والنبال والعصى من كافة الأنواع والسيوف المستقيمة والمقوسة والخنجر والمدى ، فضلا عن الأدوات الموسيقية التي تستخدم في الجيش أو في القصور . ونشاهد اليوم نماذج كثيرة من أسلحة وعربات قدماء المصريين في متاحف الآثار .

أسلحة الجيش

تقسم أسلحة قدماء المصريين إلى قسمين : الأسلحة الهجومية والأسلحة الدفاعية فمن أسلحة القسم الأول : القوس والرمح والجريدة والمقلع والسيوف القصير المستقيم ، والخنجر ، والمدية ، والسيوف القصير المحذب والبلطة ذات اليد القصيرة وبلطة القتال والصولجان واللسان الذي يشبه العصي المعوجة كالتي يحملها العبادلة والآثيويون . ومن أسلحة القسم الثاني : الخوذة وواقية الرأس والدرع أو سترة الزرد المصنوعة من الصفائح المعدنية . ولم يعرف المصريون واقية الأرجل . وكانت أغطية الذراعين جزءا من الزرد تؤلف كما قصيرا يمتد إلى الكوع .

الدرع :

كانت الدرع أهم ما يدافع بها الجندي عن نفسه ، طولها لا يزيد عن نصف قامته الجندي وكانت في الغالب ضعف عرضها . وفي أكثر الأحوال كانت تغطي بجلد ثور والشعر الى الخارج وتقوى في بعض الأحيان بحافة أو بحافتين من المعدن ، وترصع بالمسامير والدبابيس المعدنية . أما الناحية الأخرى للدرع فكانت مبطنة بأغصان جافة مجدولة . ويحيط بحافتها إطار خشبي مغطى بالجلد على طريقة الدروع الرومانية والإغريقية .

وكانت الدرع المصرية ، مستديرة من أعلى ومربعة من أسفل تنتفخ قليلا عند القمة ، وبالقرب من الجزء العلوي لسطح الدرع الخارجى كانت توجد تجويفة مستديرة ، وكان يثبت في السطح الداخلى للدرع « علاقة » لتعلق بها حول الرقبة وكانت هذه العلاقة تعمل أحيانا بكيفية يسهل معها ادخال الذراع فيها والقبض على الحربة وكانت للدرع أحيانا قبضة يسهل بها تحريك الدرع في أى اتجاه ، وكانت هذه القبضة تركيب إما تركيباً عمودياً وإما تركيباً أفقياً على الدروع ، وقد شوهدت على جدران الآثار القديمة ماعدا مقابر بنى حسن نماذج أخرى من الدروع تختلف عما سبق وصفه ويغلب على الظن أن هذه كانت تستخدمها الجنود المستأجرة فقط .

وكانت لبعض الدروع المصرية مقاسات كبيرة غير مألوفة اختلفت في شكلها عن الدروع العادية فكانت محدبة من القمة على أسلوب العقود القوطية ، وذات حجم كبير يصعب استخدامها بسهولة لنقلها وقد شوهد هذا النوع من الدروع في مقبرة بعض حفائر أسيوط « ليسكوبوليس » ولاشك أنه كان من الأمسور الأولية التى تراعى في صناعة الدروع خفة موادها لسهولة حملها في السير الطويل وفي ميادين القتال .

القوس :

كانت القوس المصرية تشابه القوس الأوربية التى استعملت قبل عصر البارود وكان الوتر يثبت إما في جزء بارز مصنوع من القرن في نهايتى القوس أو يثبت في

خدش أو حز في خشب القوس من نهايته على غير طريقة تثبيت الوتر عند الأثيوبيين الذين كانوا يثبتونه في خابورين بطرفي رأس القوس المستديرين .

كانت القوس المصرية قطعة اسطوانية من الخشب طولها خمسة أقدام أو أكثر بنصف قدم وهي إما مستقيمة مدية الطرفين أو مقفرة الوسط عندما لا تكون مشدودة ، وفي بعض الأحيان كانت تلتصق بها قطعتان من الجلد فوق منتصفها بقليل وتحتها وإذا أريد تثبيت الوتر ركزت نهاية القوس في الأرض وضغطت الركبة على الجانب الداخلي من القوس بينما تجذب اليد اليسرى القوس الى الداخل وتدخل اليد الأخرى الوتر في الجزء العلوي للقوس ، وفي أثناء الرماية كان الجندى يضع واقية من الجلد على ذراعه اليسرى لكي لا تصاب بالوتر عند ارتداده أو كانت تلف أيضا حول المعصم ، ويسحب الوتر بجذبه بشدة نحو الجسم بواسطة الأصبعين السبابة والأبهام وتفرد اليد اليسرى الى نهايتها ويصوب السهم نحو الهدف وكان الوتر المصري يصنع من الجلد أو القماش السكتاني أو القنب أو أمعاء المهررة بعد تجفيفها واختلفت الأسهم طولاً من ٢٢ الى ٣٤ بوصة بعضها صنع من الخشب والبعض من القصب ، وفي غالب الأحيان كانت مغطاة برأس معدنية تحف بها من كلا جانبيها ثلاث رياض مغرارة وموزعة بالتساوي واستبدلت أحيانا الرأس المعدنية بقطعة مدية من الخشب القوى .

وكان يحمل القواس جعبة مستطيلة قطرها أربع بوصات ، تسع عددا وافرأ من الأسهم يثبتها الجندى في حزامه المار فوق صدره الى الجانب المقابل ، وكان المصريون في أثناء السير يضعون جعبة السهام هذا الوضع وكان للجعبة غطاء مزخرف عليه رأس أسد إذا كان صاحبها من كبار القواد ، وكان الغطاء يثبت في العلبة بواسطة عروة من الجلد لكي لا يفقد عند فتح الجعبة أثناء الاقتتال ، وكان للقوس جعبة تحميها من الشمس والرطوبة وتحفظ لها مرونتها ، وكان لهذه العلبة غطاء من الجلد الناعم مثبت بعناية في نهايتها العلوية وكانت تتركب دائماً في العربة الحربية ويقابلها في الجانب الآخر من العربة علبة كبيرة أخرى تحتوي على رمحين وعدد من السهام فضلا عن العلبة (الج) السابق ذكرها المثبتة حول وسط الجندى .

الرمح:

كان يصنع الرمح أو المنخس من الخشب بطول خمسة أقدام ، أو ستة ، ورأس معدنية يدخل إليها ساق الرمح ويثبت بالمسامير .

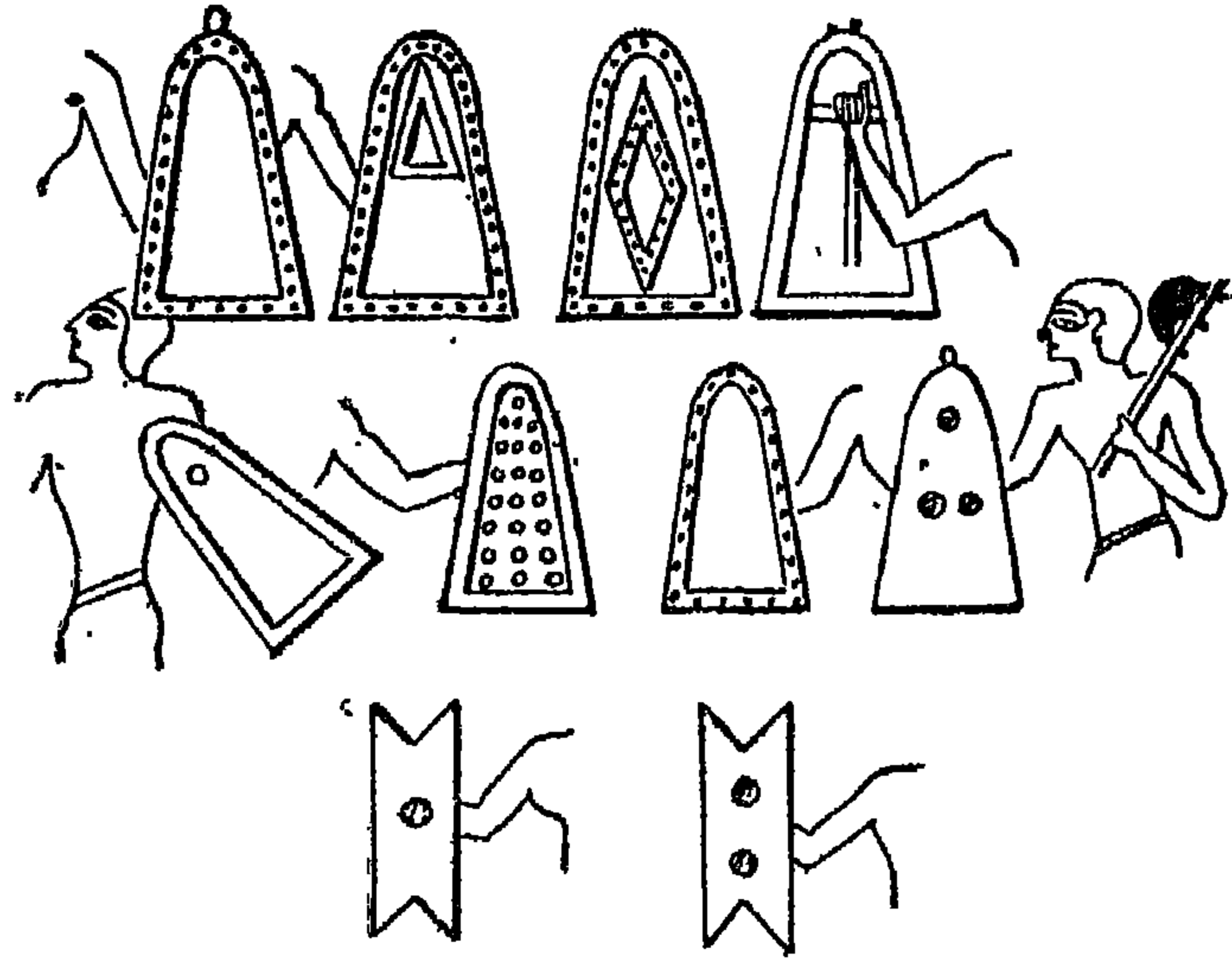
أما الجريدة (Javelin) فكانت أخف من الرمح وأقصر . وكانت تصنع من الخشب ورأسها مزدوجة من المعدن ذات شكل معين . فاما ان تكون مفرطحة واما أن يزيد سمكها قليلا من الوسط أو مدية جدا من طرفها . وكان الطرف الاخير ينتهى بكرة ثقيلة من البرونز لتجميلها وتساعد على توازنها . وكانت تستعمل أحيانا مكان الحربة فتقبض عليها كلتا اليدين في حالة الاشتباك القريب .

المقلع:

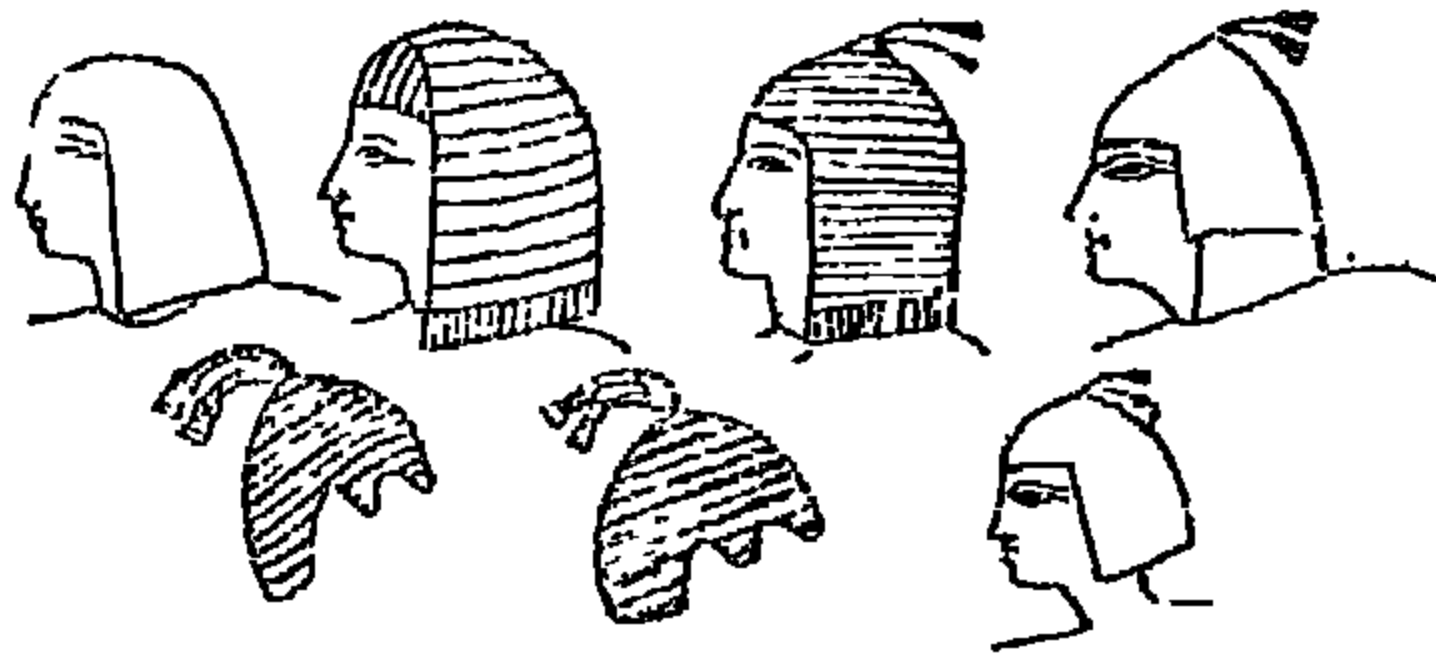
صنع المقلع من عروة جلدية أو جبل مضفر عريض من الوسط له خية حلقة (خية) في أحد طرفيه تثبت به وتقبض بشدة باليد . أما الطرف الآخر فتنتهى بسوط . وعند استعمال المقلع كان يدار مرتين أو ثلاثا فوق الرأس لموازنته ولزيادة قوته الدافعه . وكانت ذخيرة المقلع الحصى الصغير والحجارة المدية أو المستديرة وكانت توضع في حقيبة صغيرة تعلق في حزام الوسط .

السيف :

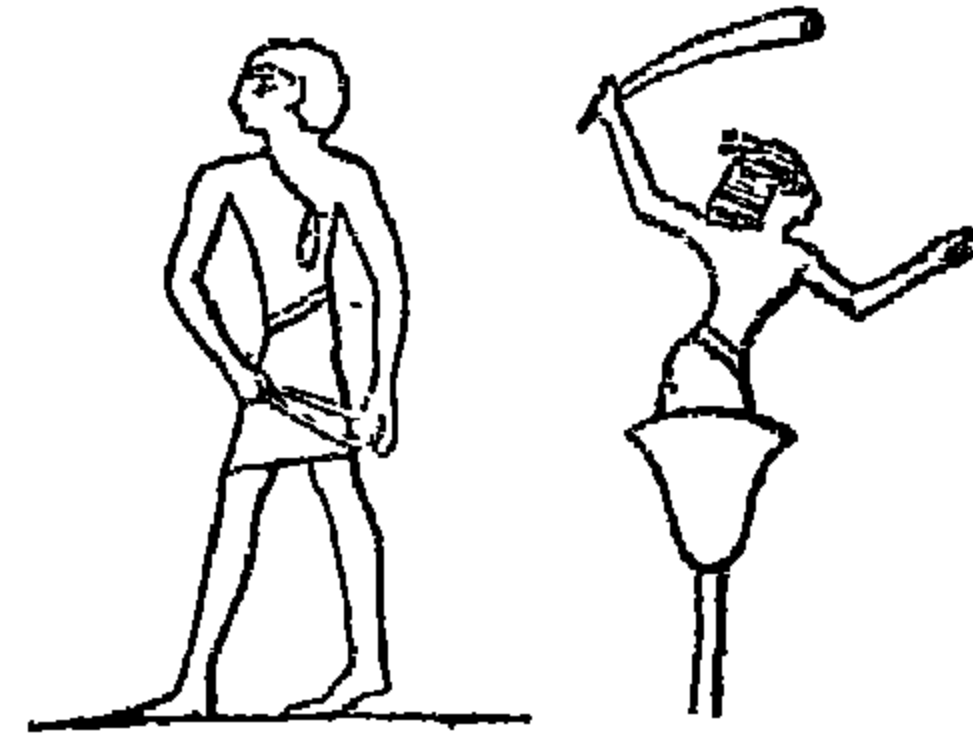
كان السيف المصرى مستقيما وقصيرا يتباين طوله من قدمين ونصف قدم إلى ثلاث أقدام . له سن مزدوج ومدبب الطرف . وكان يحمل السيف ورأسه إلى أسفل ويستخدم كالحنجر وكانت القبضة بسيطة الصنع منتصفا محجوف تزداد سمكا بالتدريج من مكان اتصالها بالنصل إلى نهايتها وكانت ترصع أحيانا بالأحجار الثمينة أو الأخشاب النفيسة أو المعادن وكان لسيف الملك رأس أو رأسان تصنعان على شكل صقر رمزا لمعبود رع أو الشمس . ويمكن أن يصنع الحنجر مع السيف القصير لتشابههما تقريبا مع أن الأول كان أقصر من الثانى . وكانت بضعة الحنجر كقبضة السيف مرصعة بالجواهر . وكان النصل من البرونز السميك من الوسط وله حز خفيف



تروس متنوعة — مقبرة بني حسن
(ش ١٠)



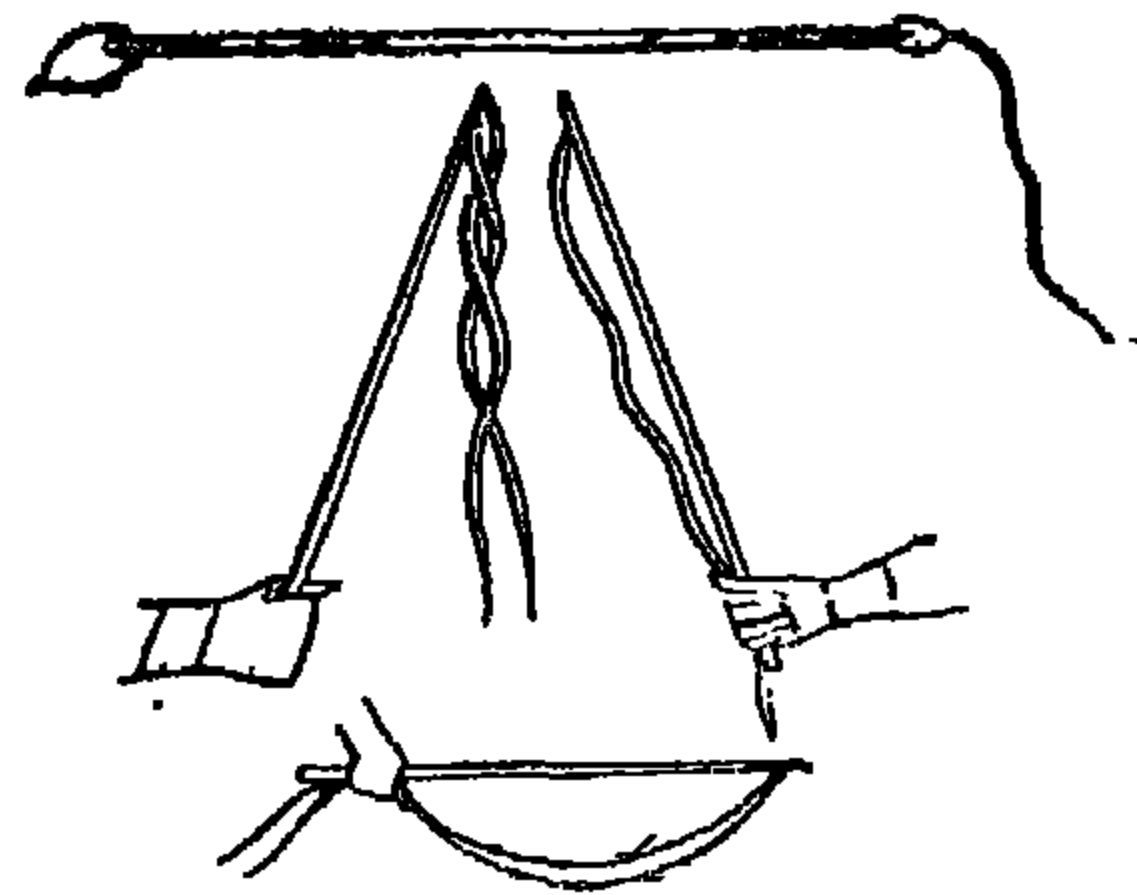
خوذات مختلفة — طيبة



قاذف المقلع — طيبة وبني حسن .

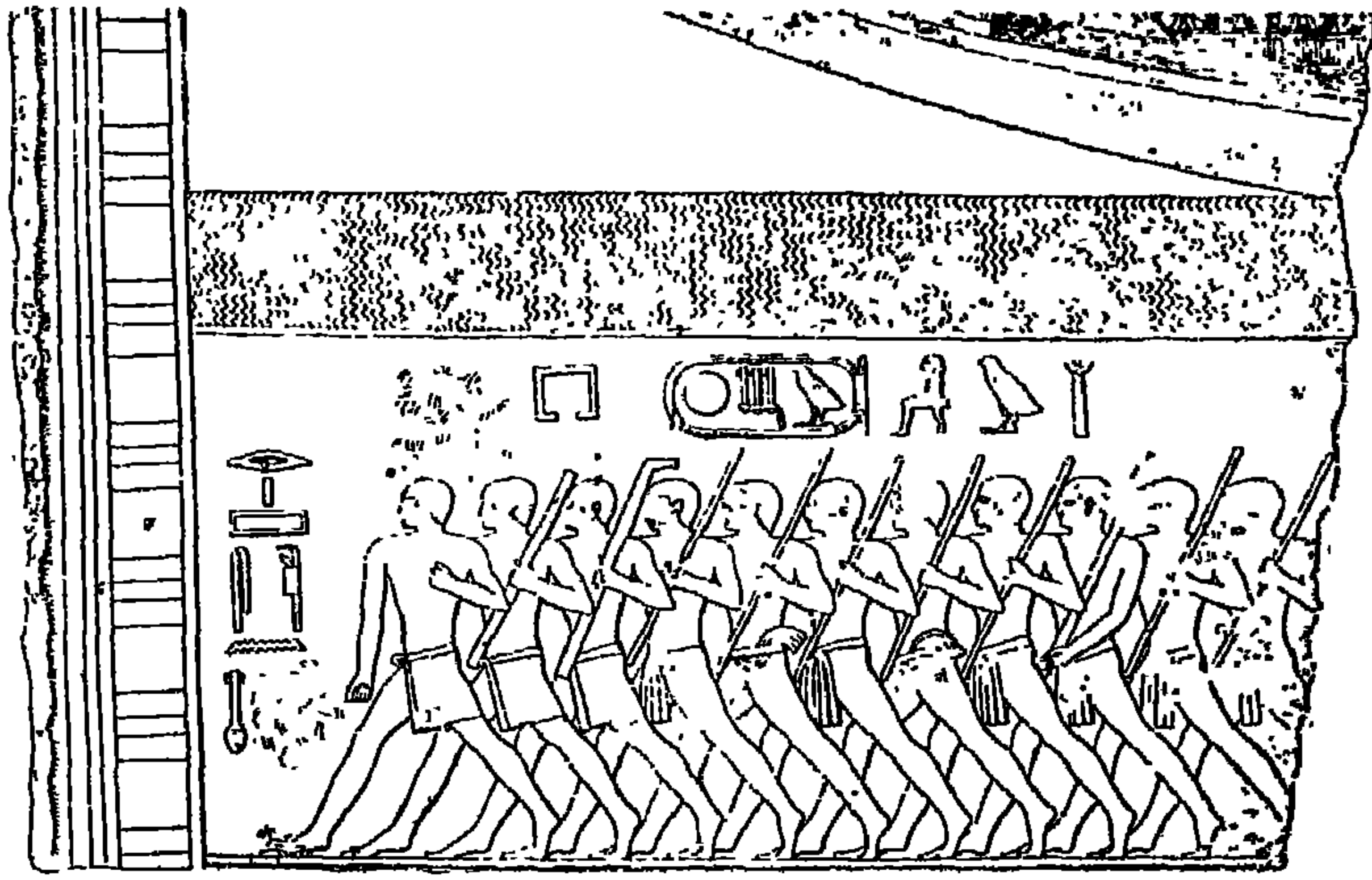


ضباط من حاشية الملك وجره — طيبة



سياط متنوعة — طيبة

(ش ١١)



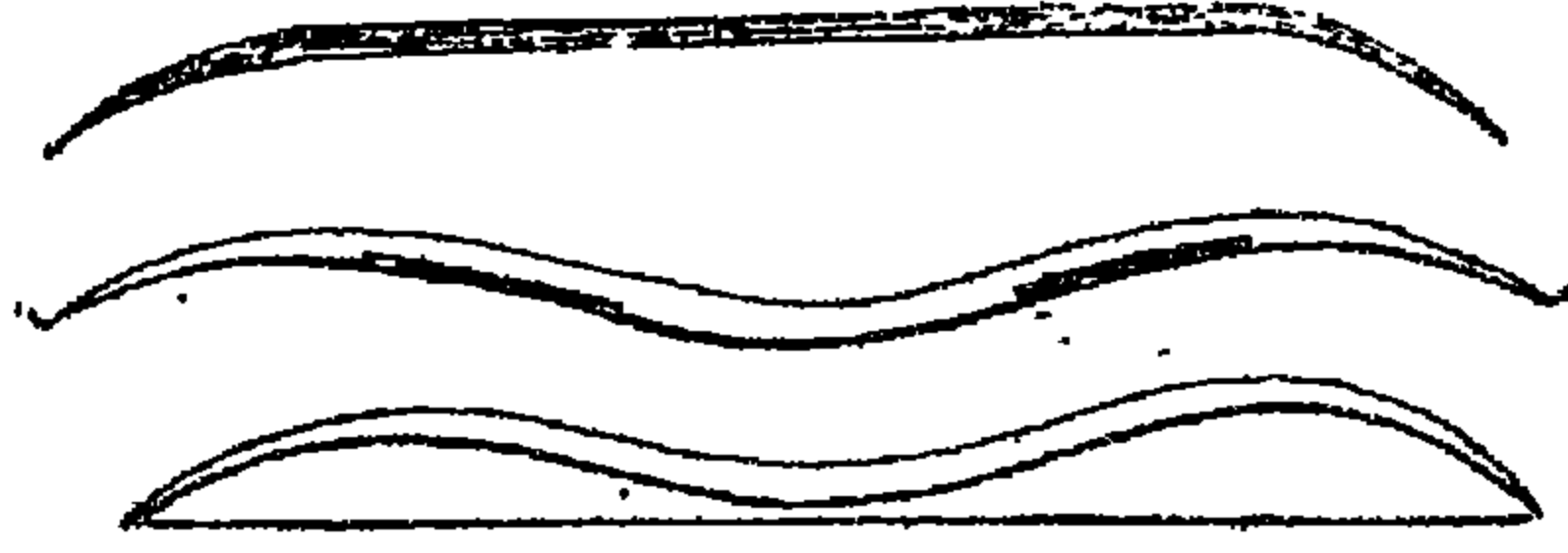
(ش ١٢) فصيلة من جنود الدولة القديمة يحملون العصي في أيديهم اليسرى



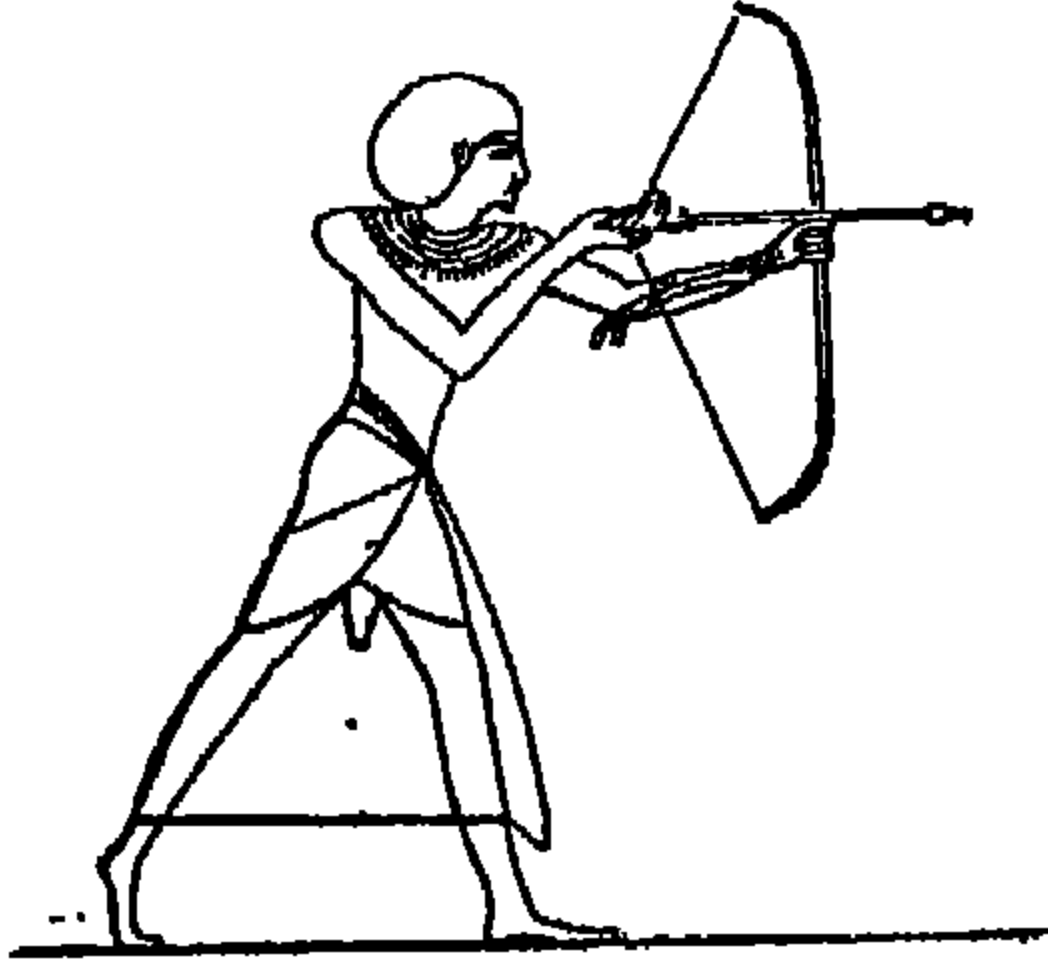
(ش ١٣) فصيلة جنود نظامية من حملة البلط والقسي — طيبة



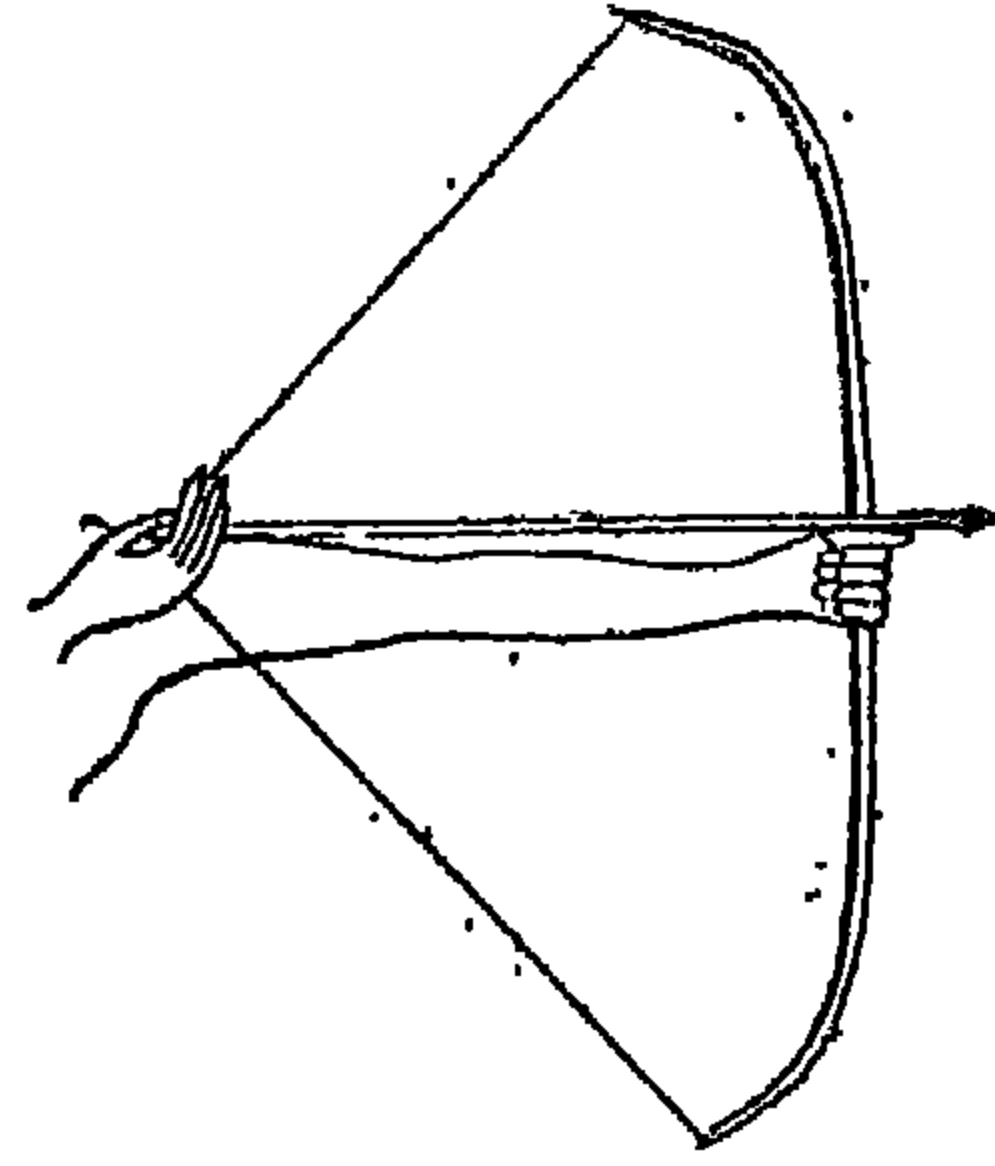
قوس مشر عليه بطيه — طول له أقدام



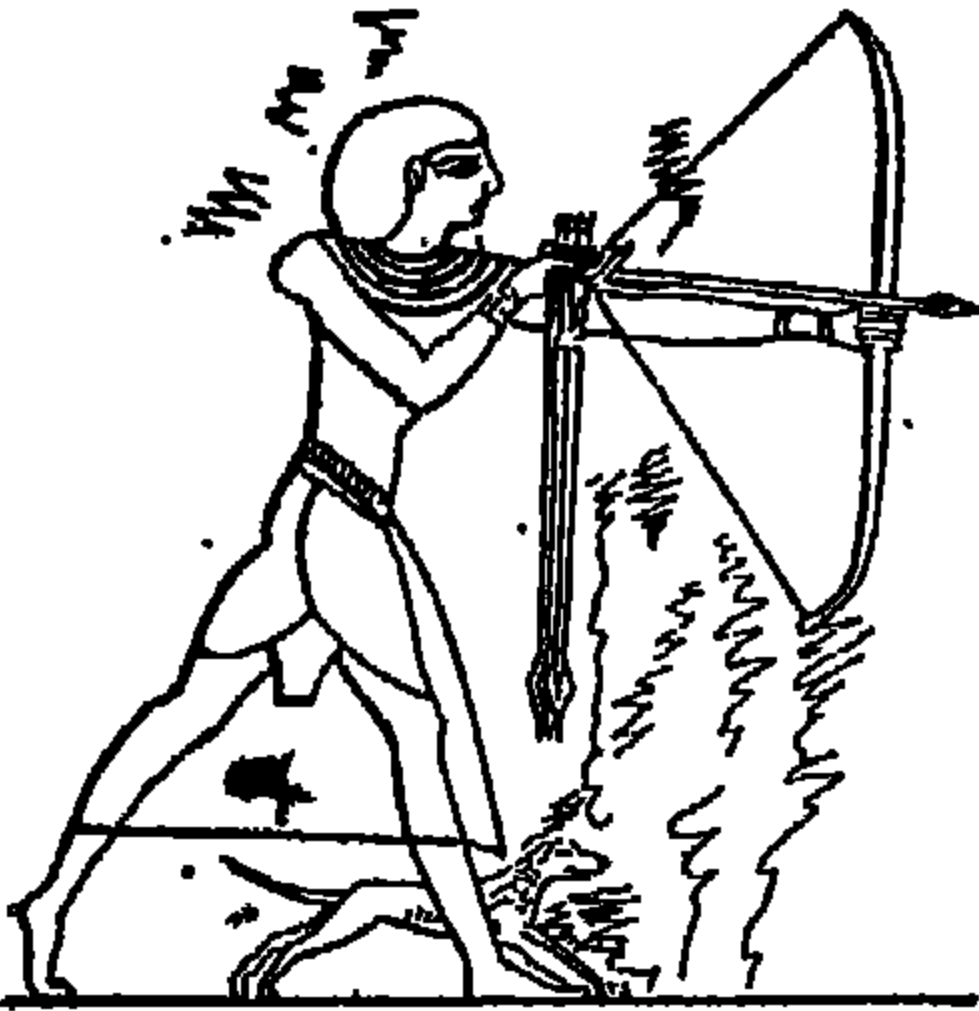
أقواس مصرية (طيه)



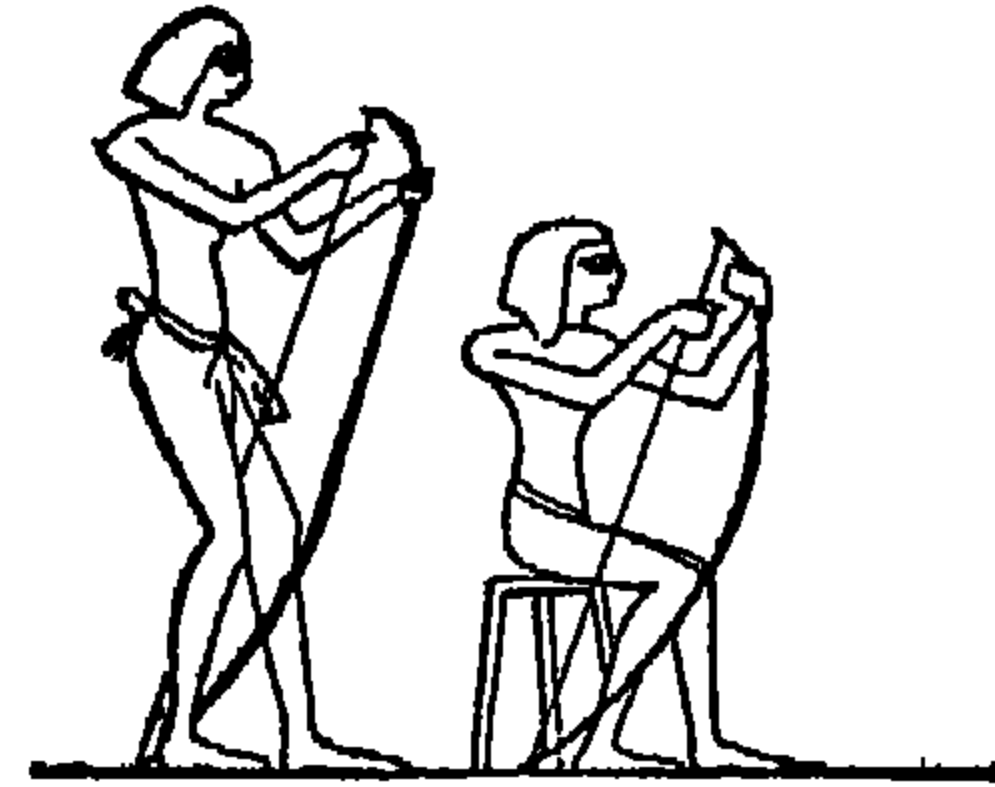
حابل القوس وقد لبس واقية على رسته (طيه)



رج مصنوع من القاب (طيه)



طريقة حمل الرماح الاحتياطية (طيه)

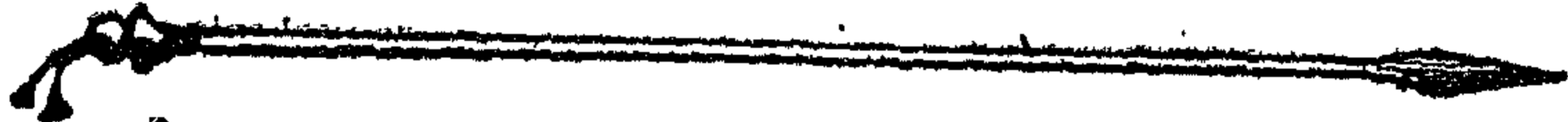


طريقة تثبيت الوتر في القوس
(طيه وبني حسن)

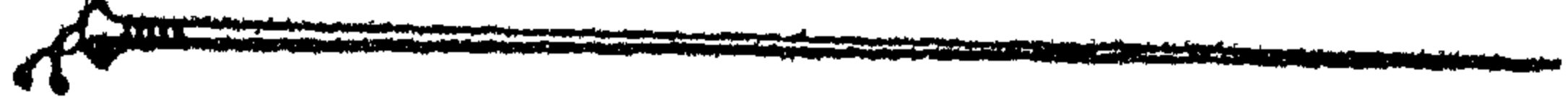
(ش ١٤) ستة أشكال تبين طرق استخدام القوس المصرية



(١)



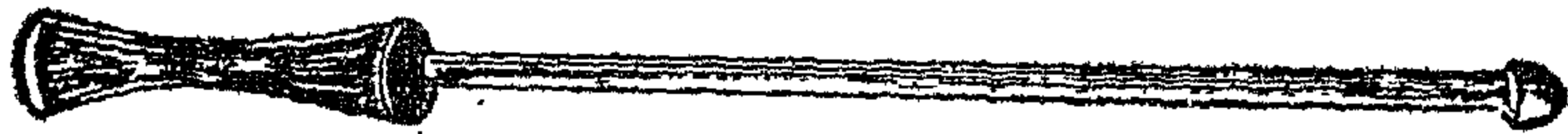
(٢)



(٣)



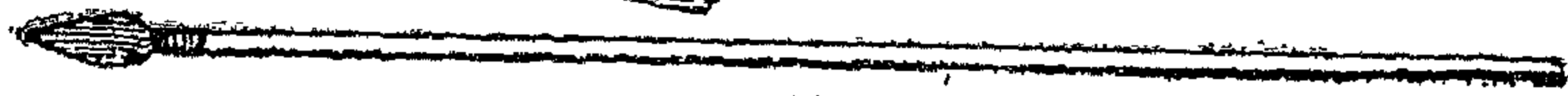
(٤)



عصا الترميئة

١ و ٢ و ٣ من طيبة و ٤ و ٥ من متحف برلين

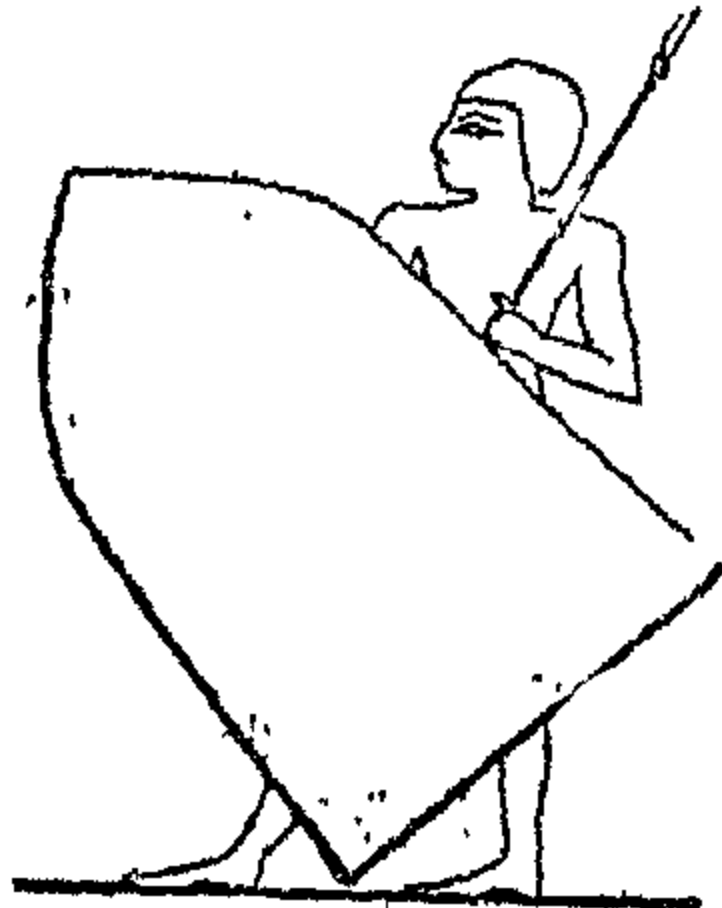
١ و ٤ رأس رمح و ٢ و ٣ نشاب



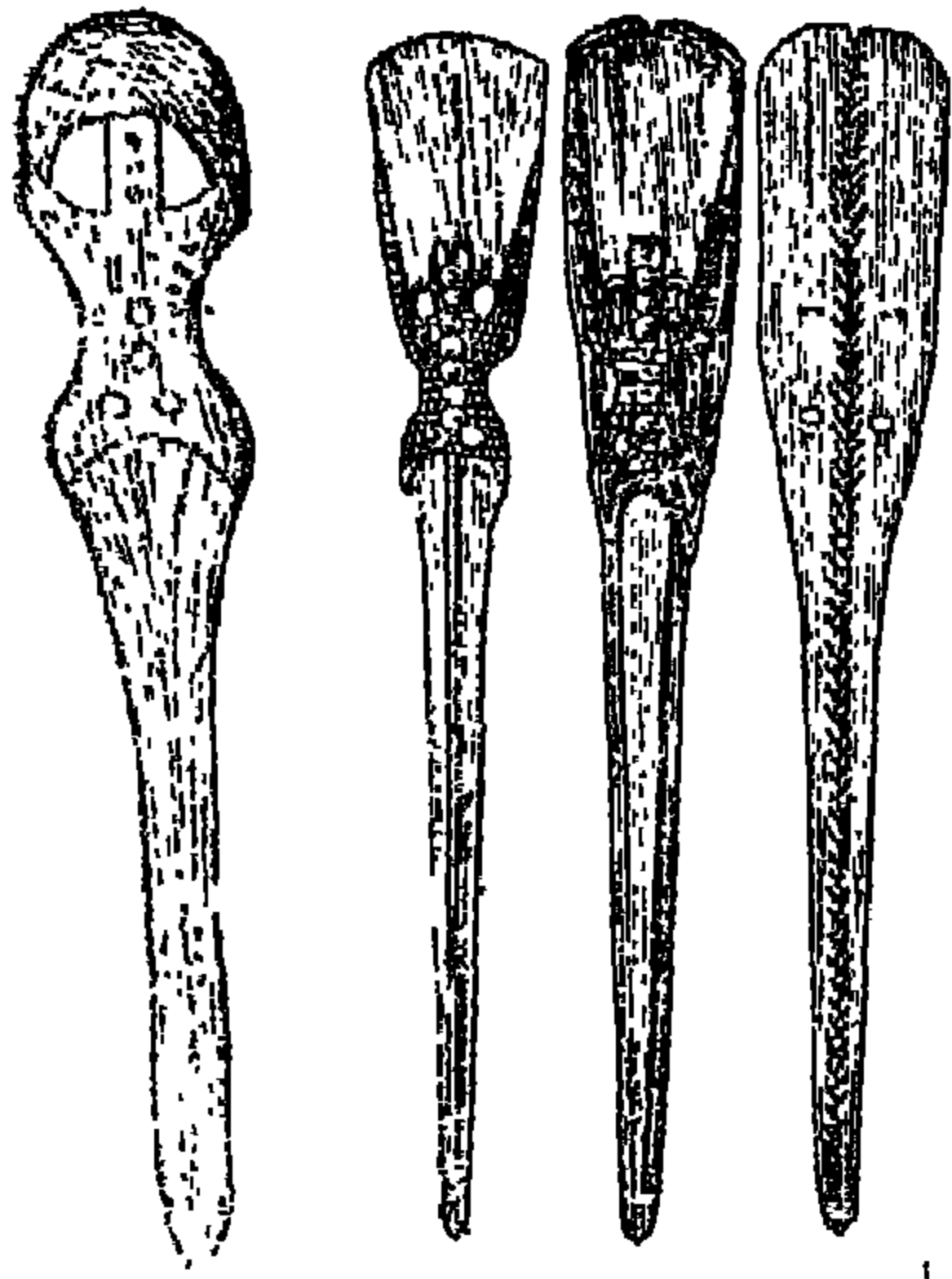
رءوس نشاب صغيرة

من طيبة

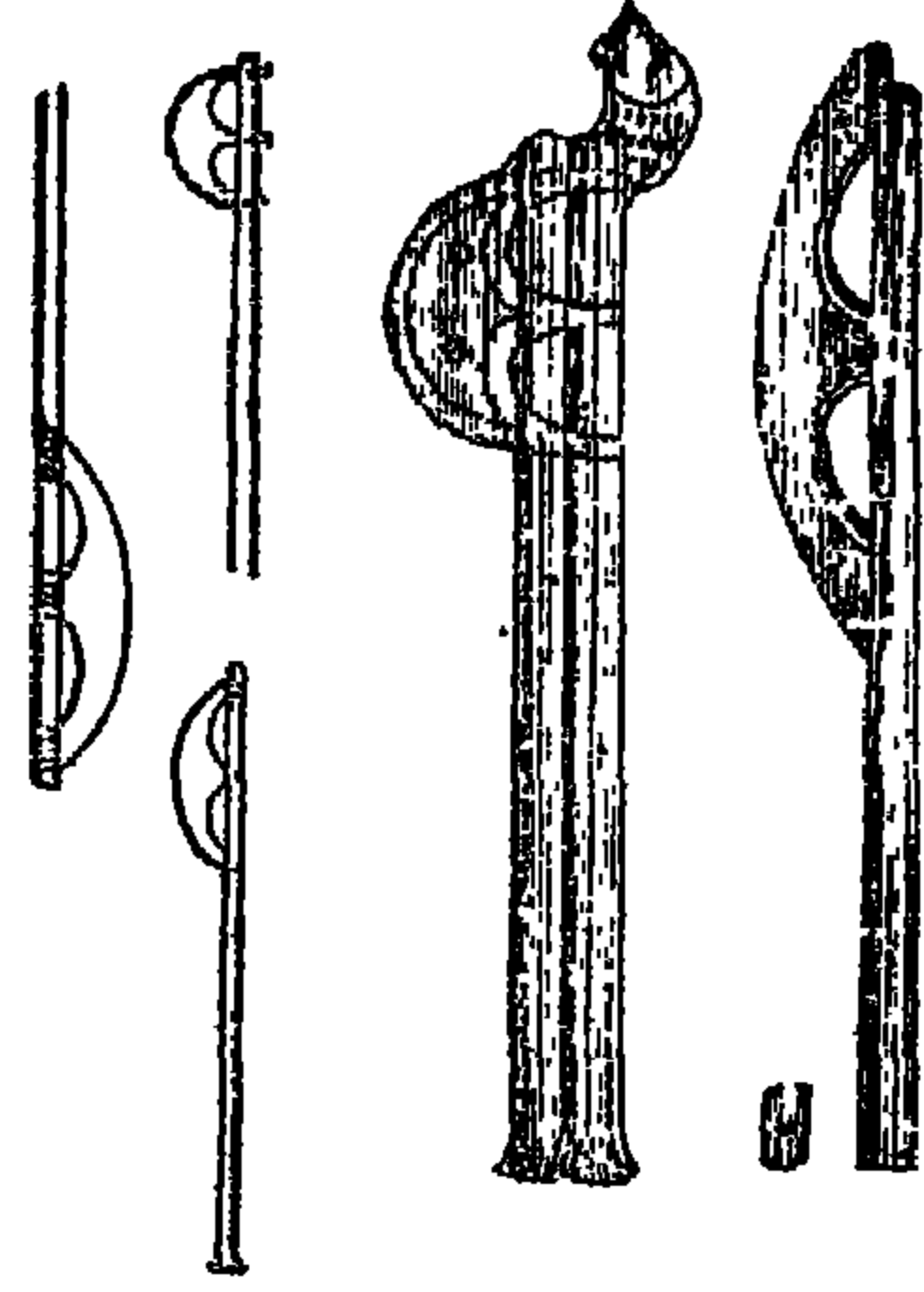
(ش ١٥) أشكال مختلفة تبين رءوس النشاب وعصى الترميئة



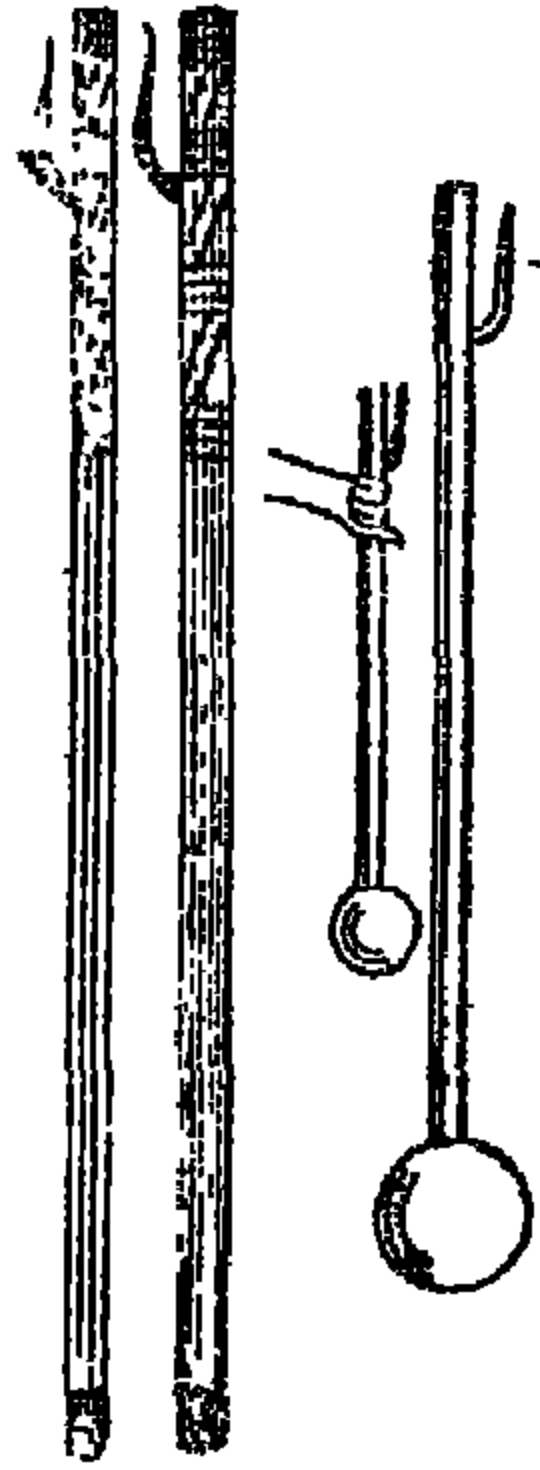
(ش ١٦) خمسة من جنود المنحوت الرابع (اخناتون)



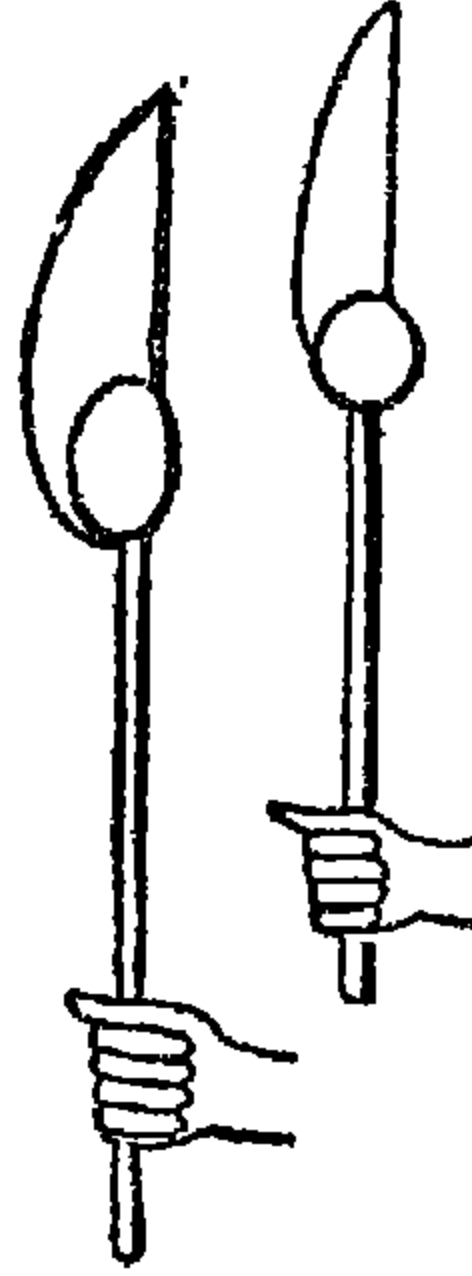
ظهر القمعة - خنجر خارج غمد - خنجر
متحف براين



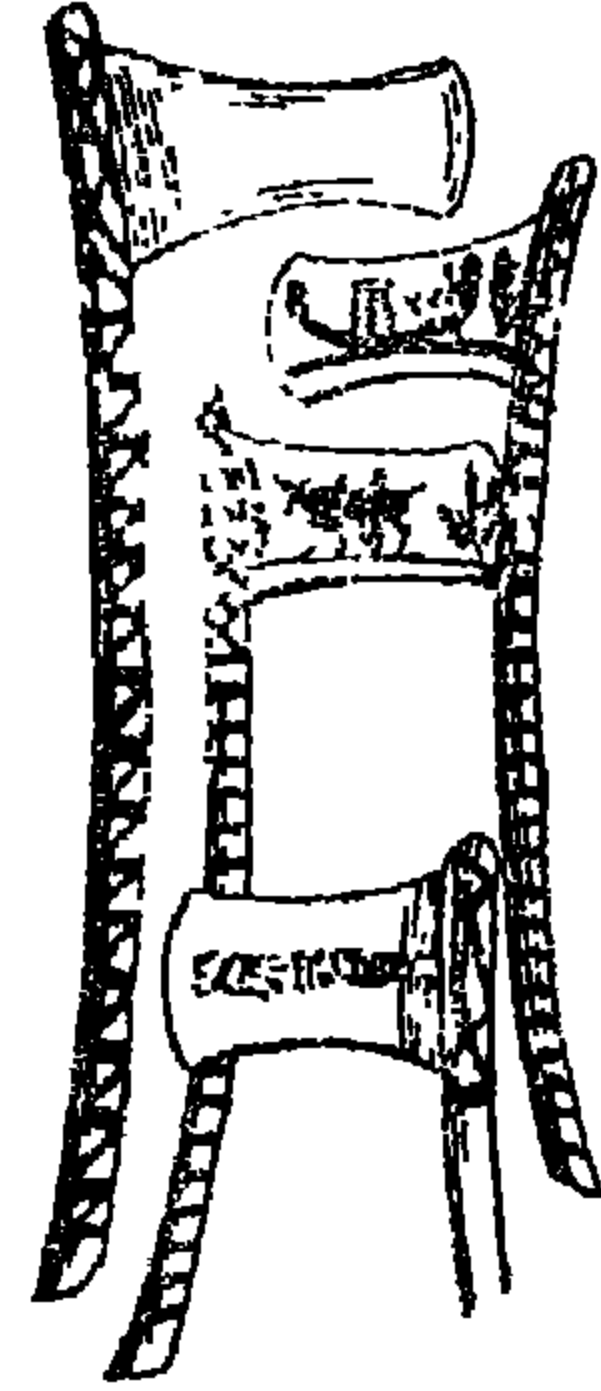
بلط للقتال - طيبة: وبنى حسن



أنواع من الصولجانات
(طيبة)

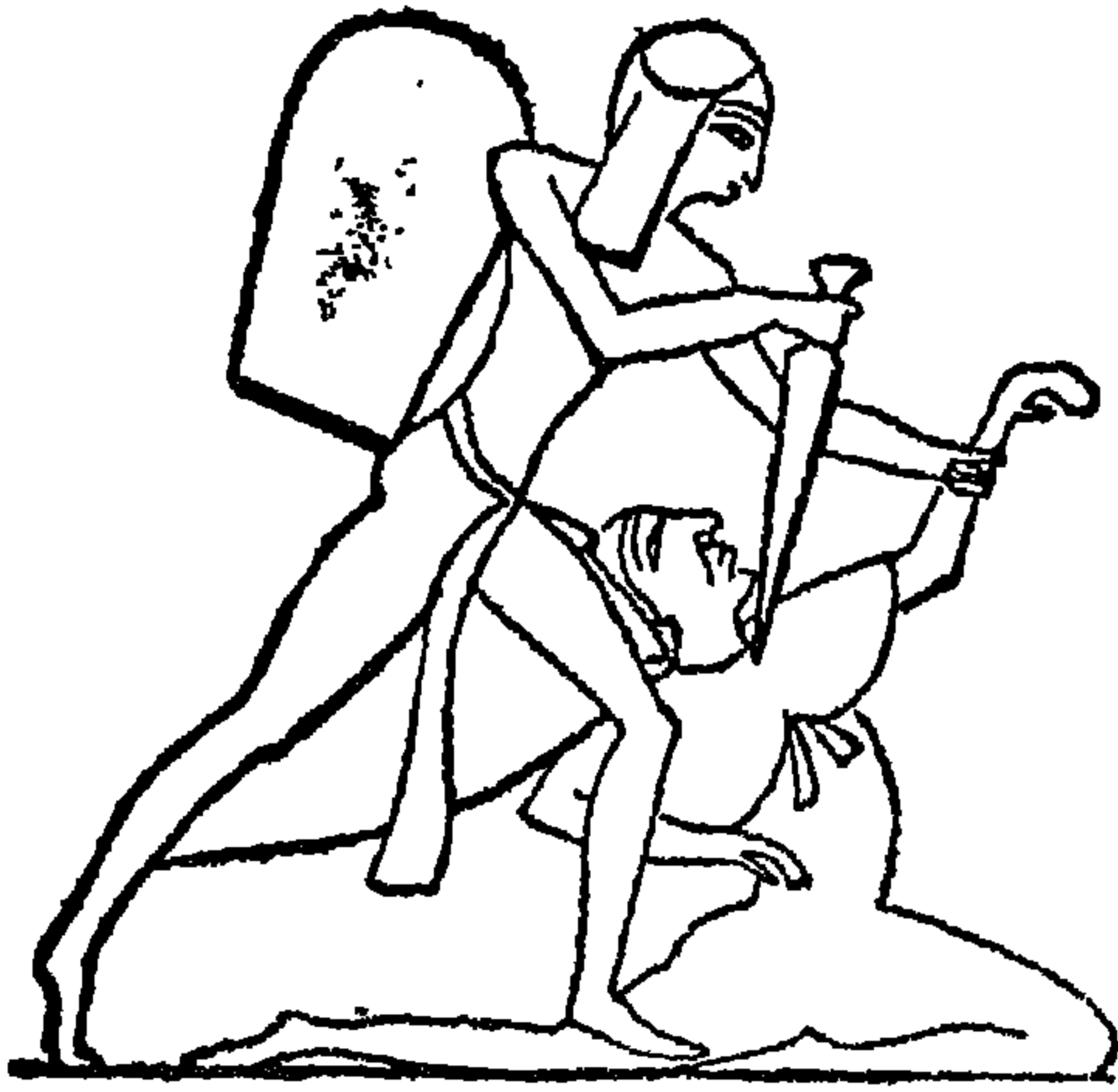


بلط قتال ذات مقابض -
خشبية - طيبة

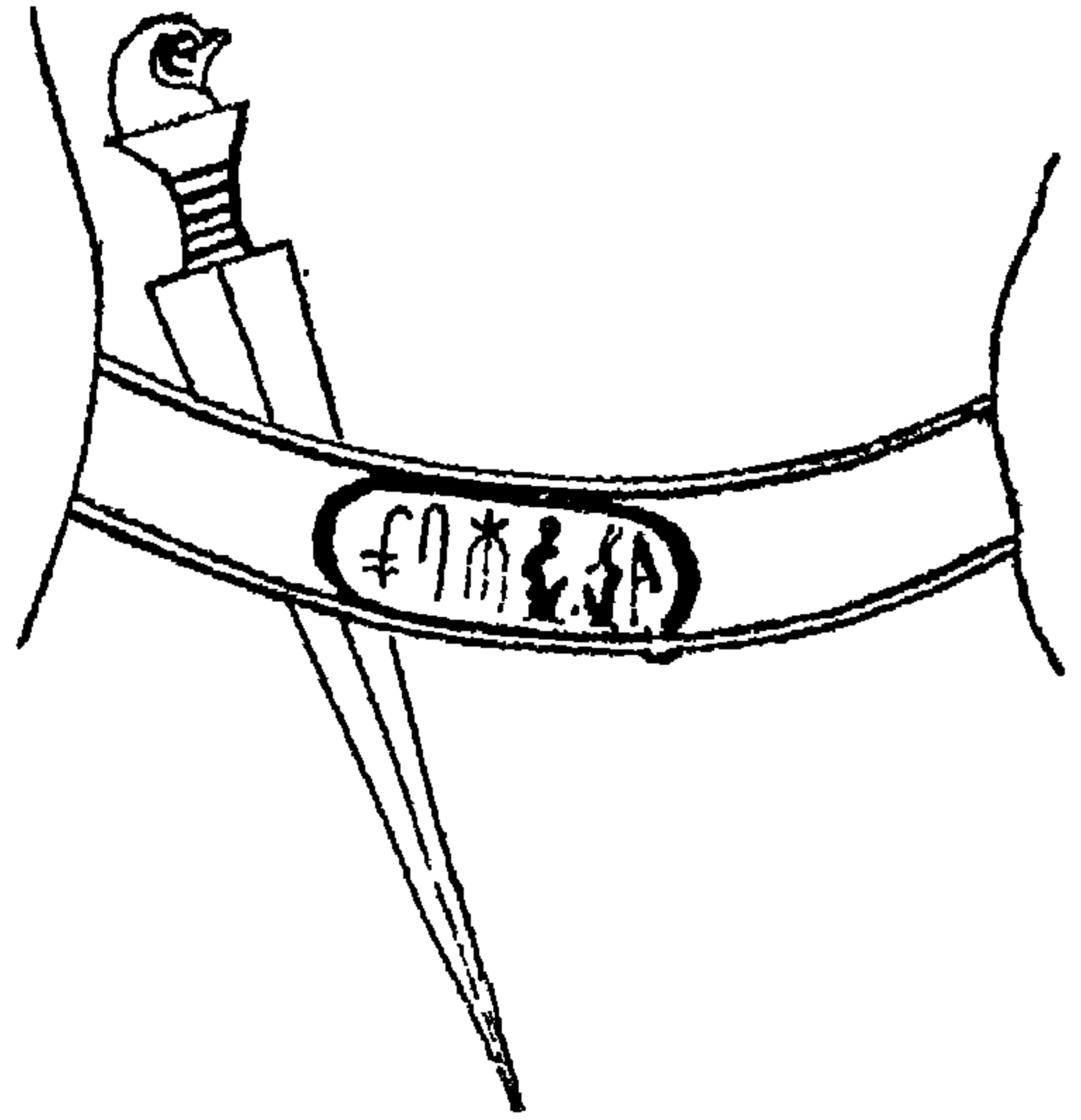


بلط وفروس
طيبة وجمجمة سولت

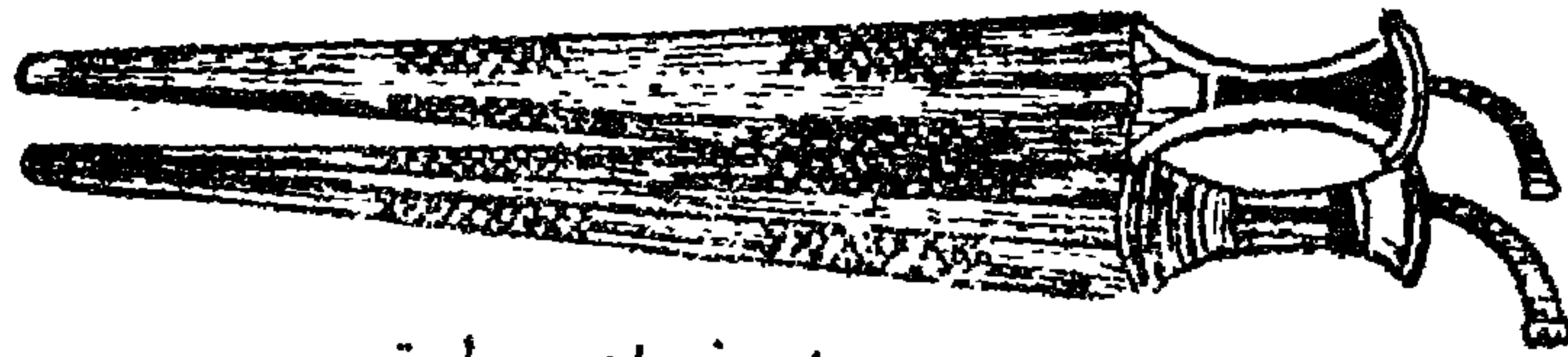
(ش ١٧) نماذج مختلفة تبين بلط القتال والخنجر والصولجانات المصرية



طعن العدو بالخنجر



طريقة إيس الخنجر - طية

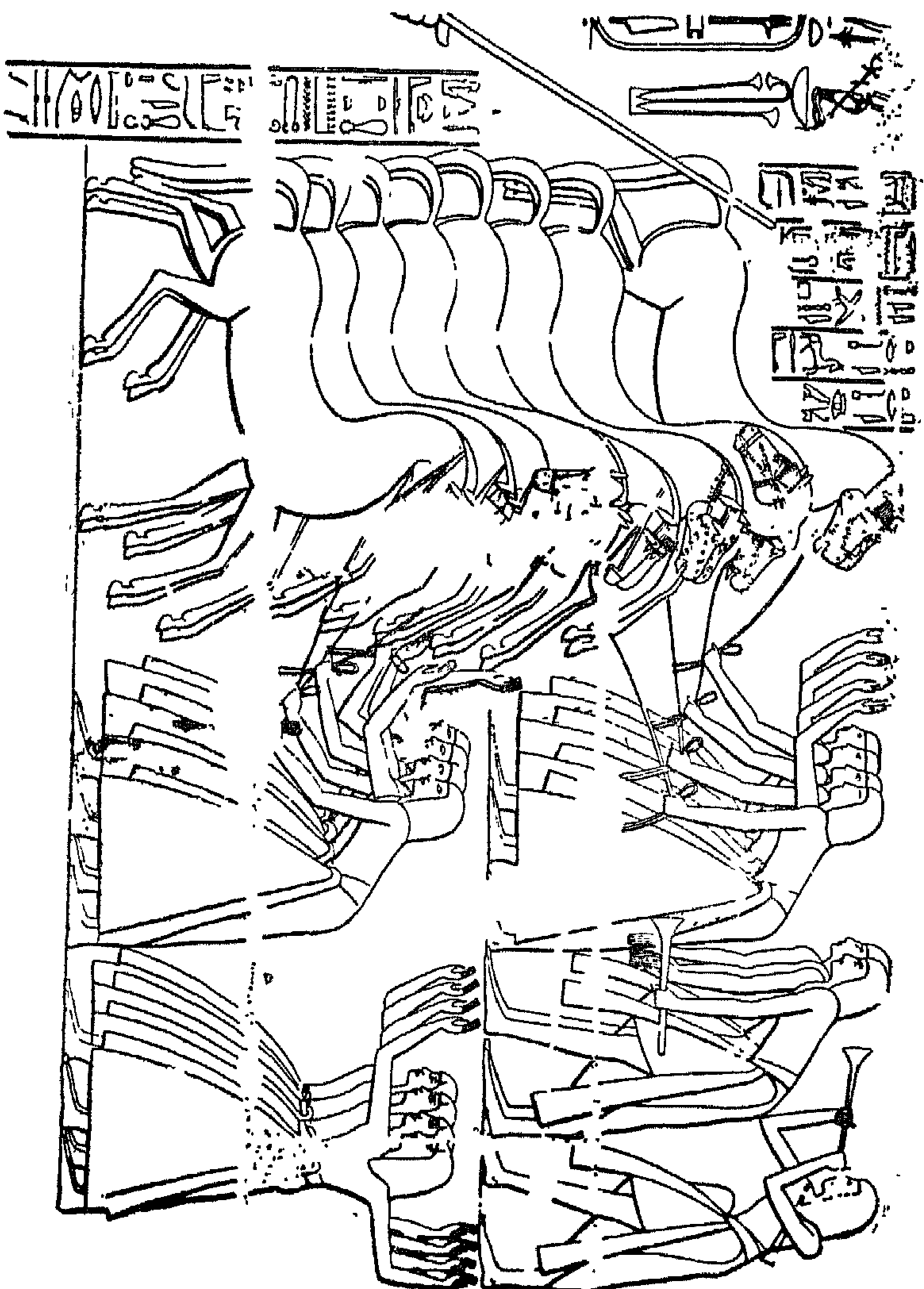


خنجران لها غمدان - طية
(ش ١٨) خنجر مصرية وطريقة استخدامها



(ش ١٩) ←

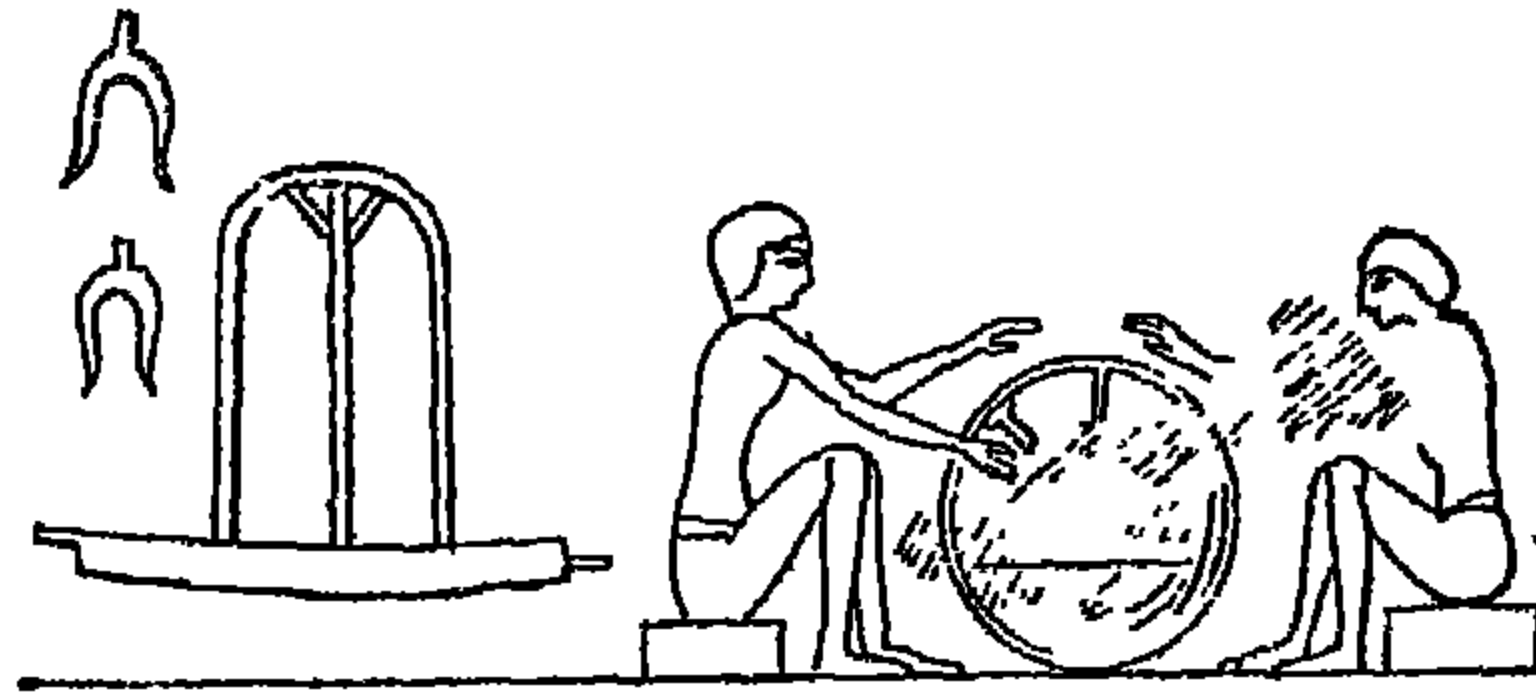
فارس مصري قديم من مدخل معبد إيسنا



(ش ٢٠) منظر بين تدريب الجياد وترويضها . كان لسكل جواد سائس يمسك لجامه بيد ويرت عليه بالآخرى
كان التدريب يجرى على صوت الانفير لتعداد الجياد حب القتال ، وإلى اليمين من أسفل بعض رجال البلاط يرفعون
أذرعهم تحية للملك عند قدومه لمشاهدة تدريب جياده . (مدينة هابو) .



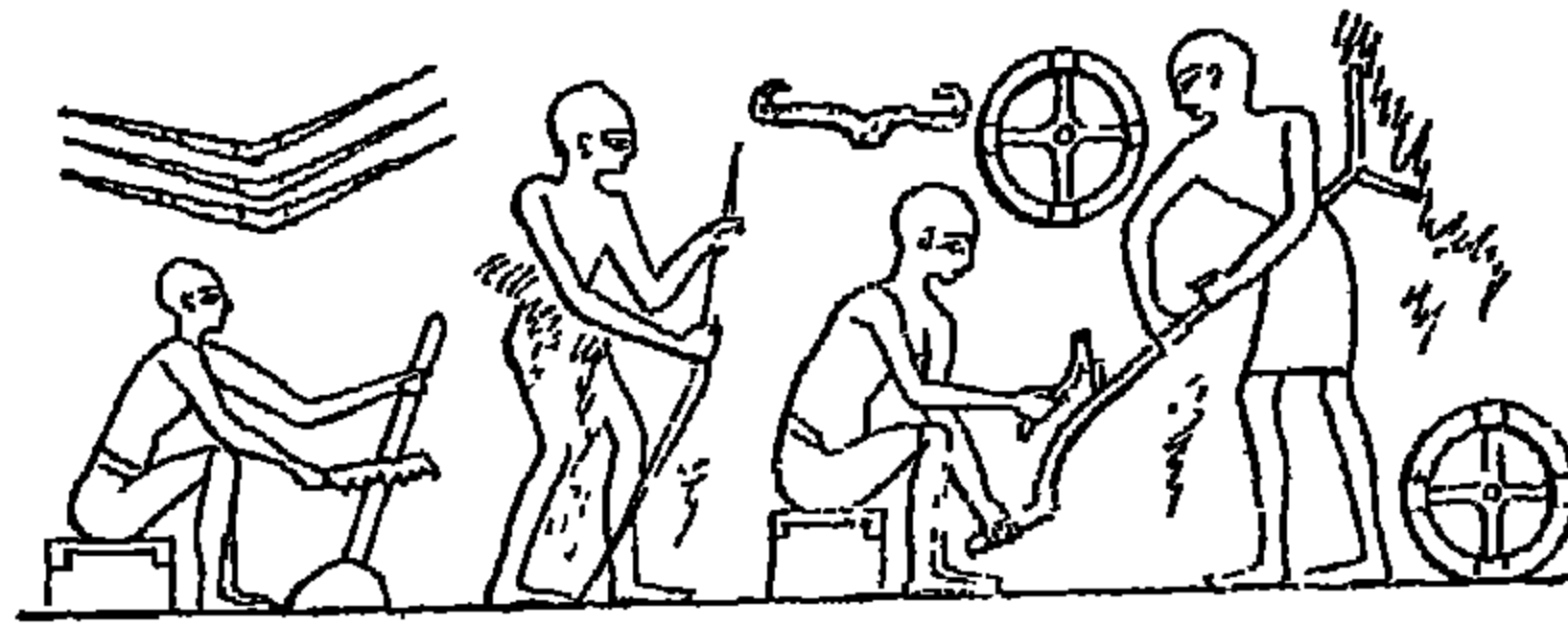
طريقة تجهيز الأجزاء الجلدية من عربات القتال — طيبة



طريقة تجهيز الأجزاء الخشبية من عربات القتال — طيبة

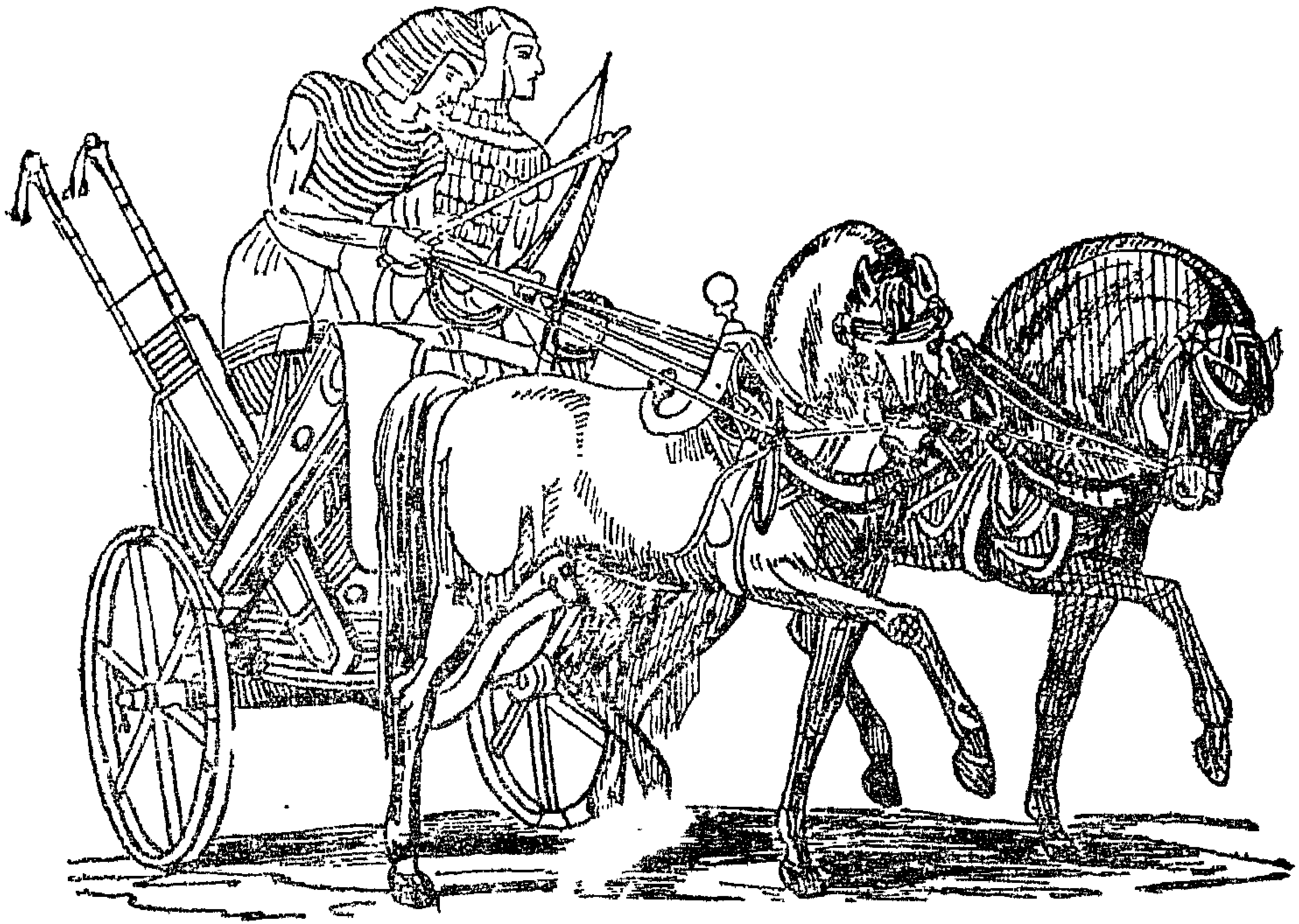


طريقة تجهيز عجل عربات القتال — طيبة



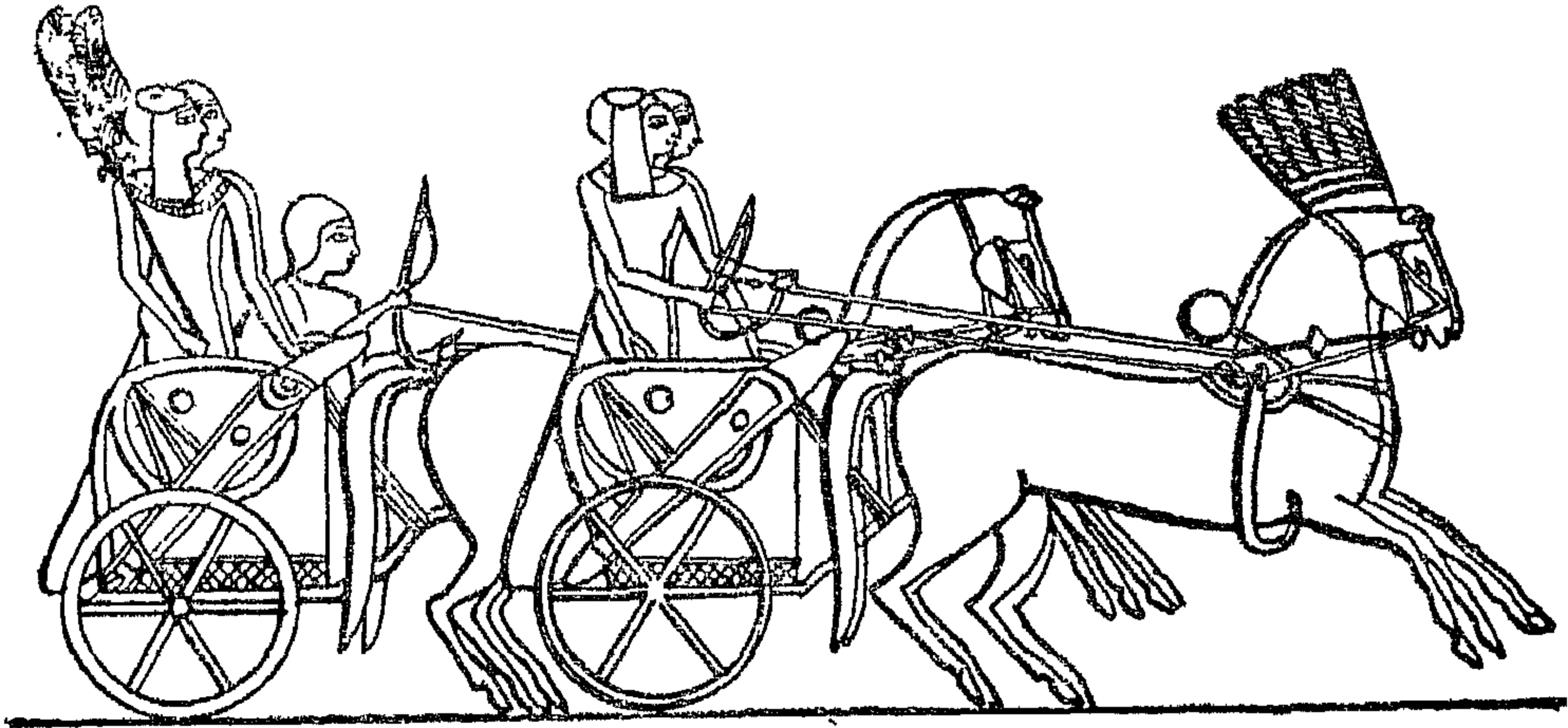
صناعة أجزاء عربات القتال — طيبة

ش ٢١ مناظر مختلفة تبين طرق صناعة عربة القتال عند
قدامى المصريين — طيبة



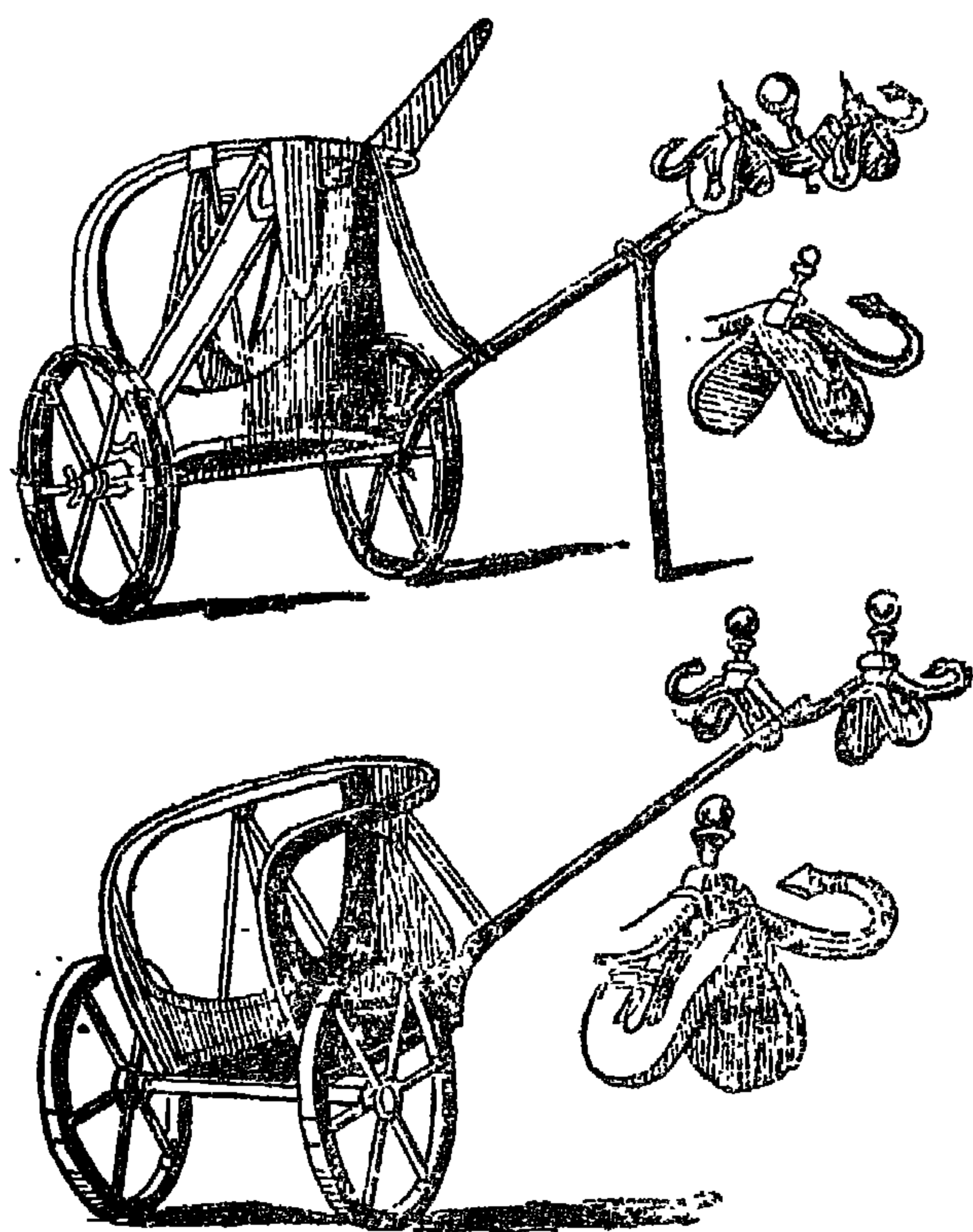
عربة قتال مصرية يجرها جوادان

(ش ٢٢)



أفراد البيت المسالك في عجلاتهم الحربية — طيبة

(ش ٢٣)



مربيات قتال وأطقم جياذ

(ش ٢٤) عربتان للقتال وقطع أطقم الخيل

يتمد بين طرفيه . وفي متحف برلين خنجر مصرى قديم بغمده عثر عليه الأثرى
(باسالاكوا) فى احدى حفريات طيبة ، وهو يوضح صناعة الأسلحة عند قدماء
المصريين .

المديّة :

أما المديّة فكانت أقصر من السيف ذات نصل واحد وقد استخدمت للقطع
وكانت تحملها جنود الأسلحة الخفيفة والثقيلة على السواء .

السيف القصير : (Falchion)

وكان الضباط والجنود يحملون ضمن أسلحتهم سيفاً قصيراً، وفى كثير من النقوش
يرى ملك مصر مشتبكاً مع العدو وهو يحمل معه البلطة ذات اليد القصيرة أو النبوت
(الصولجان) وكثيراً ما شوهد ضباط الجيش المصرى القديم وهم يحملون العصي
الخفيفة كالتي يحملها ضباطنا اليوم . أما فى أثناء قيادتهم للجنود للاشتباك فكانت
أسلحتهم كأسلحة الملك عندما يحارب على قدميه . وفى حرب العربات كانوا يسلحون
بالقوس .

البلطة ذات اليد القصيرة :

وكانت البلطة صغيرة الحجم بسيطة الصناعة لا يزيد طولها على قدمين ونصف
قدم لها نصل واحد . ولم تربلطة مصرية ذات نصلين كما كانت عند الرومان . وشكل
هذه البلطة يشبه شكل البلطة التى يستعملها النجار المصرى ولم يكن القصد من حملها
أن يستعملها الجنود كسلاح هام فى الاشتباك ، بل كانوا يهشمون بها أبواب المدن
التي يهاجمونها أو يكسرون الأشجار التي يحتاجون إلى خشبها لمعداتهم . وكانت البلطة
أقل جميع أسلحة القتال زخرفة وبعضها نقش على نصله صورة حيوان أو قارب
أو رمز من الرموز الدينية ينتهى فى الغالب بقدم غزال . وكان الجندى خلال مسيره
يحملها فى يده أو يعلقها على ظهره . ولم يظهر على النقوش الأثرية هل كان للبلطة
غمداً أم لا . وكانت أيدي بعض البلطات قصيرة جداً لا تزيد قدماً عن طول النصل

وان كان طولها في الغالب يقرب من ثلاثة أقدام وكان شكل النصل في الغالب نصف دائري ، وقد تفنن الصانع في نقشه ورسمه .

الصولجان :

ومن أسلحة المصريين الصولجان الخشبي . وكان يحاط بأسلاك البرونز . طوله قدما ونصف قدم ، تشبك في احدى نهايتيه قطعة مثلثة من المعدن تسمى الحارس لتحكيم اليد فوقها حتى لا تفلت عفوا أثناء الضرب . له كرة معدنية تضرب بها الخوذات والدروع وكانت تسليح به الجنود المشاة أو جنود العربات الخريية الذين كانوا يحملون صولجانين معهم يعلقان على جانبي العربة . وكان للصولجان شأن كبير عند اشتباك فريقى المعركة . فتظهر البسالة بأجلى مظهر لأن فرقة من الجنود الشجعان حملة القضبان يستطيعون إرباك العدو وتحطيم قواه بسرعة .

وكان لدى المصريين نوع آخر من الصولجان منتظم السمك في طوله الكامل عريض في نهايته العليا وليست له كرة أو حارس . وكانت العصى المقوسة أو النبايت (اللسان) تستعملها جنود الأسلحة الخفيفة أو الثقيلة أو حملة الأقواس . وهذه العصى وإن كانت تظهر لأول وهلة كسلاح عديم الفائدة لكن التجارب أثبتت أنها تفي بالغرض أثناء الالتحام ، وكانت قبائل البشاريين إلى عهد قريب تستعمل العصى بدلا من السيوف .

العربة الخريية :

كانت تسع العربة راكبين على مثال العربة الاغريقية وتسع أحيانا ثلاثة : السائق وقائدين . لكن كان ذلك نادرا ولم يشاهد إلا عندما كان الملك يصطحب أميرين فى بعض الحفلات أحدهما يحمل الصولجان الملكى أو الفلايلا والآخر يقود العربة ، وفى القتال كان كل ضابط يركب عربته ومعه سائقه وتعلق خلفه العلامة المميزة له حزام عريض ، ويكون حرا فى استعمال يديه للقوس والأسلحة الأخرى . وعندما يخرج الملك أو أحد الزعماء بقصد النزهة أو لزيارة صديق يستقل عربته وحده .

فيقودها بنفسه وأمامه تجرى السواس . فإذا وقفت العربى قبض هؤلاء على السروع ثم يأخذون جياد العربى الحرية لتسييرها بعيدا حتى عودة السيد . وكنت ترى دائما فى المعركة هؤلاء الاتباع على استعداد لاية إشارة . فإذا نزل قائد من عربته لقيادة جنوده فوق تل أو مرتفع لا تستطيع العربى تسلقه أو عند حصار مدينة محصنة أسرع هؤلاء الاتباع إلى الجياد وأخذوها إلى مكان أمين حتى عودة سيدهم ، أو تبعوه عن كذب ، وفى الغالب كان يوجد فريق آخر يقود العربات فى مؤخرة الجيش لاستبدال العربات المتقدمة عند حدوث مفاجئات أو عندما تضطره الأحوال العسكرية للتقهقر .

ويرى الملك فى المشاهد العسكرية المنقوشة على جدران المعابد المصرية راكبا جواده وفى عربته وليس معه سائق . والسروع ملفوفة حول وسطه . ويرى كذلك وهو يحنى قوسه ضد الأعداء . ويحتمل أن الفنان المصرى تعتمد عدم إظهار السائق بجانب الملك لاعتبارات فنية ولسكى يظهر الملك وحده واضحا على الآثار واشتملت العربى الحرية على راكبين من درجة واحدة يشتركان معا فى خطر القتال ومجده . فإذا كان سائق العربى الملازم للقائد لا يحمل رتبة عالية كان يعد تعيينه لهذا العمل فخرا وامتيازاً . وفى الغالب كان لا يعلأ هذه المناصب إلا أصحاب الأخلاق الحميدة والمنزلة الرفيعة والذين كانوا أهلا لاكتساب الشرف للملازماتهم أبناء الملوك والأمراء والقواد ، وكان أكثر الضباط المصريين ماهرين فى قيادة عرباتهم الحرية لا يحتاجون إلى من يقود لهم عرباتهم ، وكانوا يعتبرون ذلك فخرا لهم ودليلا على مهارتهم فى استعمال أسلحتهم فى أثناء قيادتهم للعربى .

لم توضح الآثار عربات مصرية يجرها أكثر من جوادين وإن كان بعض أعداء المصريين استعملوا العربات التى تجرها أربعة جياد . وكان فيلق العربات المصرية كالمشاة مقسما إلى جنود خفيفة وثقيلة وكلاهما مسلح بالآقواس فالأول هو سلاح العربات الخفيفة فكان يستخدم لإزعاج العدو بمقذوفات الحجارة ولذلك كان يستلزم خفة الحركة أما الثانى وهو سلاح العربات الثقيلة فكان يستخدم لتفريق شمل الجماعات الكثيفة من مشاة الأعداء بعد أمطارهم بوابل من السهام الثقيلة .

أطقم جياذ العربية الحربية :

كان يتكون طاقم رأس الجواد من خزام الأتف وقطعتين عموديتين من الجلد ينتهيان ، بوردة من الجلد ، ثبتت فيها قطع لتغطية الجبهة والرأس والاذنين وفوق الرأس على هيئة طاقية من الجلد تشبه الهاون ، ثبتت فيها زهور صناعية أو ريش نعام . أما الزمام والزام الإضافي فيبدأن من الشكيمة ، ويجد طوق يرتبط بطاقم الرأس يتكون من ثلاثة أجزاء رئيسية ، حزام من الجلد عريض نوعا ما ذو شكل دائري يغطي الكتف ، وحزام أقل عرضا يحيط بجسم الجواد ورخو إلى حد ما ، وحزام ضيق مشدود على الصدر ، أما بقية أجزاء الجسم فحرة ، وكانت صورة المعبود سوتخ سيد الخيول تنقش على الحجاب الذى يوضع على أعين الخيل .

واننا لنشاهد كثيرا من أنواع الأسلحة القديمة معروضة فى أبياء المتحف المصرى . فبرى الزائر مجموعة من أسلحة الطران (الصوان) التى ترجع إلى عصور قبل التاريخ فى مصر . كما يشاهد مجموعة أخرى من العصى والحرا ب والبلط والخناجر والعصى المعقوفة التى ترمى بها الطيور ومقابض للتروس .

وبين مكتشفات مقبرة توت عنخ آمون يشاهد هيكل عربية حربية من خشب مذهب ومزين برسوم بارزة ومطعم بشرائط من الزجاج المختلف الألوان . وفى الوسط « خراطيش » الملك والملكة يحملها صقر باسطا جناحيه وبين قمة العربية وحافتها الخارجية جملة رسوم تمثل ستة من الأسرى الزنوج والأسويين . وبالقرب من هذه العربية يشاهد الزائر مركبة أخرى عليها شارة الملك على شكل أبى الهول يطاء أسراه بأقدامه ويرى أيضا أربعة سروج من عدة الجياذ التى كانت تجر العربات وقد ازدان زوج منها برأسين مذهبين للآله « بس » .

وتحتوى مقتنيات مقبرة هذا الملك الشاب على مجموعة جميلة من الأقواس المطعمة والمكسوة بالذهب والعصى الخشبية المزركشة برقائيق الذهب والصوالجة والأقواس والمسدى والسكاكين والسهام التى لا يزال كثير منها محافظا على ريشه ، ونصالها مختلفة المواد والأشكال . فثنا ما هو مصنوع من البرونز على شكل كثرى

أو رمانة ومنها ماهو مصنوع من الزجاج أوله أسنة من العاج أو من الخشب . ومنها ماهو مدبب أو مخروطى النصل للعب .

توزيع الأسلحة والمهمات العسكرية :

عندما تقرر الحرب ، يتم توزيع الأسلحة والمهمات فى حفل رائع يحضره الملك شخصيا . وعلى سبيل المثال كان رمسيس الثالث يتخذ مكانه على شرفة فوق ربوة عالية ، وقد اتكأ بذراعه على وسادة ، فيقبل التحيات ويسمع خطاب ضباطه ، ثم يتحدث إليهم بنفسه : أخرجوا الأسلحة واعرضوها على الملأ ، حتى تخدم شجاعة أبى آمون البلاد النائرة التى تجهل قدر مصر . وكان يرتدى فى هذه المناسبات الزى الكامل الذى يتكون من مئزر يحمى ، وفى قدميه نعلان ، ويتجمع حوله ولى العهد والسكران الملكى وعدد كبير من عظماء الضباط . فكانت ترص الأسلحة على اختلاف أنواعها : فهذه خوذة من النوع ذى الحواف الذى يغطى الرأس ، وخلف الرقبة على السواء ، ولها شريطان مدليان من أعلا . وترى السيوف والقسي المثلثة وجعاب السهام والدروع التى تقى جسم المحارب ، والخناجر ذات النصال المقوسة على هيئة المنجل ، لها أيد طويلة تنتهى بقبضة كروية عرفت فى مصر باسم خبش : ثم يتقدم الجنود الواحد تلو الآخر فى صف طويل ، وبأيديهم الخالية يتسلمون الأسلحة ، ومن ثم يتحركون وفى الوقت نفسه يقيد الكتاب أسماءهم ونوع السلاح الذى يحملونه .

أعلام الجيش

ظهر العلم فى وادى النيل ثم عرفته جميع الشعوب القديمة الذين اختلطوا بالمصريين كالأشوريين واليهود والفرس واليونان والرومان .

كان لكل إقليم من الأقاليم المصرية معبود خاص ولكل معبود رمز خاص . فكان العجل أيس رمز المعبود « بتاح » النازل من السماء — وابن آوى والحية والباشق وغيرها . وقد ذكر المؤرخ اليونانى « بلوتارك » أن قدماء المصريين اتخذوا تلك الطيور والحيوانات آلهة لهم لأغراض سياسية .

فكر رؤساء تلك الأقاليم القديمة في أن يضعوا في مقدمة جيوشهم أعلاما عليها رسوم بعض الطيور وأنواع الحيوان لتمييز قوات الأقاليم بعضها عن بعض . فلما انتصر المصريون وفازوا على أعدائهم اعتبروا الطيور والرموز الأخرى المنقوشة على الأعلام حماة لهم واتخذوها فيما بعد رموزا مقدسة لمعبوداتهم المحلية .

وذكر بعض المؤرخين القدماء أن الأعلام استعملت في الدولة المصرية القديمة قبل اتخاذهم لبعض الطيور والحيوانات آلهة لهم . وإن هذه الطيور والحيوانات والرموز اتخذت معبودات للمصريين ووضعت بعدئذ على أعلام قبائلهم لغرض سياسى وقال آخرون إن تلك الطيور والحيوانات أو الرموز عدت آلهة في الوقت الذى أنشئت فيه تلك الأعلام .

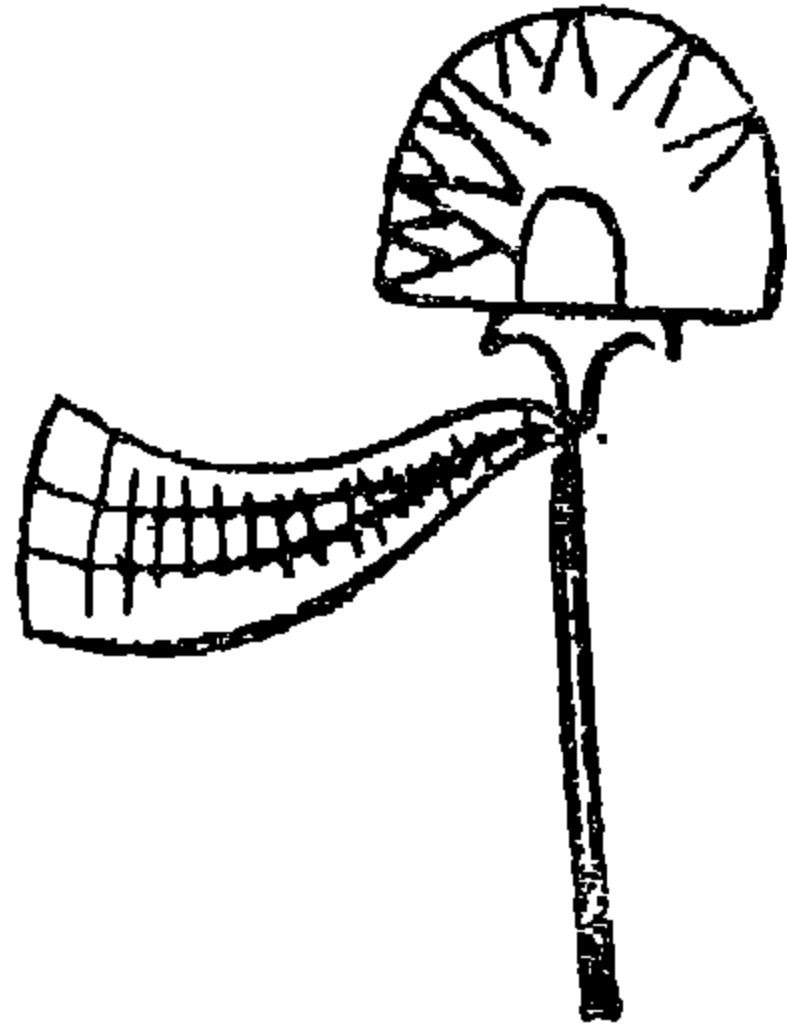
وكان لكل كتيبة ولكل سرية علم خاص يرمز لمعنى أو لفكرة دينية أو يحمل اسما لإله من الآلهة أو ملك من الملوك أو حيوان مقدس . وكان الجنود إما أن يتقدموا العلم أو يتقدمهم العلم وكان ينظر الجنود إلى أعلامهم باحترام وتبجيل . وقال : « ديودور » أن الأعلام كانت تتركب على رح أو عود من خشب الزان يحمله ضابط يسير في مقدمة الوحدة العسكرية . وكان هذا العلم في الحقيقة بمثابة قائد للجنود وهو الذى يحركهم وهو الذى يشجعهم ويبث روح الحمية فيهم في أوقات القتال العصبية . وقد كان منصب حامل العلم أشرف وأهم المناصب التى يصبوا إليها كل جندى فى الجيش المصرى القديم . فكان ينتخب لخدمة ضابط له شخصيه نبيلة ومكانة معروفة . كما امتاز عن زملائه بعلامة يضعها حول رقبتة وتمتد إلى تحتها قليلا وتتكون من أسدين وشارتين صغيرتين تمثلان فى الغالب ذبايتين .

وإلى جانب أعلام الوحدات كاللواءات والكتائب والسرايا ، كانت هنا الأعلام الملكية التى يحملها رجال البلاط المقربون إلى فرعون مصر . وكان معظم حاملها من الأمراء أو أبناء الأشراف الذين يؤلفون غالبية رجال حاشية الملك أو هيئة أركان حربه . وكانت رتبهم فى الغالب « قوادا » (جنرالات) . وكانت مراكزهم فى أثناء احتفالات النصر أو التتويج أو الحفلات الملكية قريبة جدا من الملك . كما كان يحمل بعضهم المزاوح الملكية أو الصولجانات . وكانت مراكزهم سواء إلى يمين الملك أو يساره أمامه أو خلفه تتوقف على أهمية كل منهم .

الموسيقى العسكرية

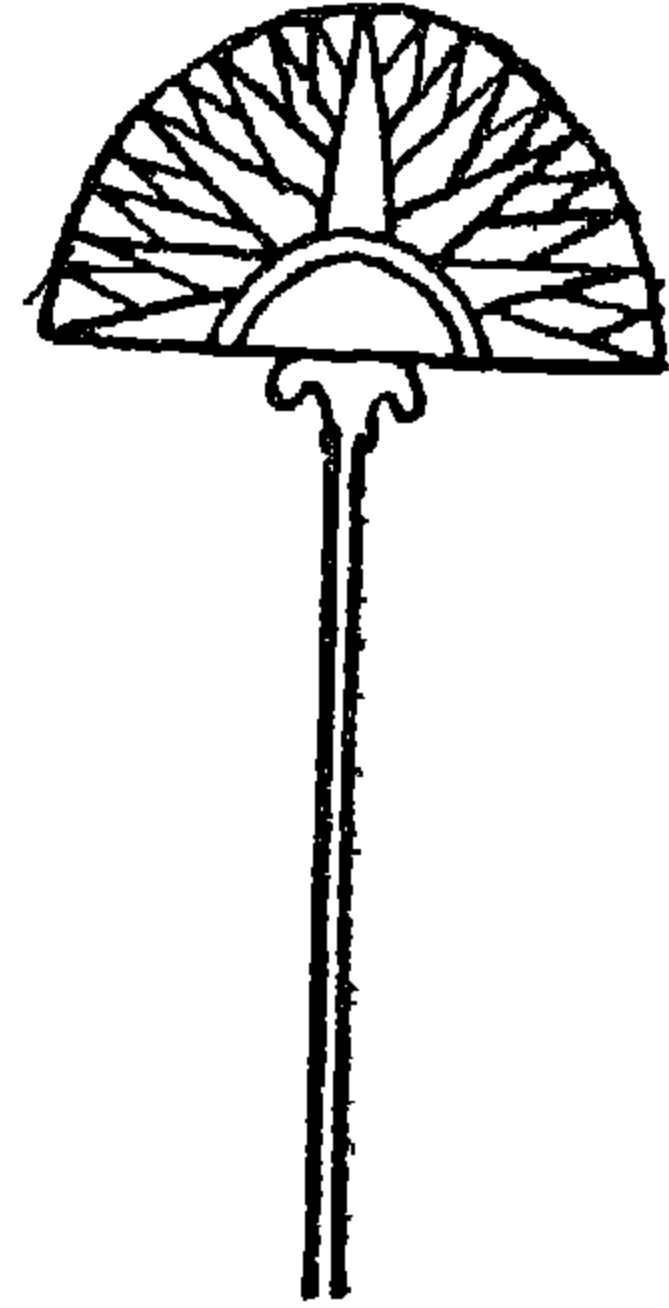
كانت تجمع جنود الوحدات على صوت النفير — وعرف المصريون هذه الآلة الموسيقية منذ أقدم العصور التاريخية . وقد خلد النقاش المصرى بفنه الدقيق على الآثار المصرية مواقف عدة « للبروجى » وهو ينفخ فى النفير لجمع الجنود . أو يرى فى طبيعتهم لتشجيعهم على الهجوم السريع ، أو للسير بخطوات متزنة . وقد ذكر المؤرخ « كليمنس » أن المصريين كانوا يسرون إلى ميادين القتال على صوت الطبول . وقد أيدت بعض نقوش الآثار هذا الرأى .

وكان النفير المصرى (البوق) آلة يبلغ طولها ذراعاً وتصنع من المعدن الأصفر ذات بوق للقم واضح الظهور — مخروطية الشكل تزيد نهايته فى الاتساع بوضوح والنفير على هذه الصورة لا يؤدي غير نغمة واحدة وجوابها . وهو لذلك لا يستعمل الا فى الاشارات ، وكان أهم استعماله فى الحروب . فهو آلة حربية وإن كانت تستعمل أحيانا عند تقديم القرابين وأول ظهور النفير كان فى الدولة الحديثة إذ عثر على أول صورة فى نقوش عصر تحوتمس الرابع .



(شكل ٢)

علم عهد الملك أخناتون . وكان يحمل
حراسه فى الحفلات . ويميز على علم عهد
حتشبسوت بقطعة القماش الملونة الألوان
(أحمر . أحمر . أخضر) المثبتة
بعود العلم



(شكل ١)

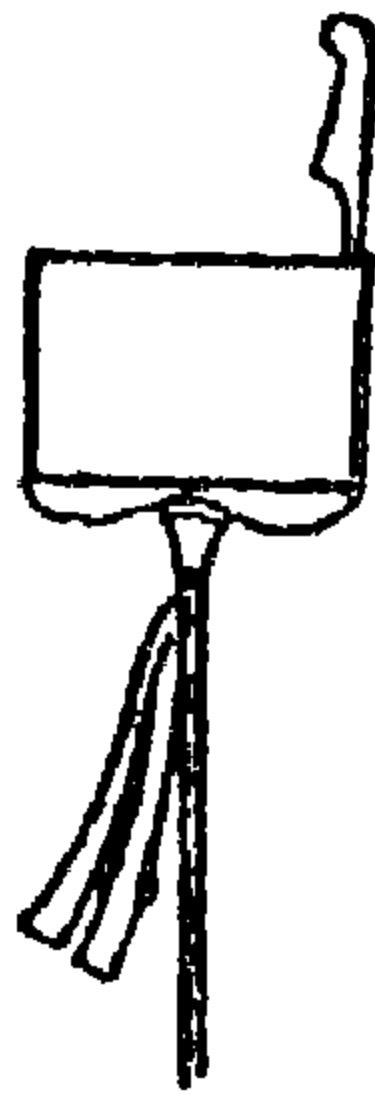
أقدم أشكال العلم المصرى على
شكل مروحة — منقوش على أحد
جدران الدير البحرى من عهد الملكة
حتشبسوت . استعمل فى وحدات
الجيش والبحرية

(ش ٢٥ - ٢٦)



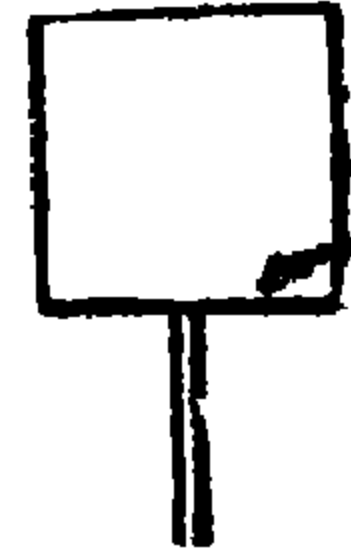
(شكل ٥)

يلاحظ في هذا العلم أن
الريشة مثبتة في وسط
الجانب العلوي للمربع



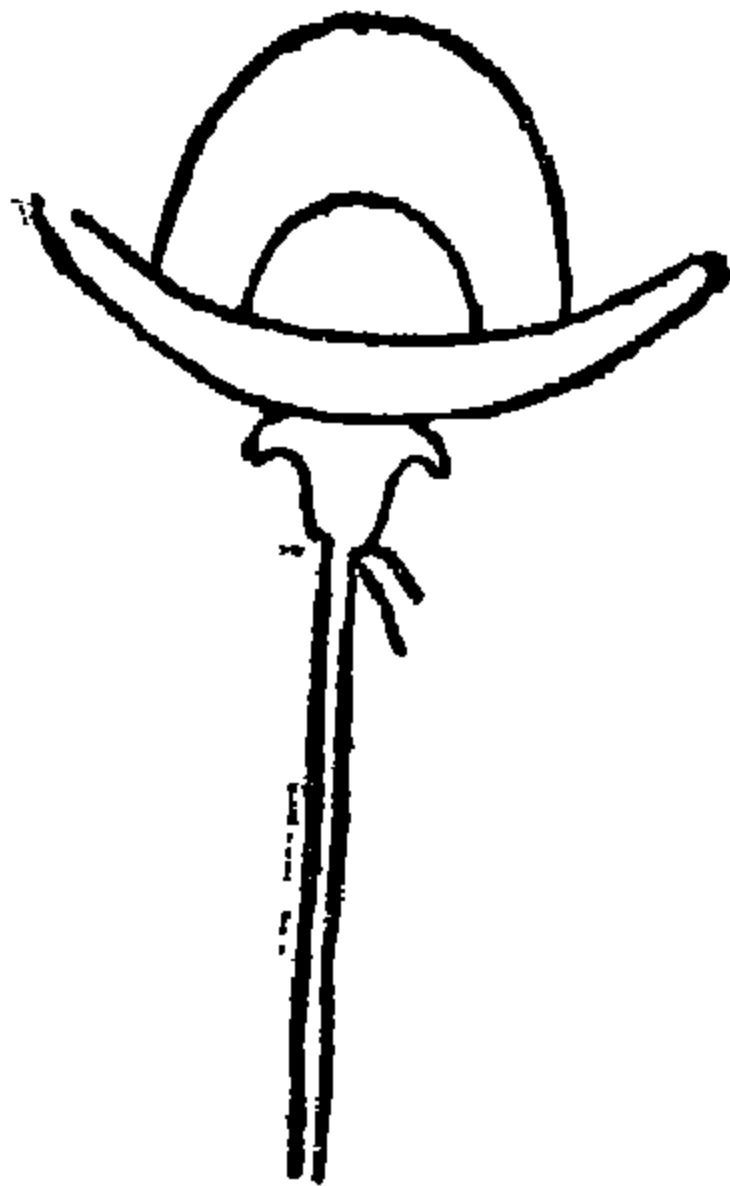
(شكل ٤)

علم مربع الشكل مثبتة في زاويته
العليا ريشة نعام أو بدونها .
شاهد هذا العلم بين مشتملات
منظرين ريسيس الثالث وهو
بورع المعتاد على جنوده قبل
المركة



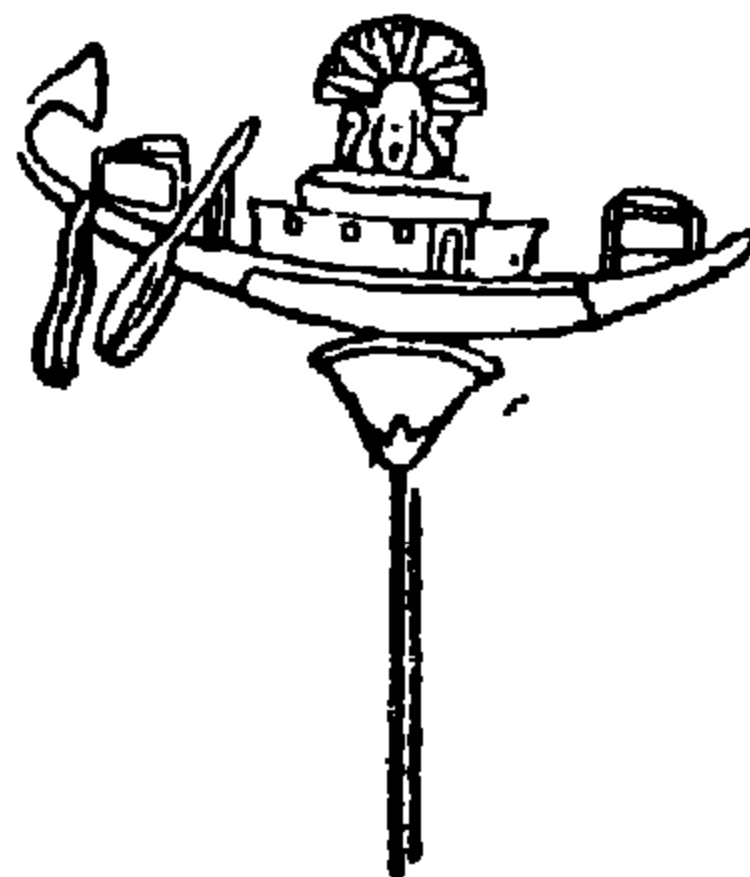
(شكل ٣)

علم مربع الشكل مثبت
بعمود . والمربع في
الغالب غير مزخرف
وكذلك العمود وقد
تثبت به قطعة القماش
الملونة أو يكون بدونها



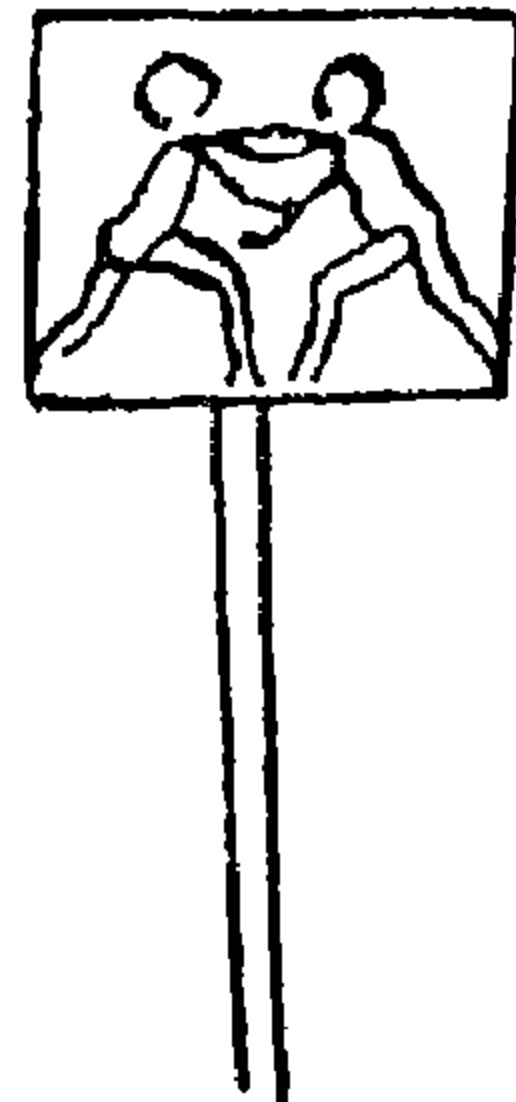
(شكل ٨)

علم سفينة قد تكون سفينة
الشمس . أو علم وحيدة من
الجنود المقتربين في مقاطعة
هليوبوليس أو منطقة أخرى
اتخذت قرص الشمس عبادة له



(شكل ٧)

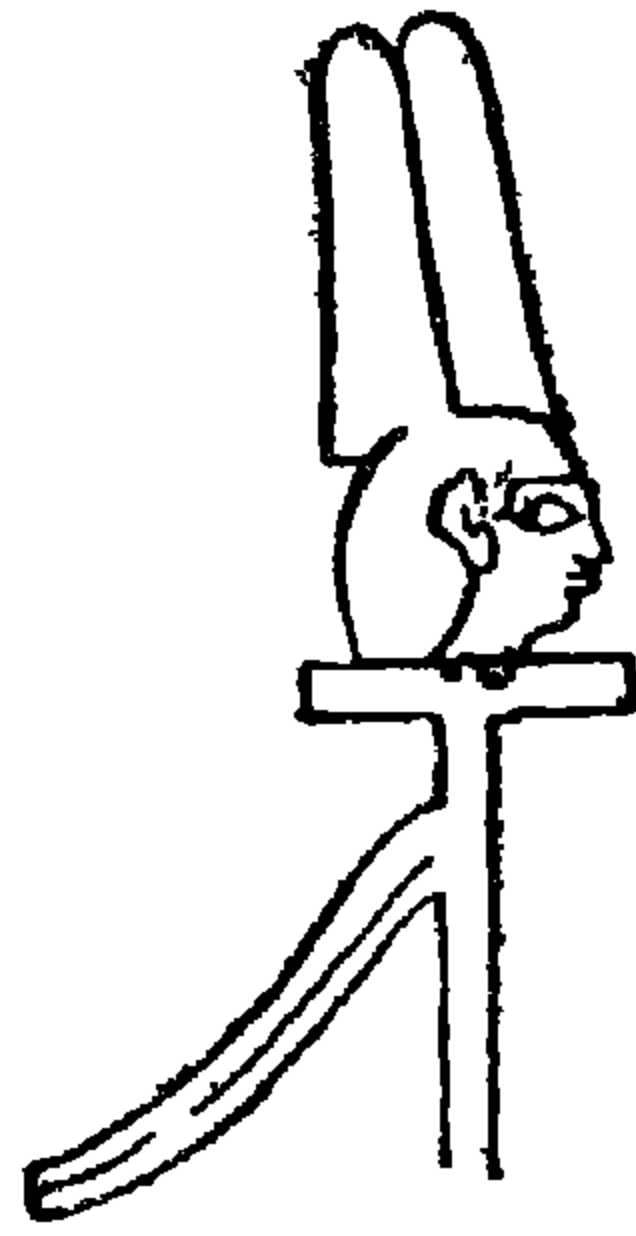
علم سفينة الملك واسمها «محبوبة
آمون» . وكان أمم حامل
العلم يليامون [المقبرة ١٩]



(شكل ٦)

علم كان يرفعه البحارة
(النوتية) النوبيون .

(ش ٢٧ - ٣٢)



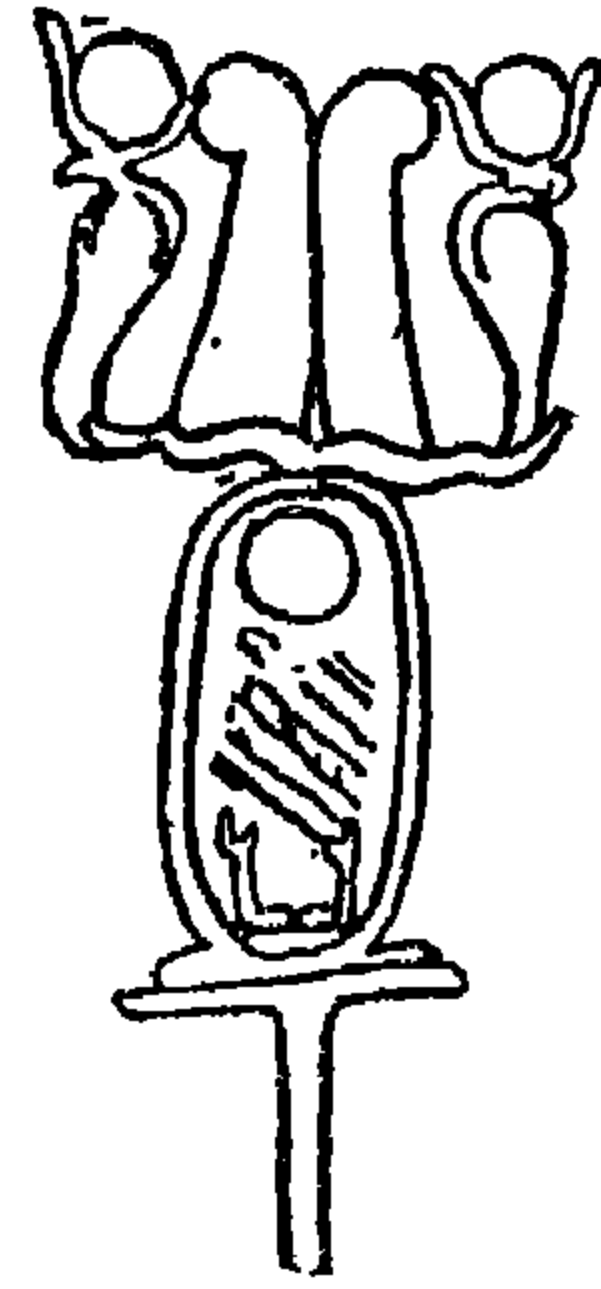
(شكل ١١)

علم يمثل رأس إيسيرة عليه
ريشان



(شكل ١٠)

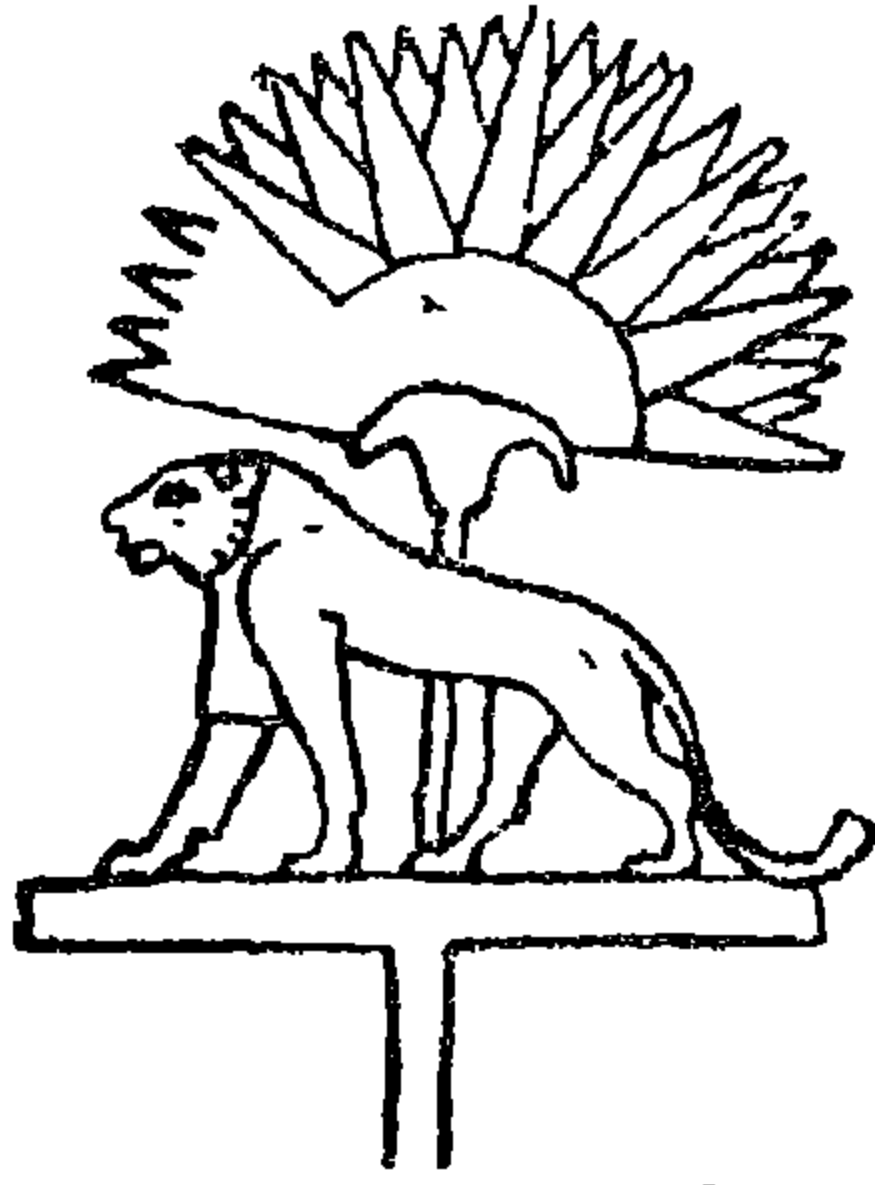
علم يمثل رأس Falcon
وقرص عليه ريشان



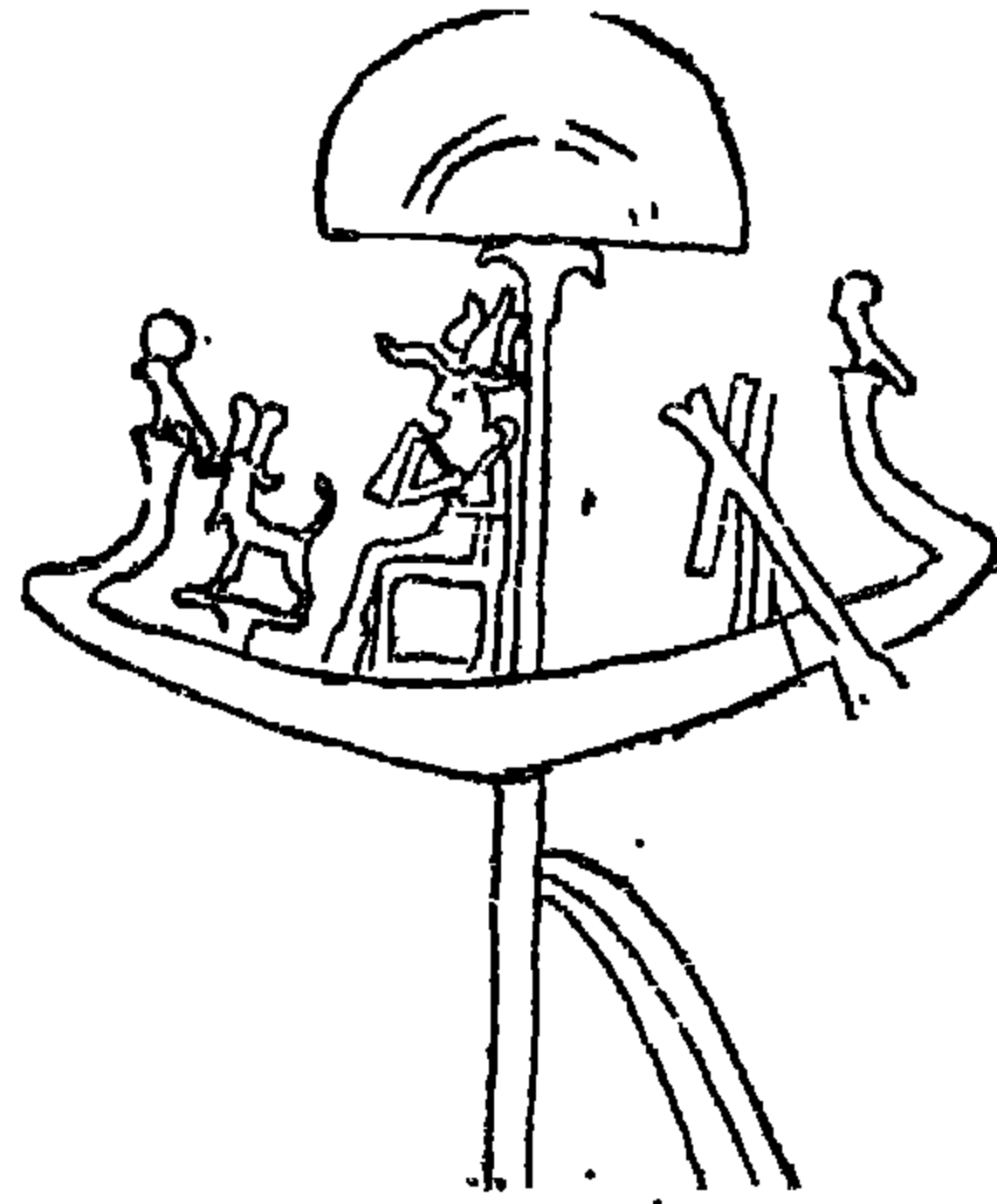
(شكل ٩)

علم وجب منقوشاً على جدران
الدير البحري . يمثل خرطوش
الملسكة حثشبوت . وعليه في
الوسط ريشان ورموز أخرى

(ش ٣٣ - ٣٥)



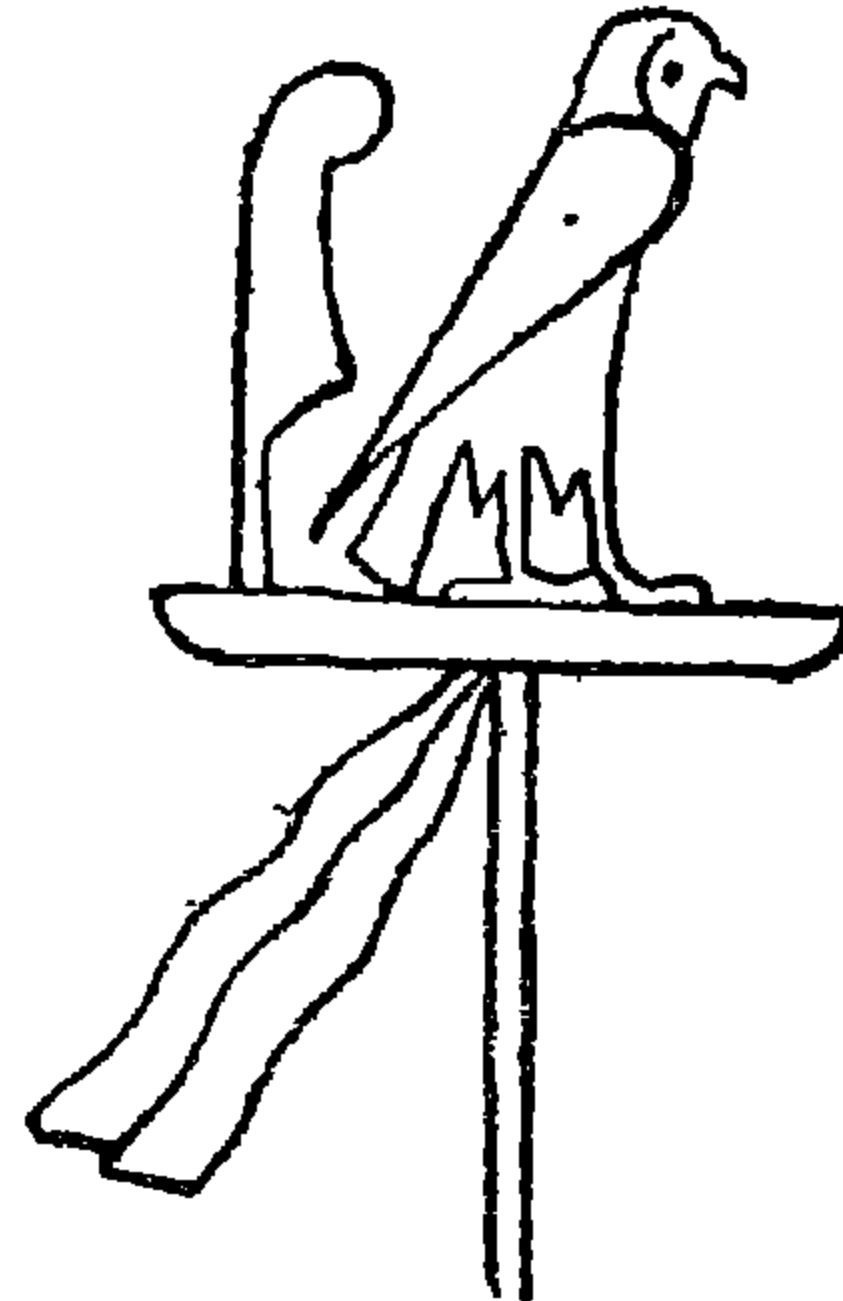
(شكل ١٣)
علم وحدة بحرية عليها أسد ومروحة



(شكل ١٢)
علم التدريب لأحدى الوحدات البحرية
وهذا العلم خاص بسفائن الملك وعليه
صورة ملك جالس على العرش

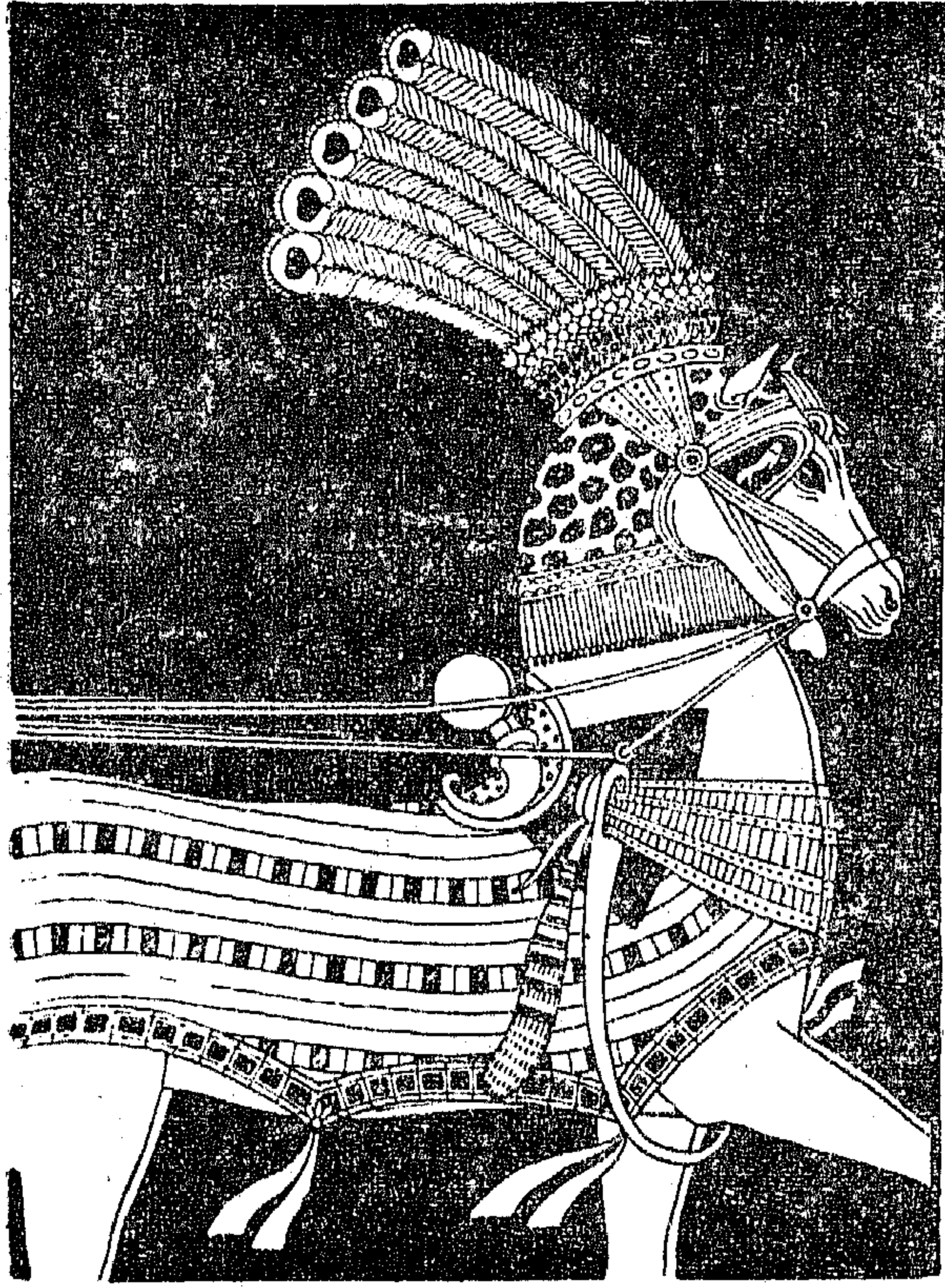


(شكل ١٥)
علم وحدة بوليس العاصمة عليها الغزال
وريشة نعامة



(شكل ١٤)
علم وحدة بحرية عليها صفر وريشة

(ش ٣٦ - ٣٩)



(ش ٤٠) جواد عربية رمسيس الثالث الحربية

بعض الرتب العسكرية المصرية القديمة

مشع جندي
في الدولة القديمة



امير آشعو قائد الجيش
القديمة والحديثة



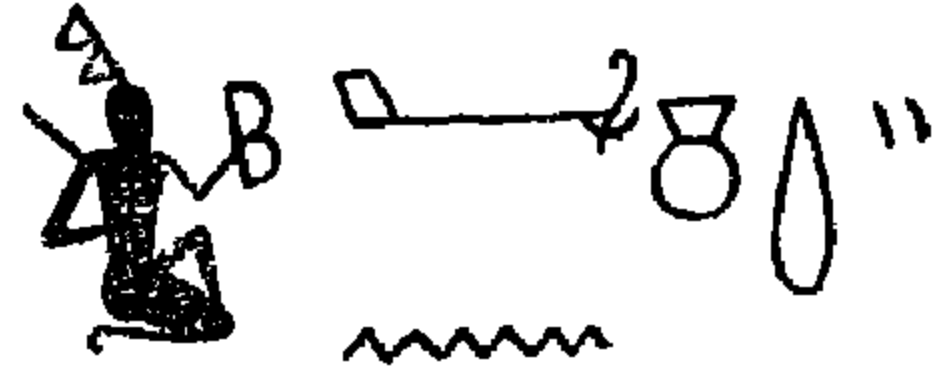
مرمشعو قائد الجيش



مرمشعو اور قائد الاعلى



ادلوان مشعو وكيل الجيش



مرسمون



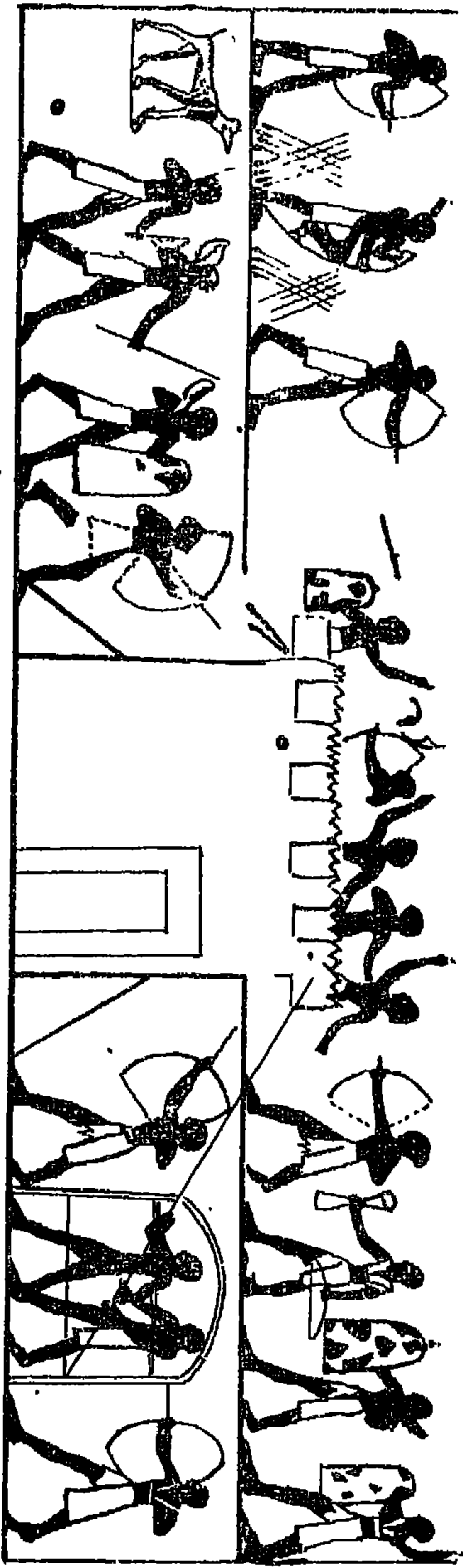
رئيس النوارى

مشعان دبت رئيس الاسطول
من الدولة القديمة



شفاوت بمبا الأستاذ محمد صابر

(ش ٤١) شارات الرتب العسكرية في الجيش المصري
ومدلولها بالهيروغليفية



(ش ٤٢) الجنود المصريون يحاصرون قلعة للأعداء

٢ - حروب مصر القديمة

معارك الأسرات المصرية

مينا وتوحيد مصر :

إذا عدنا إلى عصر ما قبل التاريخ المصري لوجدنا مصر قد غمرتها الحروب الداخلية . فقد نشبت المعارك بين المصريين أنفسهم ، بين سكان الشمال وأهل الجنوب وأستمر الصراع مدة إلى أن وحدث الأرضان في أيام مينا مؤسس الأسرة المصرية الأولى (٣٢٠٠ — ٣٠٠٠ ق . م) .

كان سكان مصر في عصر ما قبل الأسر يعيشون على جنبات وادى النيل ، في جماعات أو قبائل تخضع لكبير فيها . ثم دفعت الطبيعة المصرية تلك القبائل إلى المسير خطوة أخرى نحو المدينة ، فاتحدت وكونت مدنا لكل منها حكومتها ، وأتخذت كل مدينة لنفسها الها يحميها . غير أن وادى النيل وما تتطلبه الحياة فيه من تعاون ووئام ، مازال يلح على سكانه في الاتحاد ، حتى أندمجت المدن بعضها في بعض ، وتكون منها عدد من الأقاليم أو المقاطعات . وكانت هذه المقاطعات مستقلة في بادئ الأمر وإن لم يطلق على حكامها لقب « ملوك » . وبعد فترة من الزمن قامت حركة اتحاد جديدة في البلاد ، انتظمت على أثرها مقاطعات الدلتا في مملكة واحدة أطلق عليها اسم مملكة الوجه البحرى ، وكانت عاصمتها بوتو (دمنهور) ومعبودها الرسمى الإله « حور » .

وفي الوقت نفسه تكونت من مقاطعات الصعيد مملكة واحدة عاصمتها « نخن » ^(١) (السكوم الأحمر بمركز إدفو) واتخذت « ست » الها ربها لها .

(١) هيراكونو بوليس

ولم يكن ذلك التقسيم مما يتفق ومطالب الحياة على ضفاف نيل يربط الدلتا بالصعيد رباطا وثيقا يأبى أن يعوقه أى انضمام ، ففكر ملوك هاتين المملكتين فى الوحدة ، وأخذ التنافس يشتد بين الوجهين ، كل منهما يريد لنفسه السلطة فى المملكة المتحدة الجديدة . وتهيأت الأمور أخيرا للأمير من أمراء الجنوب يدعى « مينا » من أهالى طيبة بالقرب من العراة المدفونة « يدوس » بمركز البلينا .

وأستطاع هذا الأمير أن يضم مملكة الوجه البحرى تحت سلطانه حوالى سنة ٣٠٠٠ م ، وأن يضع على رأسه تاجا مزدوجا يتألف من تاج الوجه القبلى وتاج الوجه البحرى معا ، وشيد لمملكته عاصمة جديدة على مقربة من عين شمس سماها « من نفر » أى المدينة الجميلة ، وهى التى سماها اليونانيون ممفيس ، وأسمها الآن (ميت رهينة) ...

وهكذا بدأ عهد الأسر فى مصر القديمة .

ثم كانت معارك هذه الأسرة الأولى ضد البدو الرحل فى سيناء ، وضد أهالى الواحات فى الصحراء الليبية ، وضد النوبة ، لتأمين البلاد من الغزو .

وقاد ملوك الأسرة الثالثة حملاتهم إلى سيناء ، فغلبوا البدو ، ثم اتجهوا نحو جنوب فلسطين ، كما حاربوا فى إقليم النوبة . وجاء من بعدهم ملوك الأسرة الرابعة (٢٩٠٠ — ٢٧٥٠ ق . م) ، ومن بين ملوكها « سنفرو » الذى أرسل حملة بحرية لموانئ سورية ، فأخرى برية إلى سيناء لجلب المعادن ، وحارب جنوده ضد الساميين الرحل فى الصحراء الشرقية .

وكان الملك « أوسركاف » أول من أوفد حملة إلى بلاد بونت وشواطئ عدن .

ومن ملوك هذه الأسرة المحاربين « سحورع » ، فقد تجاوزت حملاته سيناء بوفينيقيا والنوبة وبلاد بونت . (الصومال) .

وفي أيام الأسرة السادسة (٢٦٢٥ — ٢٤٧٥ ق . م) أرسل الملك « يبي الأول » عدة حملات ضد الآسيويين بقيادة أحد قادة الجيش وأسمه « أونى » .

وقد يكون من أهم مخلفات عصر يبي الأول — تلك النقوش التى تركها لنا قائده « أونى » ، وقص علينا فيها ما كان يقوم به من الأعمال ، وما حظى به لدى الملوك الذين حاصروهم . قال القائد :

« قام الملك بحملة تأديبية ضد الآسيويين رؤساء الرمال ، وقد جهز جلالته جيشا مؤلفا من عشرات الآلاف من الرجال من شتى مناطق الوجه القبلى — من جنوب الفنتين حتى أطفيح فى الشمال . وقد وضع جلالته الجيش تحت امرتى ، على حين أن فيه الأمراء ، وحاملى خاتم الملك فى الوجه البحرى ، وأصحاب القلاع العظيمة ، ومديرى القوافل ، ومدير السكنه ومديرى الجيوش المرتزقة . وكان كل منهم على رأس فيلق من قلاع الوجه القبلى والبحرى والضباع التى يحكمونها . وقد قدت هؤلاء الجنود بطريق جزيرة الشمال وبوابة أمحوتب . واستعرضت أمامى كل فرقة من هؤلاء الجند .

وعاد الجيش بعد أن خرب بلاد العدو ، وبعد أن أزال قلاعهم . لقد عاد هذا الجيش سالما بعد أن جاء معه بأسرى كثيرين .

وتعد حملة القائد (أونى) إلى فلسطين الأولى من نوعها فى تاريخ مصر ، إذ أننا نعتبرها أول حملة اشترك فيها الجيش والاسطول ، فقد استخدم المصريون الاسطول لنقل مؤن الجيش وعدته ، وتجنبوا طرق الصحراء الطويلة .

ولما تولى الملك « مرن رع » الحكم عين (أونى) حاكما على الوجه القبلى بلقب حاكم الجنوب — وكان أهم عمل له هناك حفره خمس قنوات عند الشلال الأول لتسهيل سير السفن التى كانت تعترضها الصخور ، فهدد الاتصال بالسودان .

وفى أثناء حكم يبي الثانى أرسلت حملة بقيادة القائد حرخوف إلى النوبة ، وقد دون هذا للقائد مخاطراته على قبره .

ثم سادت الفوضى في أواخر أيام الأسرة السادسة ، وسقطت الدولة القديمة ، واستمر الحال فوضى حوالى قرنين . في خلال حكم الأسرات السابعة والثامنة ، ومن بعدها الأسرتان التاسعة والعاشرية ومؤسسهما « خيى الأول » ، واتسم ملوكهما بالضعف بينما أخذت سطوة الأمراء ، ولاسيما أمراء أسيوط تنمو . ولما توفى « منتوحتب الخامس » انتهت الأسرة الحادية عشرة .

الأسرة الثانية عشرة

(١٩٩١ — ١٧٧٨ ق . م)

أتيح لهذه الأسرة أن تقيم لها مجدا راسخا ، وتعتبر مؤسسة للحكم الطيبى المهيب ، وكان أول ملوكها أمنمحتت الأول ، الذى صادف حكمه صعوبات كثيرة فى سبيل إعادة أحوال البلاد إلى ما كانت عليه فى أثناء الدولة القديمة ، ثم استطاع بحذقه السياسى ، ودهائه وحزمه أن ييسط نفوذه على مقاطعات الأمراء وأن يوحد السلطة فى البلاد ويستأثر بالحكم .

تمكن فى السنة التاسعة والعشرين من حكمه التوغل بجيشه إلى أرض الواوات حتى بلغ كوروسكو فى نهاية الطريق الصحراوى المحترق لمنحنى النيل . ويحتمل أن أبنه الأمير « سنوسرت » الأول . وكان قد اشركه معه فى الحكم ، هو الذى قاد هذه الحملة . كما أنه أخضع أقوام « الترجلوديت » وهم من البدو الأسيويين ، بشرقى الدلتا وكانوا قد شقوا عصا الطاعة . ثم قوى حصون الحدود الشرقية فى نهايات وادى الطميلات الشرقية ، فاستتب الأمن فى الشمال .

أما فى الجنوب ، فقد انتصر على جيش كوش ، وقد دون منتوحتب قائد الحملة انتصاراته على لوح كبير بالقرب من وادى حلفا ، وقد اشتمل على ثبت بأسماء البلاد التى أخضعها . ثم تولى الملك « أمنمحتت » الثانى ، فسنوسرت الثانى ، ثم سنوسرت الثالث المعروف بـ (سيزوستريس) .

تمت فى أيام هذا الملك الفتوحات المصرية فى النوبة ، وأصبح النفوذ المصرى فيها قويا ، فشيّد حصنى « عمنة » و « قنة » المتقابلين على النيل فى آخر حدود



(منظر بحلي)

(ش ٤٢) شيد سنوسرت الأول قرب السلال الثاني قلعة صمنة لحماية النوبة .

مملكته الجنوبية ، ثم أقام نصبين حجريين على شاطئ النيل ، وقد عثر على أحدهما
وعليه النقوش الآتية : —

هذا هو الحد الجنوبي « للمملكة المصرية » في السنة الثامنة من حكم ملك
الوجه القبلى والوجه البحرى « سنوسرت الثالث » معطى الحياة الأزلية إلى الأزل .
يمنوع مرور زنجى كل بطريق الماء والأرض سواء كان فى سفينة أم فى قافلة .
ويستثنى من ذلك الزنجى الذى يعبر الحدود من أجل التجارة ... أو توصيل رسالة .
فهؤلاء يعاملون بكل إكرام . ولا يسمح بأى حال لسفينة من سفن الزنوج
أن تمر ببلدة « حح » (أى سمنة) متجهة شمالا على مدى الأيام .

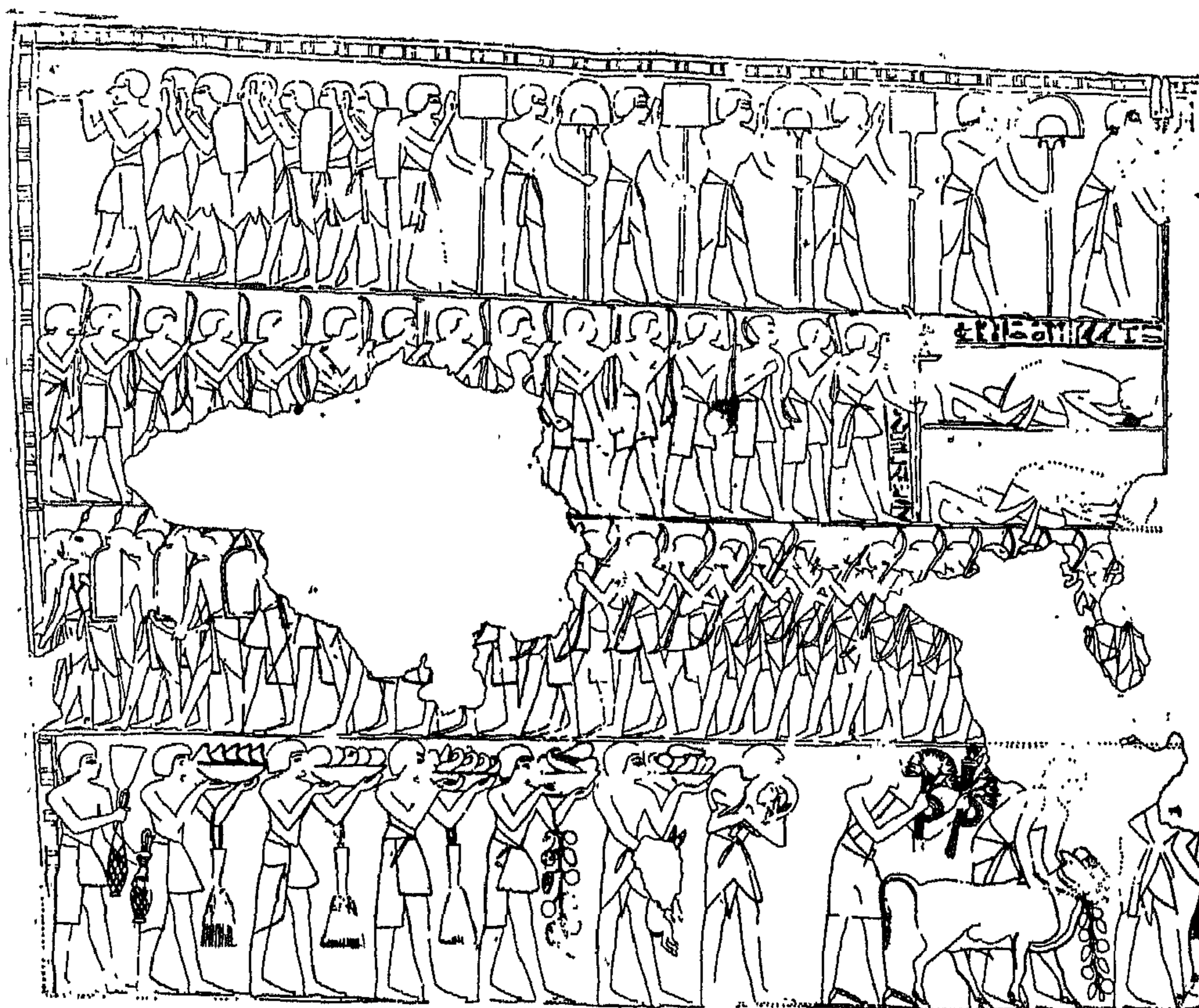
ولا تزال آثار هذين الحصنين باقية تشهد لمصري تلك الأزمان بالبراعة الحربية
والكفاءة فى اختيار مواقع الدفاع الحصينة والمقدرة على تشييد الحصون المنيعة (١) .

بعد ذلك بأربع سنوات حصلت بالنوبة اضطرابات فذهب الملك بذاته ليخضع
القبائل الثائرة . ومع أن مصر لم تدع ملكية أرض كوش الواقعة عند الشلال
الثانى ، فقد غزا سنوسرت الثالث تلك البلاد ليلسط سلطانه على مملكته الجنوبية .

وفى السنة السادسة عشرة من حكم الملك « سنوسرت الثالث » أغارت قبائل
كوش وزنوج شرقى النيل على الحدود المصرية فزحف عليهم الملك بجيش جرار
وفتك بهم فتكا ذريعا ، وعاقبهم عقابا شديدا ، واستولى على أغنامهم ، وأقام فى
محراب حصن سمنة تذكارا حجرييا كالسابق بين فيه حدود مملكته وحض كل من
يخلفه على أن يحافظ عليها . وضاعف فى الوقت نفسه دفاعه فشيد حصنا ثالثا
فى جزيرة « أورو نارتى » جنوبى سمنة . وأطلق عليه « صد الأعداء » وقرر
الاحتفال بعيد سنوى فى حصن سمنة تقدم فيه القرابين والهدايا .

ودلتنا الآثار على أن هذا الملك قاد شخصيا جميع حملات الجيش المصرى فى
السودان ووطدت نفوذه هناك .

١ — غمرتها مياه السد العالى .



(ش ٤٤) منظر من قبر «نب أمون» في طيبة ، وكان صاحبه ضابطا في عهد تحوتمس ٤
(الأسرة ١٨) وفيه يرى نافع النفير ورماحته بدروعهم وحملة الأعلام .



(ش ٤٥) خمسة من جنود « أمنحتب الرابع » (اخناتون) أولهم يرتدى النقبة ذات الثنيات
ويحمل الدرع والرمح والبلطة ، ومن خلفه ثلاثة من الجنود المساعدين الأجانب ومن
وراءهم ضابط مصري في يده عصا القيادة وسيف معقوف . (تل المارئة)

وأقدم رواية وصلت إلينا عن غزو المصريين لسورية إلى عهد الملك « سنوسرت الثالث » وجدت على نقوش حجرية في جهة العراة ، أقامها أحد القواد المصريين المدعو « سبك خو » (Sebek khu) المحافظ الحربى لعاصمة الملك . ودلتنا هذه النقوش أن « سنوسرت الثالث » أصطحب معه هذا القائد فى غزوة قام بها فى جهة سكم (Sekmem) حيث هزم السوريون وأستولى « سبك » على أسرى كثيرين وقد افتخر هذا القائد بذلك قائلا :

« لقد أهدى إلى جلالة الملك عصا ذهبية وفضية وقوسا ومديّة من مخلوط الذهب والفضة وكذا أسلحة الأسير الذى استوليت عليه . كل هذه الهدايا قدمها لى ملىكى يده » .

وبالرغم من ازدهار البلاد فى أيام حكم « أمنمحت الثالث » فقد بدأت تعاني مصر الضعف على أيام أمنمحت الرابع حتى سقطت الأسرة الثانية عشرة . وقامت على أنقاضها الأسرة الثالثة عشرة ، ولضعفها انفصل الجزء الشمالى من مصر عن الجزء الجنوبى ، ثم قامت الأسرات الرابعة عشرة ، والخامسة عشرة ، والسادسة عشرة .

وعلى أيام تلك الأسرة الرابعة عشرة تغلب الهكسوس (ملوك الرعاة) ، وملكوا البلاد حوالى مائة وخمسين سنة ، وأسسوا الأسرة الخامسة عشرة . وفى خلال ذلك العهد المظلم تعلم الشعب المصرى دروسا كثيرة فى مقاومة المحتلين لبلادهم ، ولا سيما فى الصعيد . وكان يعود نجاح الهكسوس إلى مباغتتها البلاد وهى فى أحوال سيئة من الفوضى والكوارث ، وإلى استخدامهم الحيل والعجلات الحربية فى القتال ، الشيء الذى كان يجهله المصريون .

معركة التحرير وطرد الهكسوس

جاء في أخبار التورخ الوطنى « مانيتون » أن الهكسوس قد استولوا على مصر فى سهولة ، وملكوها دون أن يشعلوا نار الحرب ، لأن أمور المصريين يومئذ كانت مضطربة ، ولأن البلاد كانت مقبلة على السقوط ، فالفوضى قد عمت أمور المصريين جميعا منذ عام ١٧٥٧ ق . م وملكى عوامل الضعف كيان دولتهم . (١) وتحدثنا بردية ساليه (Sallier) (٢) عما كان فى مصر يومئذ من خطر ، وعما أصابها من فقر ، إلى رجال الحكم والنظام من أبناءها . وفيما جاء فى هذه البردية ما يشير إلى أن أحوال مصر السيئة قد كانت كلها متفقة على الشر ، كأنما كانت وإرادة الغزاة على موعد . فبلغ الهكسوس دلتا الوادى وسيطروا على شمالها ، جاؤوها بنحيلهم وعجلاتهم الحربية ، وتطلع المصريون إلى ذلك الغزو ، فلأهم الخوف والرعب من سلاح العدو الذى لم يكن لهم به عهد من قبل .

فمن هم هؤلاء الغزاة الهكسوس ؟

من قائل إنهم من بطون القبائل السامية المنتشرة فى فلسطين وفى ربوع سورية وبلاد الجزيرة العربية ، نزحوا إلى مصر بسبب ما أصاب أوديتهم من قحط

(١) الأستاذ الدكتور أحمد بدوى : أيام الهكسوس . المجلة التاريخية المصرية ، المجلد ١ ، عام ١٩٤٨ .

(٢) وجدت هذه الأخبار مدونة على جدران غار ، يقال له غار أرتيميس ، على مقبرة من جبانة بنى حسن . وقد ترجم هذه البردية العالم الألمانى إرمان فى كتابه عن الأدب المصرى .

Literatur der Aegypter, Leipzig 1923

وجفاف ، ومن قائل إنهم هاجروا من الأقطار السورية حينما ضاقت عليهم أرضها بسبب ما حل بهم من ظلم حكام « ميتاني » من جهة ، وبسبب ضغط المهاجرين الآريين من جهة أخرى . ويرجح العالم إدوارد ماير أن غارة الهكسوس على مصر وقعت في الثلث الأول من القرن السادس عشر ق . م

جعل الهكسوس حاضرة ملكهم بعد ما تملكوا مصر (أو اريس — صان الحجر) من شرقي الدلتا ، ثم أخذوا يمدون سلطانهم على أقاليم مصر . فتركوا غربي الدلتا تحت إمرة حكام من الوطنيين يسميهم « مانيتون » حكام الأسرة الرابعة عشرة ، ثم واصلوا زحفهم نحو الجنوب ، فوصلوا منف ، واتخذوا منها قاعدة الإدارة وشؤون البلاد الاقتصادية . وبين أخبار مانيتون ، ما يشير إلى الفظائع المروعة التي ارتكبها هؤلاء الغزاة ، فقد حرقوا القرى والمدائن وخربوا المعابد والمعابد ، وذبحوا الرجال وسبوا النساء وساقوا الأطفال ، ثم وصل ملكهم سلاطيس إلى منف ، وكان يختلف إليها بين الحين والحين ، ثم ظلوا يواصلون زحفهم ويمدون سلطانهم حتى بلغوا حدود الأقاليم الوسطى من ناحية الجنوب ، ومن الجائز أن يكون الهكسوس قد بلغوا طيبة في بعض أيامهم ، ولا سيما في أثناء حكم مليكهم « خيان » الذي كان من أقوى ملوك الهكسوس وأشدهم بأسا . وليس أدل على ذلك من كثرة ما خلف من آثار ، وهي لم تقتصر على مصر فحسب ، وإنما عدتها إلى سورية وفلسطين وبلاد النهرين وجزيرة كريت .

أعتدى الهكسوس منذ بداية حكمهم على المصريين وعلى عباداتهم وتقاليدهم ، وأتبعوا أشنع الأساليب في القضاء على كل عزيز عندهم . ولذلك لاغروا ان تقوم بواكير ثورة الحرية في أيام أحد ملوك الهكسوس ، يسمى أبو فيس ، وقد كان ثالث ثلاثة يدعون بهذا الاسم . أخذ يتحدى الملك المصري الحاكم يومئذ في طيبة ويتحرش به . ولقد كان حاكما للمصري يدعى « سقن رع » ، وكان هو الآخر ثالث ثلاثة من أهل بيته يدعون بهذا الاسم . وأخبار الثورة من أيام ذلك البطل معروفة في الآداب المصرية من عهد الأسرة التاسعة عشرة ، كما زودتنا بها بزدية ساليه ، وجاء فيها كيف أن ملك الهكسوس أرقق الملك المصري الحاكم في طيبة بمطالب

لا يحتملها، وكيف أنه ظل يتحداه ويخرج كرامته حتى أثاره . وتشير أخبار الثورة في البردية المذكورة إلى قوة الحكومة الوطنية ، واتساع نفوذها ، وانتشار سلطانها بين أقاليم مصر ، حين تزعم أن مصر كلها كانت تؤدي خراجها إلى بيت طيبة ، ولذلك لاغزو أن يشور بيت طيبة ويشور معه أعوانه من بيوت الصعيد للعزة الوطنية والكرامة القومية ، ومن أجل العيش وتنازع البقاء وفضلا عن ذلك ، من أجل الدين . فإن « أبوفيس » ملك الهكسوس جعل من معبوده « ست بعل » إله الآلهة يحلف على عبادته ويحرم على الناس عبادة ماعده ، ثم يدعو الملك المصري إلى عبادته والإصراف عن آمون ، بينما يحرص ذلك الأخير على أن يكون آمون رب الأرباب ، وهكذا يتنافس الاثنان تنافسا دينيا خالصا ، ثم ينتهي الأمر إلى تلك الثورة ، ثم الحرب التي أدت إلى مصرع ملك طيبة .

قام المصريون حينها وجدوا الزعيم الثائر ، يدفعون الأذى عن نفوسهم ، ويطلبون الحرية لحياتهم ، ويسعون لتخليص وطنهم من الذل ، واستعان البطل « سقن رع » بأولياءه من بيوت الصعيد ، ومن ناحية إدفو بنوع خاص . وكانت له في جهاده شريكة وسند قوى : هي زوجته الملكة « إياح حتب » وهي أم خليفته وبطل الجهاد من بعده « كاموسى » و « أحوسى » !

ثار « سقن رع » ومواطنوه ، وصرع في ميدان القتال ، وربما كان موته نتيجة لمؤامرة سياسية دبرها العدو ومن والاه من الخونة . ومن آثار مقتله طعنات ثلاث في فكه الأيسر ، سقط بعدها فاقد الوعي ، حيث أهوى عليه القاتل بطعنتين أخريين ، أصابت إحداها مافوق الحاجب الأيسر ، بينما شقت الأخرى عظام رأسه ، ولما أستيقن أعوانه من موته ، أسرعوا إليه ولفوه بلفائف من الكتان ، ثم وضعوه في صندوق من الخشب مموه بالذهب ، وأودعوه قبره في طيبة .

حمل « كاموسى » لواء الثورة بعد سلفه ، وقصة ذلك معروفة على أثر من آثار المصريين ، يتمثل في لوح من ألواح أبناء المدارس ، يعرف في كتب التاريخ

« بلوح كارنارفون »^(١) وتشير الأخبار المنقوشة عليه إلى أن الملك كاموسى قد ضاق بنفوذ الهكسوس فى مصر ، وكان خطرهم يهدد ملكه من ناحية الشمال ، وضاق أيضا بتقدم النوبيين ، وكان خطرهم يهدد ملكه من ناحية الجنوب . فدعى ذلك إلى نداء رجال بلاطه وأمراء جنده ليشاورهم فى الموقف ، فلما حضروا قال لهم : « وددت لو أعرف ماذا تجدى على شجاعى ، فهذا أمير يجلس فى أواريى ، وهذا آخر يجلس فى النوبة ، وها أنا قد أحصرت بين آسيوى ونوبى ، وقد أخذ كلاهما يقاسمنى أرض مصر ، وهؤلاء البدو (الهكسوس) قد توغلوا فى البلاد وما كنت أدر أن يصلوا إلى منف ولكنهم أدركوا » الأشمونيين .

ولما جاء دور كلامهم أبانوا للملك أن نفوذ الهكسوس لا يعتمد إليه ولا يؤذى سلطانه ، فضايق « كاموسى » بأرائهم وكره منهم ضعفهم ، وأقسم ليخرجن إلى العدو فيقرن بطنه ، لأنه يريد أن يحرر مصر ويضرب الهكسوس . وختم كلامه قائلا : —

« ألا فليعلم أهل طيبة أن كاموسى سوف ينقذ مصر ، ويحفظها من مهاوى الهلاك ، لسوف أخرج إلى العدو بأمر آمون ، فهو وحده الهادى سبيل الرشاد » .

وخرج كاموسى يحمل لواء الجهاد بعد أن جمع جيشه من خيرة أبناء الصعيد ، وضم إليهم بعض جنود الحدود من رجال النوبة ، وأخذ يمون جيشه على الطريق من البلاد الواقعة على شواطئ النيل ، ثم أخذ طريقه نحو الشمال ، حتى إذا بلغ نفروسي^(٢) حاصر أميرها المدعو « تقي بن بى » ، وكان من أولياء الهكسوس ، فزال به حتى غلبه على أمره ، ثم خرب مدينته ونهب أرزاقها ... ثم غادرها نحو

(١) يرجع هذا الأثر إلى ما بعد أيام الهكسوس وقد سمي اللوح بلوح كارنارفون لأنه آل إلى مجموعة عمال كهنا اللورد كارنارفون من هواة الآثار المصرية وهو الذى تولى الانفاق على بعثة للبحث عن الآثار ، نقتب أعواما طويلة فى مقبرة طيبة وأهتدى إلى الكشف عن مقبرة الملك توت عنخ آمون عام ١٩٢٢ .

(٢) نفروسي بلدة كانت تقع شمالى أسبوط ولا يمكن تحديد مكانها تماما .

الشمال . (ولا يعلم بالدقة أين بلغ) وحرر المدن التي مزنها من حكم الهكسوس .
ومن المحتمل أن يكون قد أستمروا في زحفه حتى طهر الأقاليم الوسطى من شمال
أسيوط حتى منف ، ثم فكر كاموسى فى أقاليم الجنوب ورأى خطر النوبيين يهددها ،
فسار إلى أقاليم النوبة ، وأخضع الثائرين من أهلها ، وسجل انتصاره على صخور
تشقا ما بين الدر وأبو سنبل .

ونستطيع بعد ذلك أن نقول : إن الهكسوس قد ارتدوا إلى الشمال واعتصموا
بمحاضرة ملكهم « اواريس » . ولم يعيش كاموسى بعد ذلك ، فقد عاجلته المنية ولما
يبلغ من تحقيق آماله ما أراد من تطهير الوطن من العدو . ولكن كتب الله لأخيه
الأصغر أن يحقق أمنية الشقيق .

الملك أحس الأول

خلف كاموسى — أحس شقيقه الذى سطر فى الجهاد أروع صورة للشجاعة
والوطنية . وقد أسهمت معه الأميرة « أياح حتب » التى كانت قد جاهدت مع زوجها ،
وجاهدت مع خليفته من بعده كاموسى وأحموسى .

تسلم أحموسى زمام الحرب بعد وفاة سلفه ، وحمل لواءها مندفعاً نحو الشمال ،
وأثناء القتال فى حملته الظافرة معروفة ، دونها أحد رجاله ويدعى « أحموسى »
أيضاً فى قبر له بجبانة الكاب . وكان أحموسى هذا أميراً لإحدى سفائن أسطول
النقل الحربى فى ذلك العهد ، ورث ميله إلى أعمال القتال عن أبيه الذى كان جندياً
أيام الملك « سقن رع » ، وورث منصب أبيه فى إمارة سفينة يقال لها « الفحل البرى »
حدثنا ذلك القائد أنه اشترك فى حروب المصريين ضد الهكسوس ، وأن الملك قد
أعجب به وأظهر من شجاعته وحسن إصابته الهدف ، فزقاه إلى إمارة سفينة تدعى
« الشرق فى منف » ، وحارب فيها على المياه المحيطة بأواريس والقريبة منها .
فقتل وغنم ، مما حمل الملك على مكافأته بالذهب أكثر من مرة . ثم يحدثنا عن سقوط
أواريس ، وهى أخسر معاقل الهكسوس فى مصر . ولما دخل الجنود المصريون

أواريس وأزدهمت بهم المدينة أوغلوأ في الغنيمة ، وكان من نصيب أحوسى البحرى أربعة أسرى ... ثلاث نسوة ورجل . وقد وافق الملك على أن يملكهم جميعا .

وبعد سقوط أواريس ، نتيجة الحصار ، اتخذ المكسوس طريقهم فى الصحراء الشرقية ، حتى اذا وصلوا الى جنوبى فلسطين ، استقبلهم أمراء أسيا المتحالفون ، وتبعهم الملك أحوسى بجيشه ، حتى لحق بهم عند حصن فى جنوب فلسطين اسمه شاروهين ، كانوا قد لجأوا اليه وتمحصنوا به . فضيق عليهم الحصار ثلاثة أعوام كاملة حتى اضطروا الى الجلاء عن الحصن . وكان أحوسى البحرى حاضرا فى أثناء هذا الحصار ، وكافأه الملك لشجاعته .

وهكذا أتم أحوسى مالم يتمه شقيقه ، وطرد المكسوس من الوادى وتخلصت البلاد من عبثهم وظلمهم . وهذا البطل أحوسى ، هو الذى يعده التاريخ رأس الأسرة الثامنة عشرة وواضع حجر الأساس فى بناء الامبراطورية المصرية . ولم يكد أحوسى ينتهى من طرد المكسوس ، حتى وجه قواته الى جنوبى الوادى ، فمكر راجعا الى أقاليم النوبة وكان أهلها قد استغلوا محنة المصريين أيام المكسوس فخرجوا عن طاعة الدولة المصرية وانشقوا عنها .

وقد حدثنا أحوسى أمير البحر ، انه رافق الملك فى حملته على بلاد النوبة وعن اشتراكه فى القتال وحسن بلائه فيه ، مما جعل الملك يكافئه . ولما عاد الملك من حملة النوبة ، شبت ضده ثورتان فأخدهما وانتصر على الثوار ، وكان اسم زعيم احداها « تيتيان » الذى قتل فى أثناء المعركة وقضى على أعوانه .

عاد أحوسى الى مصر رافعا لواء الحرية وترجع على عرشه فى طيبة وجعل منها عاصمة للدولة المصرية ، وقد حكم البلاد حوالى خمسة وعشرين عاما ، ولما مات دفن بجانب أسلافه غربى طيبة . وكانت وفاته عام ١٥٤٦ ق . م ، وخلفه ابنه أمنمحتوب الأول .

أثر الهكسوس في مصر

ظلت شعوب الشرق قرونا طويلة لاتعرف امتطاء الخيل على نحو ما نركبها اليوم الا في حالات نادرة جدا . وانما كانت تستخدم في جر عجلات الحرب . وغالب الظن أن يكون الآريون هم أول من استخدم تلك العجلات ، وأخذ الآسيويون عنهم ذلك الاسلوب وانتقل منهم الى شعوب الشرق القريب . ومن تلك الأقاليم دخل بها الهكسوس الى مصر عندما أثاروا عليها حوالى عام ١٧٣٠ ق.م ، وعندهم اقتبس المصريون استخدام العجلات في القتال . وكانت أقوى معين لهم في طرد الهكسوس أنفسهم من البلاد . وكان هذا السلاح فيما بعد أقوى عامل في بناء الامبراطورية المصرية التى امتدت سعتها الى الفرات فى الشرق وآسيا الصغرى فى الشمال وقلب بلاد النوبة فى الجنوب ... أثر ذلك السلاح الجديد فى تقدم الحرب وسرعة حركتها . ومنذ ذلك الحين أصبح للخيلة المقام الأول فى عالم الحرب بعد أن احتكره المشاه قرونا عديدة ...

وكان من نتائج طرد الهكسوس أن انتعشت الروح العسكرية فى مصر ، انتعاشا لم تعرفه الدنيا من قبل ، ونهضت البلاد نهضتها السياسية والحربية فى آن واحد . وأصابها التوفيق فى بناء الامبراطورية المصرية ، على أساس التوسع وتأمين الحدود المصرية وضمها (١) .

(١) د . أحمد بدوى : أيام الهكسوس . ص ٨٥ — ٨٦ مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، مجلد ١ ، عام ١٩٤٨ .

الامبراطورية المصرية الأولى

الأسرة الثانية عشرة (١٥٧٠ — ١٣٠٥ ق . م)

كان أول ملوك هذه الأسرة العظيمة أحس طارد الهكسوس من وادى النيل ، وجاء من بعده أمنمحتب (أمينوفيس الأول) ، ثم تحوتمس الأول الذى وصل بفتوحه إلى جنوب الجنادل الثالثة ، وغزا سورية ووصل بجيوشه إلى نهر الفرات حيث أقام نصبا تذكاريا ، ثم خلفه تحوتمس الثانى — فالملكة حتشبسوت .

وفى هذه المرة قويت الروح العسكرية فى صدور أبناء الشعب ، وبهذه الروح الوثابة سار الملك تحوتمس الثالث على رأس جيشه ليحقق الأجداد الكبرى التى دونها التاريخ . فقد سبغ عشرة حملة عسكرية كبرى إلى مختلف الليادين ، ولا شك أن أهمها كانت الحملة الأولى ، وأنتصاره المجيد فى معركة مجدو .

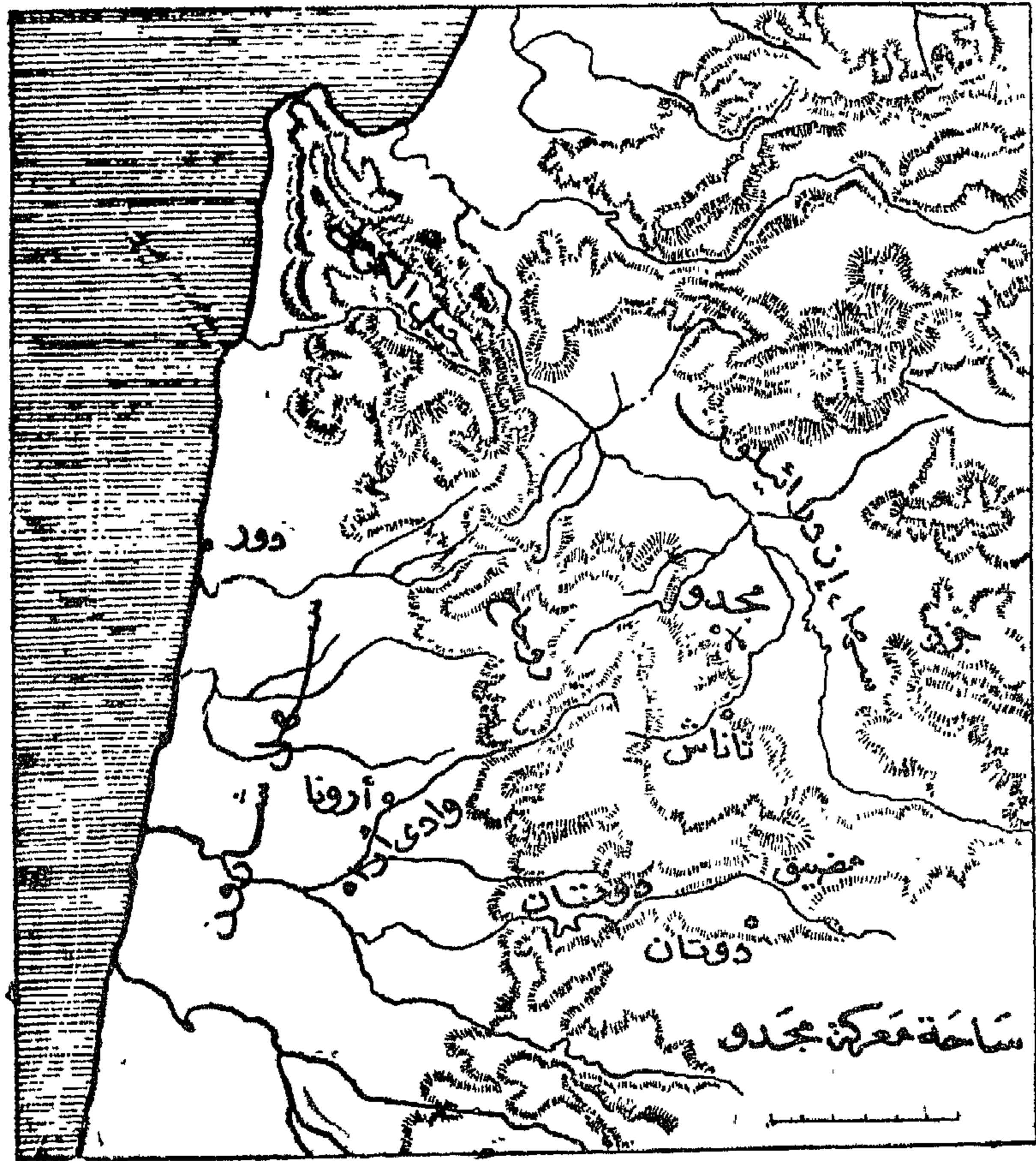
يعتبر حكم تحوتمس الثالث من أجد العصور القديمة فى تاريخ مصر ... فى أيام أبيه شقت بعض الإمارات السورية عصا الطاعة ، فخار بهم تحوتمس الثالث سنوات متتالية إلى أن ثبت سلطان مصر فى تلك الاصقاع — بعد معركة مجدو — وكان أنتصاره فى تلك المعركة هو حجر الأساس الذى شيد عليه تحوتمس الثالث سلسلة أنتصاراته المتعاقبة فى حملاته السبع عشرة التى خاض غمارها .

تقدم هذا الملك على رأس ثلاثين ألف مقاتل ، وزحف بهم من مدينة ثارو^(١) لإخضاع أهل آسيا الذين تزعمهم ملك كادش ، وانضم إليهم بعض أهالى جنوب فلسطين وأمة الحيتانى الواقعة شرقى الفرات .

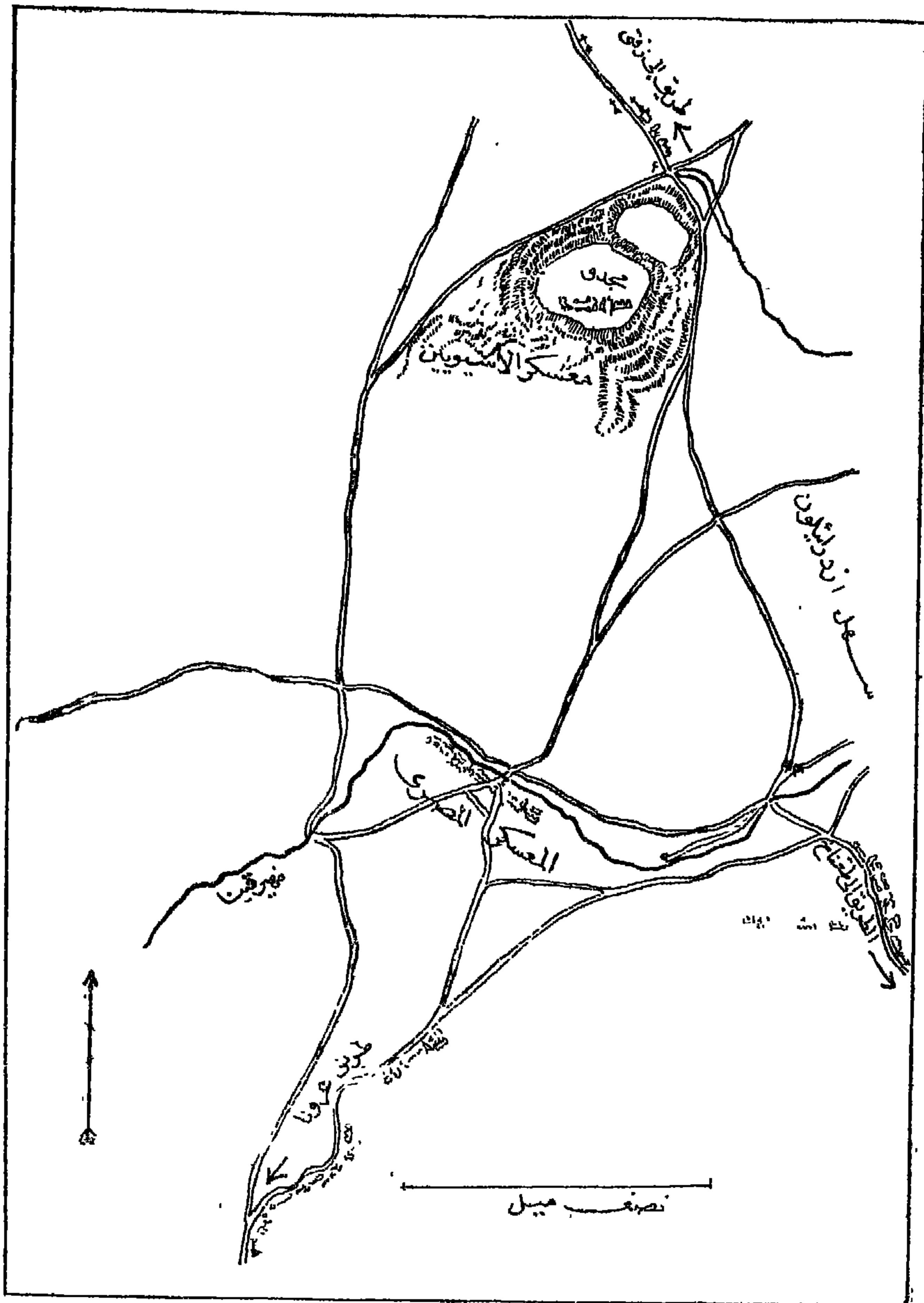
(١) كانت ثارو مدينة من مدن الحدود المصرية الشرقية الهامة ، وموقعها الحالى عند تل أبى سيفا التى تبعد نحو ميلين شرقى مدينة القنطرة .

وكان الآسيويون بقيادة ملك كادش ، قد أحتلوا مجدو ^(١) على المنحدر الشمالى لجبل كرميل ، وأتخذوها قاعدة حربية . لو كانت مجدو تقع فى المكان الذى يشغله الآن تل المتسلم وهى تبعد قرابة عشرين ميلا جنوب شرقى حيفا .

وعلى ذلك كانت مهمة الجيش المصرى واضحة ، وهى أن يعبر الجبال الفاصلة بينه وبين قوات الأعداء ليلاقيهم فى الميدان الذى أختاروه لقهروا القوات المصرية .



(ش ٤٦) موقع مجدو



(ش ٤٧) خريطة توضح مواقع المعسكرات المصرية والآسيوية أمام مجدو

موقعة مجدو

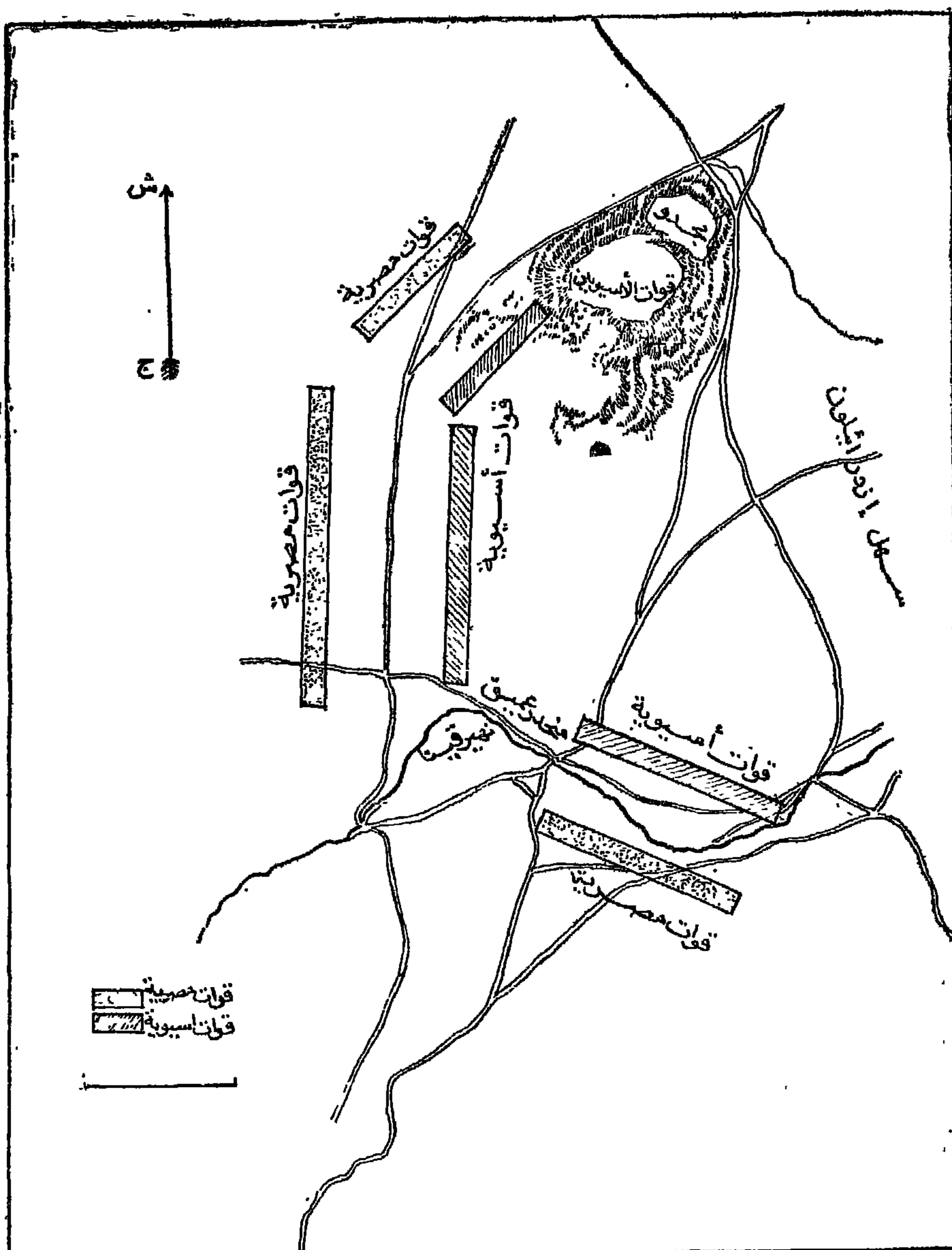
لمعركة مجدو في تاريخ مصر خاصة والشرق عامة مكانة كبرى ، فهي من أشهر أحداث العالم القديم . فإذا تناولناها بالحديث فينبغي أن نخوض في غمارها وأن نجول بموقعها أولا .

مرج بن عامر :

سهل فسيح الأرجاء منبسط بين جبال الجليل في الشمال والسامرة في الجنوب والكرمل في الغرب ، يضيق قرب حيفا لينفذ إلى سهل عكا الساحلي . ثم يتصاغر عند جنين في الجنوب وينحدر في تودة شرقا إلى ييسان (غور الأردن) ويخف به جبل طابور الجاثم في شماله الشرقي . قلما تقع العين على أزهى من حلتها القشبية التي يكسوه إياها الربيع حتى إذا جاء الصيف جرده منها ، فإذا جاء الشتاء هطلت الأمطار بقوة فارتعت نهيره « المقطع » فتدفق « نهر الوقائع » إلى البحر وإذا بالمياه تفيض على جانبيه وإذا بالمستنقعات منتشرة (١) .

وليس مرج ابن عامر هذا بمنقطع عن الدنيا رغم انحصاره ، فإن الجبال أبت ألا أن تنحسر عنه قليلا في أطرافه فكونت له أودية يتصل بها سهل عكا ومكنته من الاتصال بمنطقة بحيرة طبرية والحولة من الشمال قرب جبل طابور ومن ثم إلى دمشق وما إليها ، كما إنه يتصل بمجلون وحوران بطريق ييسان . هذا في الشمال أما في الجنوب فيتصل بالسهل الساحلي الجنوبي — سهل شارون — بطريق جنين — نابلس — طولكرم ، وبطريق وادي عارة الجبلي الضيق الوعر . وبطريق وادي الروحة الغربي عند ملتقى هذه الطرق وتقاطعها وفي نهاية وادي

(١) Sir George Adam Smith : Historical Geography of the Holyland .



(ش ٤٨) خريطة توضح حركة التفاف القوات المصرية بالقوات الأسبوية أمام مجدو

طارة وعلى الحد الفاصل بين السكرمل والسامرة وبين السهل والجبل ، وفي مكان يشرف على كل أجزاء المرج من أدناه إلى أقصاه وعلى مبعده نحو ثلاثين كيلو مترا إلى الجنوب الشرقي من حيفا يقع تل « مجدو » .

ولا شك في أن مرج ابن عامر هو طريق الاتصال الطبيعي بين شمال سورية وجنوبها ومن ثم بين العراق وآسيا الصغرى من جهة ، وبين وادى النيل من جهة أخرى ، وقد كانت القوافل التي تدخل مرج ابن عامر من سهل عكا إنما تفعل ذلك لتعبره إلى السامرة بطريق جنين أو إلى شارون بطريق مجدو .

وهذا الموقع المهم حريا وتجاريا إستوعى نظر الفاتحين ورجال الحكم من أقدم الأزمنة إلى وجوب العناية بهذه المسالك ، والاحتفاظ بهذا السهل وجعله في قبضتهم فيسعى كل زعيم إلى الاستحواذ عليه . وقد أقيمت سلسلة من الحصون والقلاع قرب منافذ المسالك التي ذكرت وأهمها بيت شان (بيسان) وتعنك ومجدو (تل المتسلم) ودور (الطنطورة) على الساحل ، وتكاد مجدو تكون أكبرها قيمة لتوسطها القلاع والطرق ، وبلى هذه الأربع في الأهمية قلعة طابور التي حصنت مرات عدة وبقنعام أو يقمعان (القيمون أو السكيمنون الآن) .

وتل مجدو هذا تبلغ مساحة قته نحو ٥٣,٠٠٠ متر مربع ، ينحدر نحو الغرب والجنوب الغربي انحدارا فجائيا، أما الجهات الأخرى، وهى المواجهة للسهل فانحدارها تدريجى، إلى شماله عين ماء تسمى « عين القبة » ويعرف التل اليوم باسم « تل المتسلم » . ذلك لأن أحد متسلمى عهد الدولة العثمانية أقام فى ذلك المكان، ولعل إقامته كانت قصيرة. إذ لم يكن هناك آثار أبنية متسعة ولا غيرها ، والمتسلم موظف عثمانى إدارى كان يلتزم بلادا بكاملها فيديرها ويدفع ماعليه من المال اللازم ويلاحظ أن هذا نظام إقطاعى إلى حد بعيد .

وقد عرفت مجدو قديما بأسماء كثيرة منها مجدو كما فى يشوع والقضاء ومجدون كما فى زكريا (١٢ : ١١) وهى مجدون كما فى رؤيا يوحنا اللاهوتى (١٦ / ١٦) ومعنى الاسم « تل المارك » وقد أعطت المدينة أممها للسهل المجاور لها فعرف باسم « بقعة



١٤٢

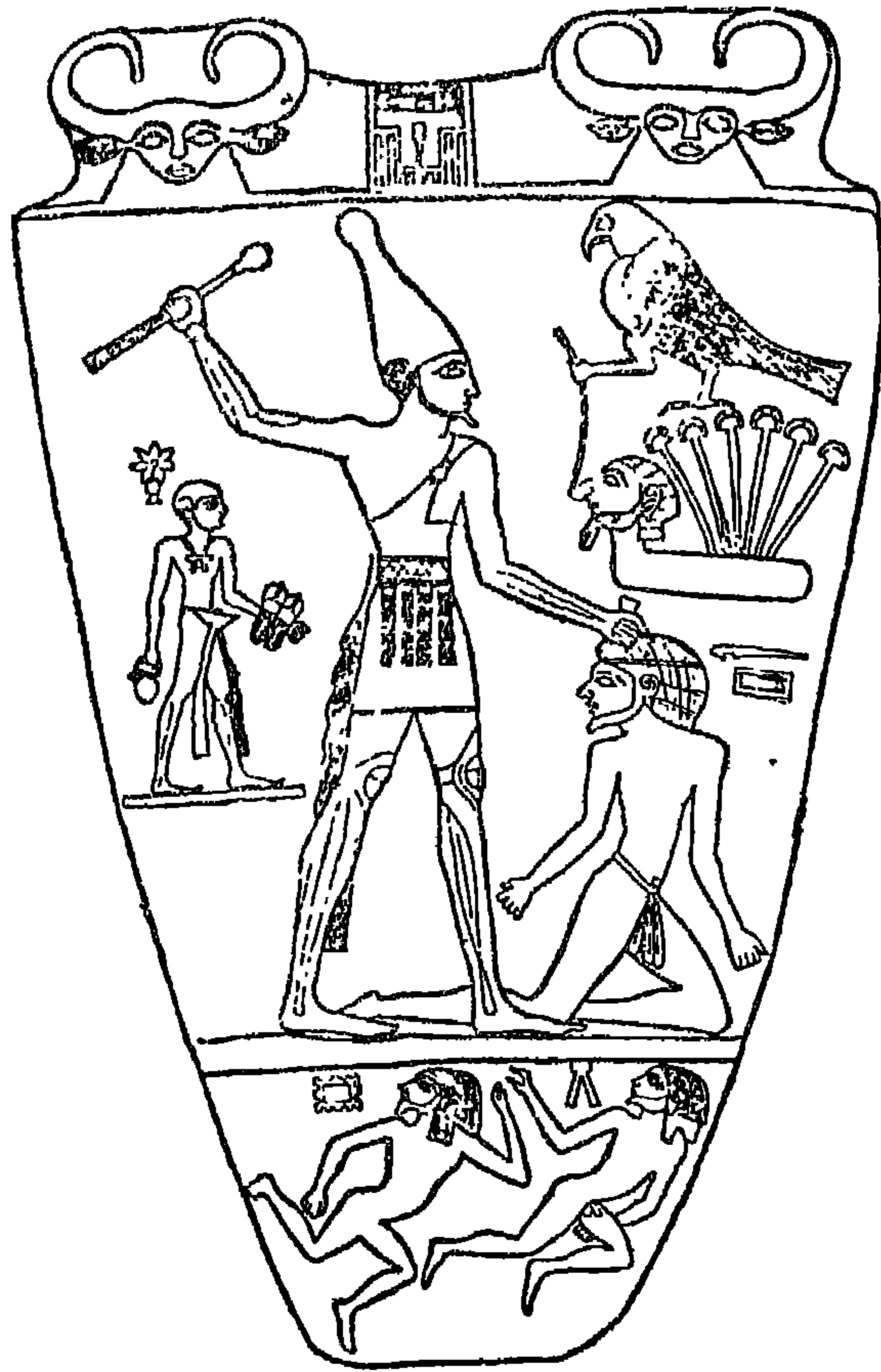
مجدو « في عهد العبرانيين وبقى معروفاً بذلك إلى العهد الروماني فان جيروم (٣٤٠ م — ٤٢٠ م) يذكره باسم سهل مجدو ، سهل اللجون .

ولا تزال هذه البقعة أخصب سهول فلسطين وأوفرها ماء وتمتاز بموقعها في منتصف الطريق العظيم الذي يربط بين مصر وبين بابل والشرق — فقد كانت بذلك خير أرض يعسكر فيها جيش ، وقاعدة ترتكز عليها العمليات الحربية فيما بعد في أي اتجاه ، وكانت تغل محاصيل وافرة وتهدى مرعى غنيا معظم أيام السنة لعدد من قطعان الماشية .

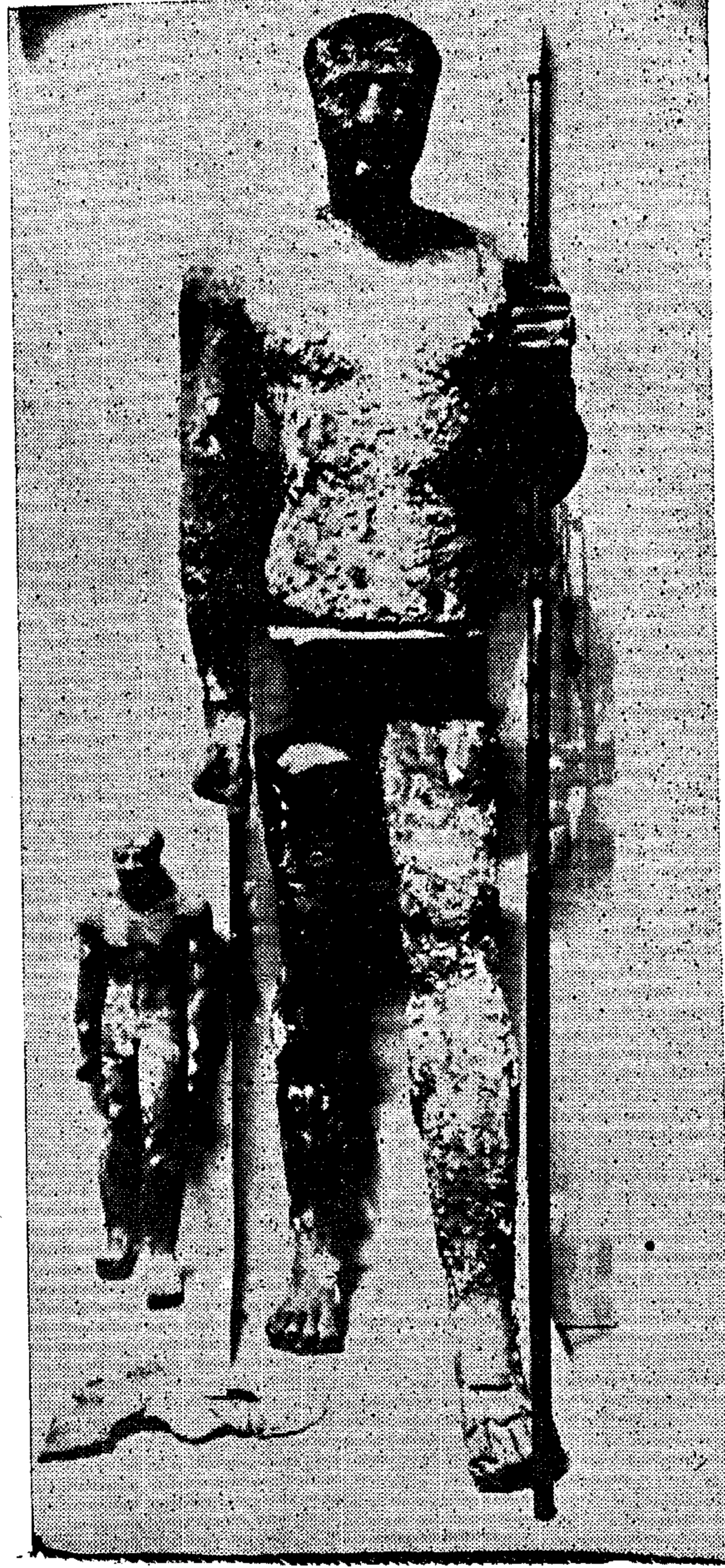
ومن فوق التلال المشرفة على الناصرة في يوم صحوفيه الأضواء والظلال مواتية يستطيع الإنسان أن يرى هناك في الجانب الآخر (الجنوبي) من السهل تنوعاً مستوياً القمة مطمئناً في أحضان التلال التي تكون الحدود بين البحر وبين الأرض الداخلية الأكثر ارتفاعاً .

هذا هو موقع أرمجدون « تل مجدو » الذي كان يوماً مفتاح أمتلاك السهل برمته . أما الآن فقد أختفى كل ما يمكن أن يدل على أهميته حتى الاسم قد ضاع في التسمية الشائعة بين الأهالي وهي « تل المتسلم » غير أن المكان بتسميته القديمة قد ترك في صحائف التاريخ القديم أثراً لا يمحي .

ولما كانت مجدو تتحكم هكذا في أكثر الطرق استقامة عند حاجز الكرمل المستعرض فقد كانت اذ ذاك معقلاً له أهمية استراتيجية حاسمة . فاذا تسنى الاستيلاء على هذا الحصن القوي تفتحت طرق كثيرة إلى عدة بقاع إلى الشمال والشرق ، وكان أولها الطريق المباشر المنحدر مع السهل ماراً بجزر يل وبيسان ثم شمالاً صعوداً مع نهر الأردن . أما الثاني فكان يتحد مع الأول حتى جزر يل ثم يدور نحو الشمال عابراً المجارى الشرقية الصغيرة في هرمون حتى يصل إلى وادي الأردن شمال بيسان وكان الثالث يحف بهذا التل ماراً خلال « نين » و « اردور » ثم يندمج مع الطرق الأخرى ، أما الطريق الشمالي الكبير فكان يعبر المدر العميق عند الناصرة ثم يتفرع ، فطريق يتجه إلى بحر الجليل والآخر إلى حاذور ، ذلك المعقل القوي للملك الذي أذل إسرائيل في عصر القضاة .



(ش. ٥٠) واحد من وجهى لوحة نارمر (الأسرة الأولى)
 تبين الملك نارمر وهو يقتل أسيرا بصولجانه وتحت
 قدميه إثنان من القتلى (دار الآثار المصرية)



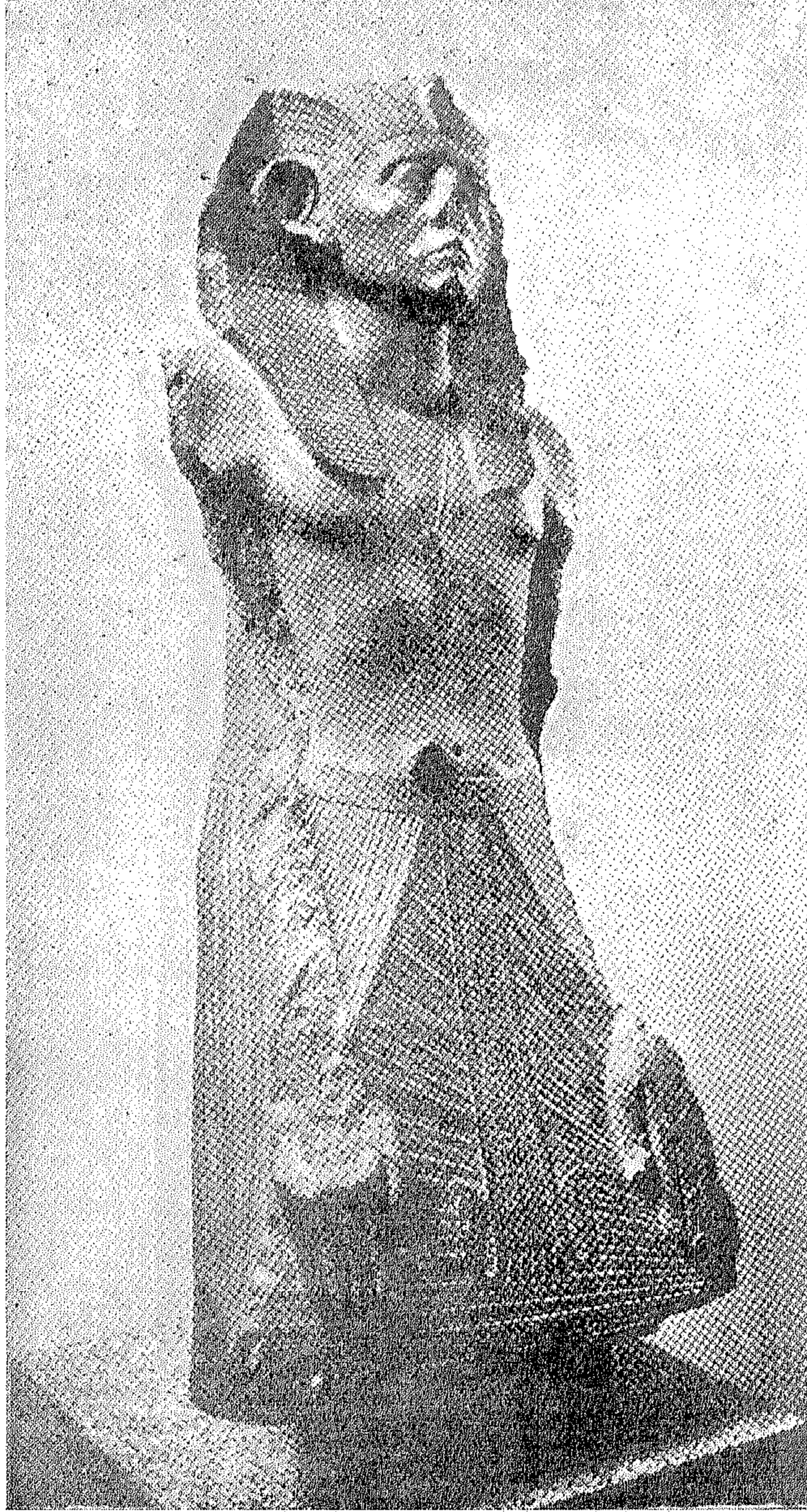
(ش ٥١) تمثال من البرونز للملك يبي الأول (الأسرة ٦)
(دار الآثار المصرية)



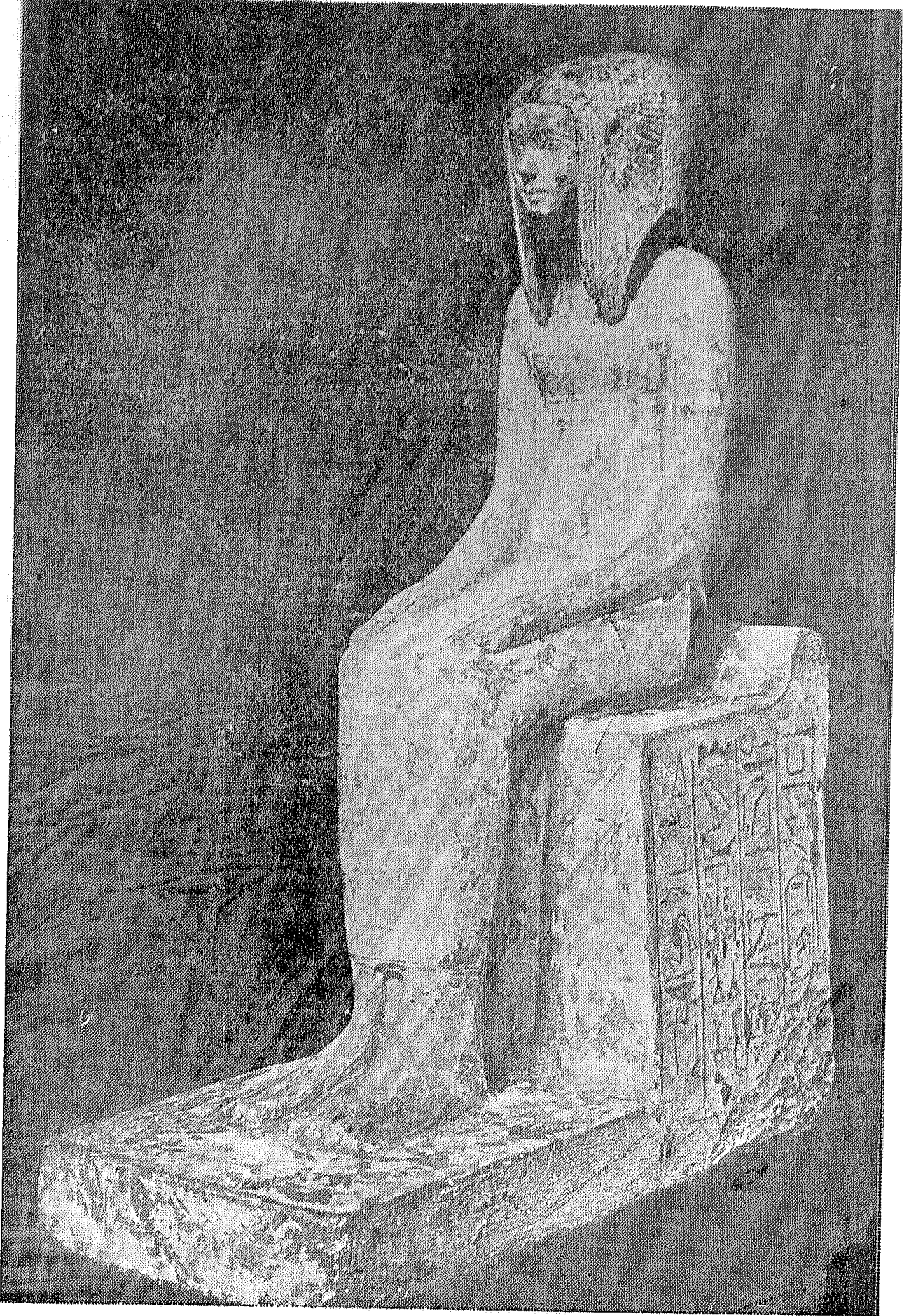
(ش ٥٢) تمثال من حجر البازلت الأخضر للملك خفرع
(الأسرة ٤)
(دار الآثار المصرية)



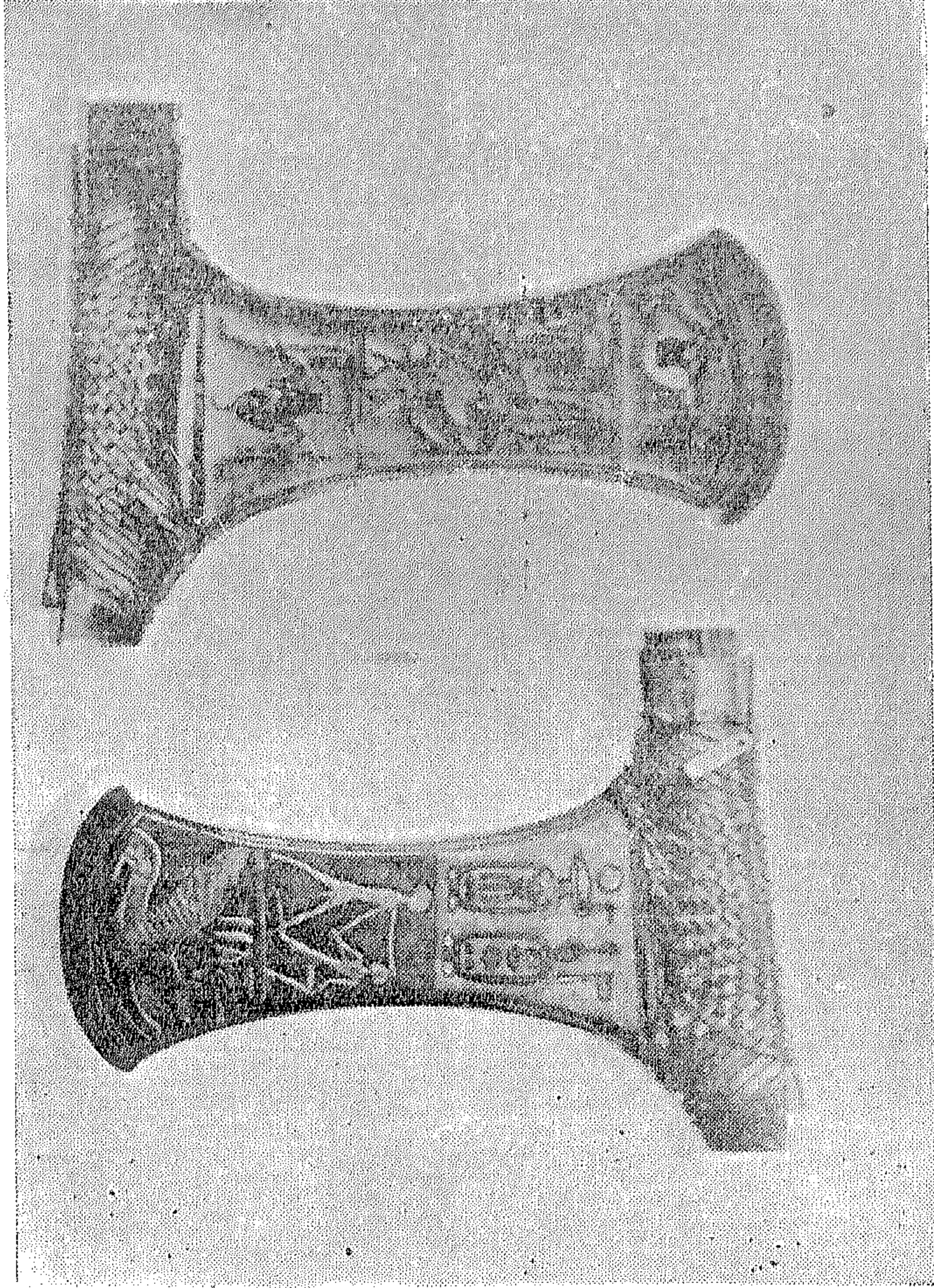
(ش ٥٣) تمثال من الحجر الرملي للملك سنوسرت الأول (الأسرة ١٢)
(في دار الآثار المصرية)



(ش ٥٤) تمثال من الجرانيت الرمادي للملك سنوسرت الثالث
(الأسرة ١٢) في المتحف البريطاني



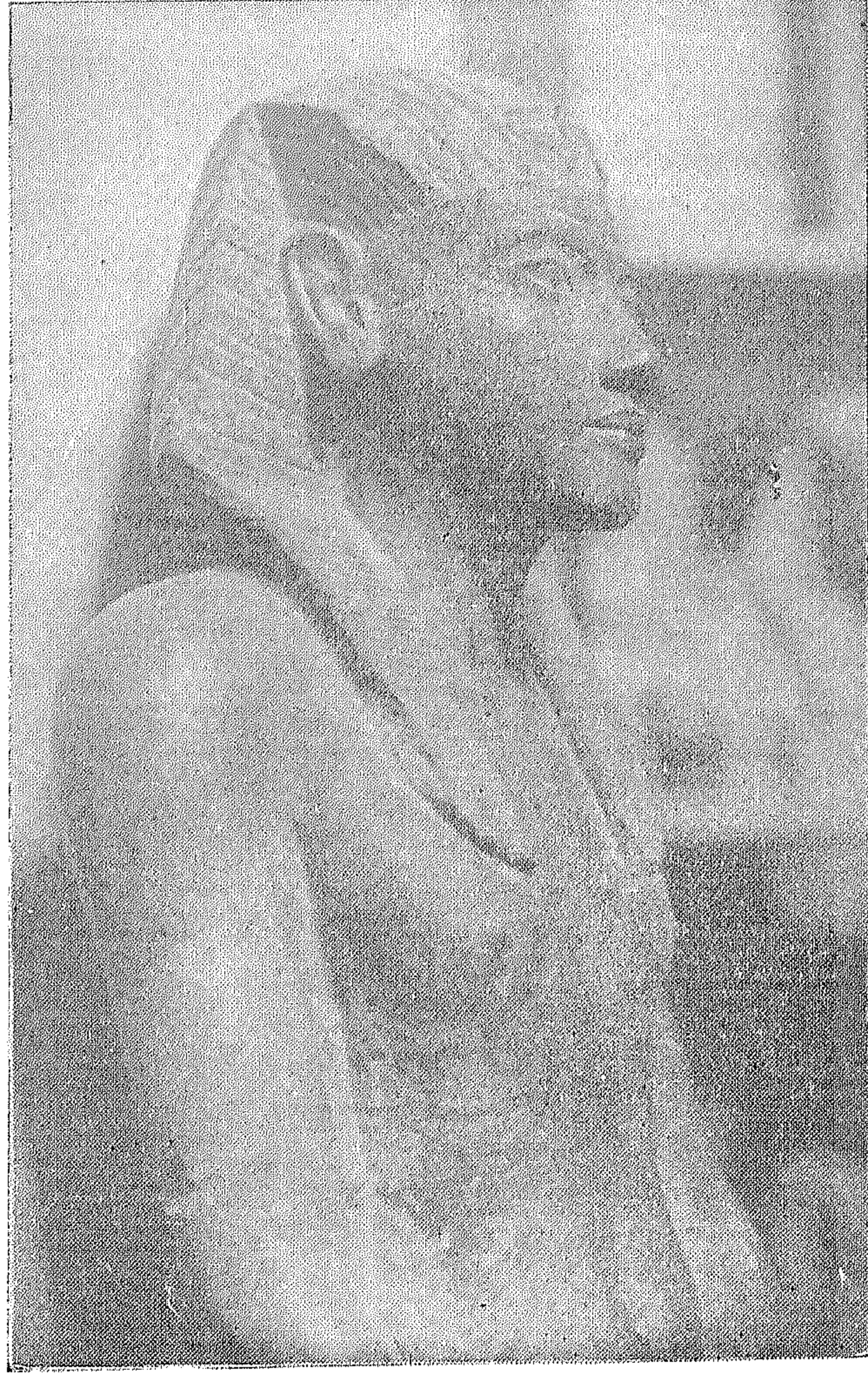
(ش ٥٥) تمثال للملكة تيتاشيري جدة الملك أحموسى (الأسرة ١٨) طارد المكسوس
(بالمتحف البريطانى)



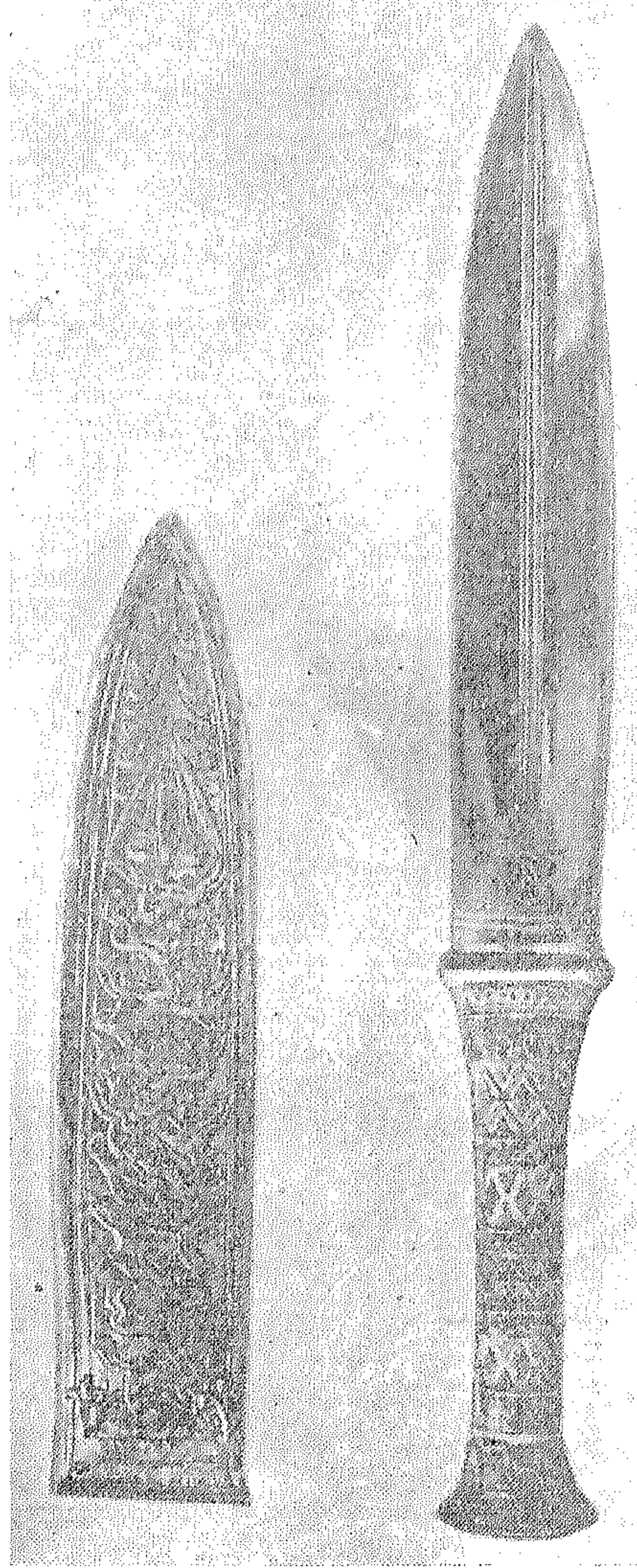
(ش ٥٦) بلطة قتال عثر عليها بمقبرة الملكة أح حوتب وعليها خرطوش
للملك أحوسى
(بدار الآثار المصرية)



(ش ٥٧) رأس تمثال للملك تحوتمس الثالث (الأسرة ١٨) من الشست الرمادي
(في دار الآثار المصرية)



(ش ٥٨) تمثال الملك توت عنخ آمون (الأسرة ١٨)
في دار الآثار المصرية



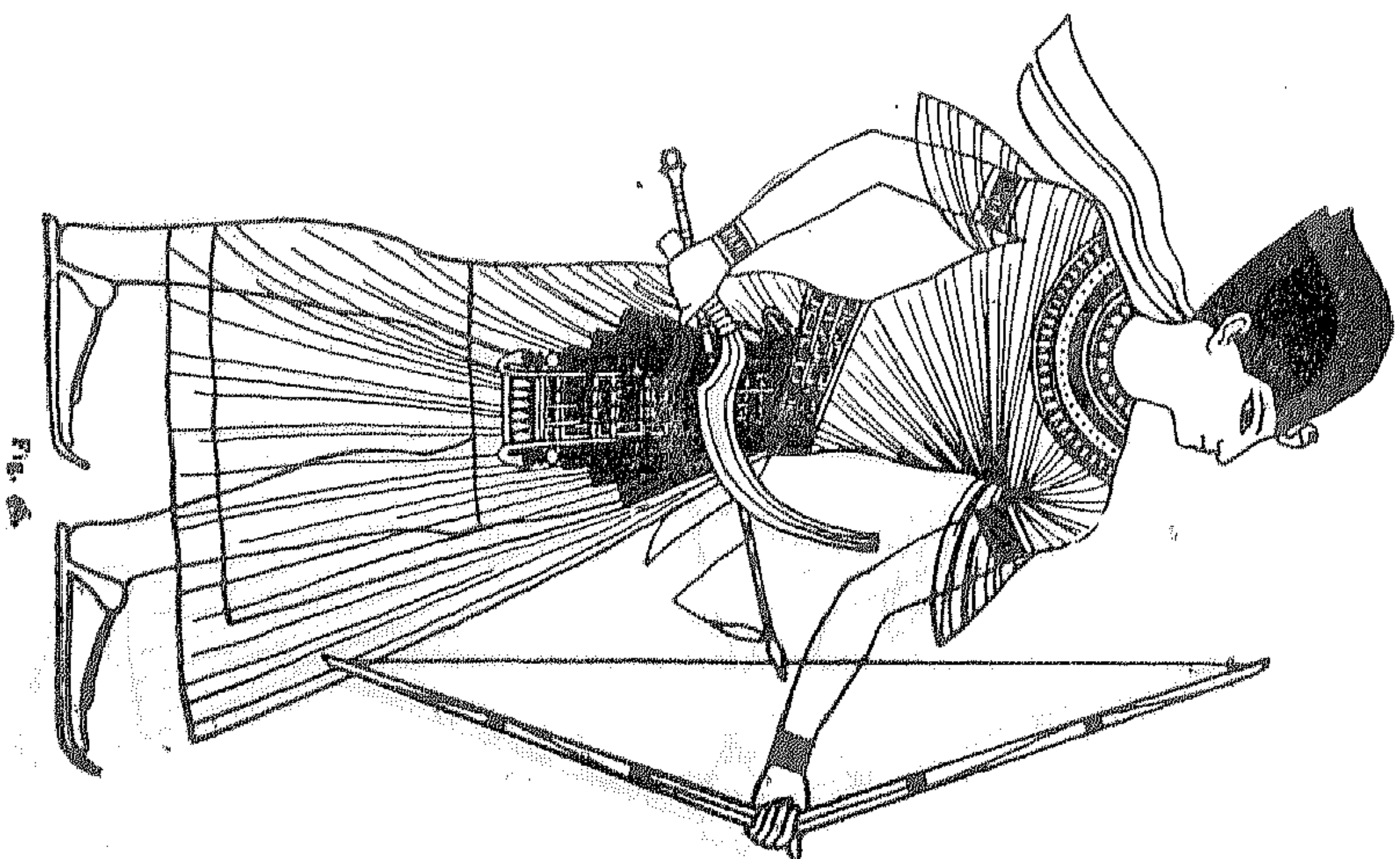
(ش ٥٩) خنجر ذهبي ذو مقبض منقوش للملك توت عنخ آمون
(الأسرة ١٨) بدار الآثار المصرية



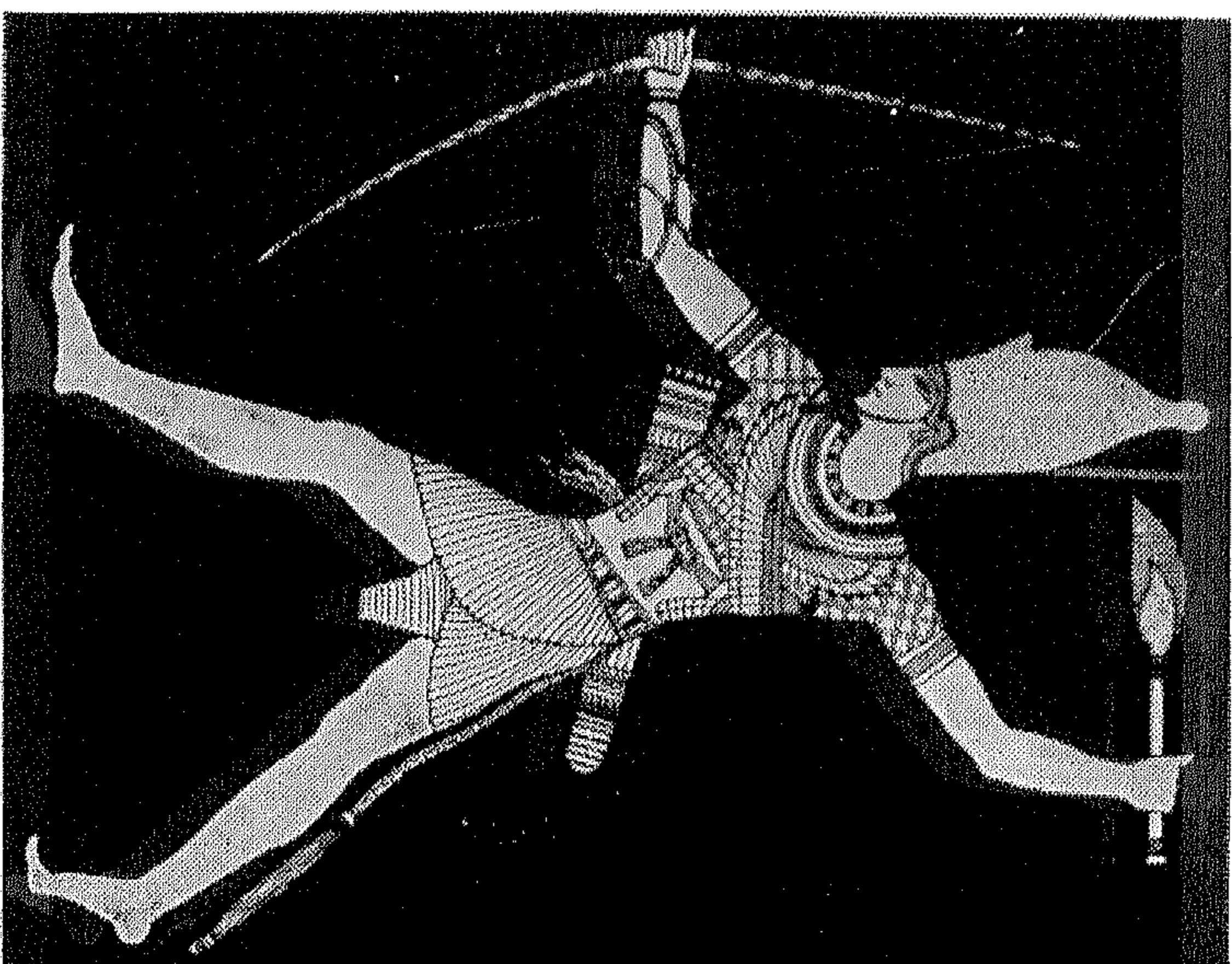
(ش . ٦) تمثال للقائد الملك حورمحب (الأسرة ١٨)
بدار الآثار المصرية



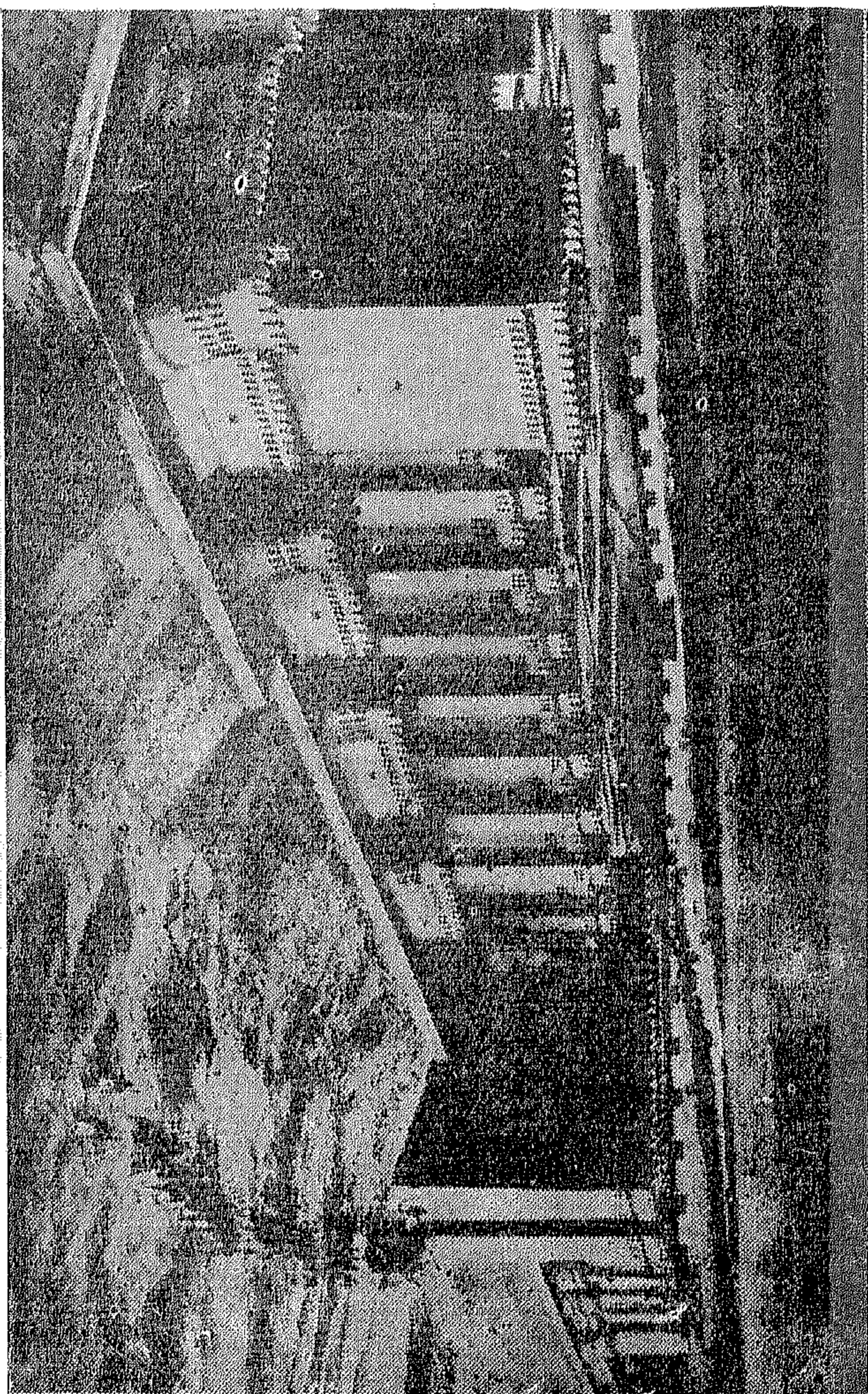
(ش ٦١) تمثال للملك رمسيس الثاني (الأسرة ١٩) بمتحف تورين
للآثار المصرية (إيطاليا)



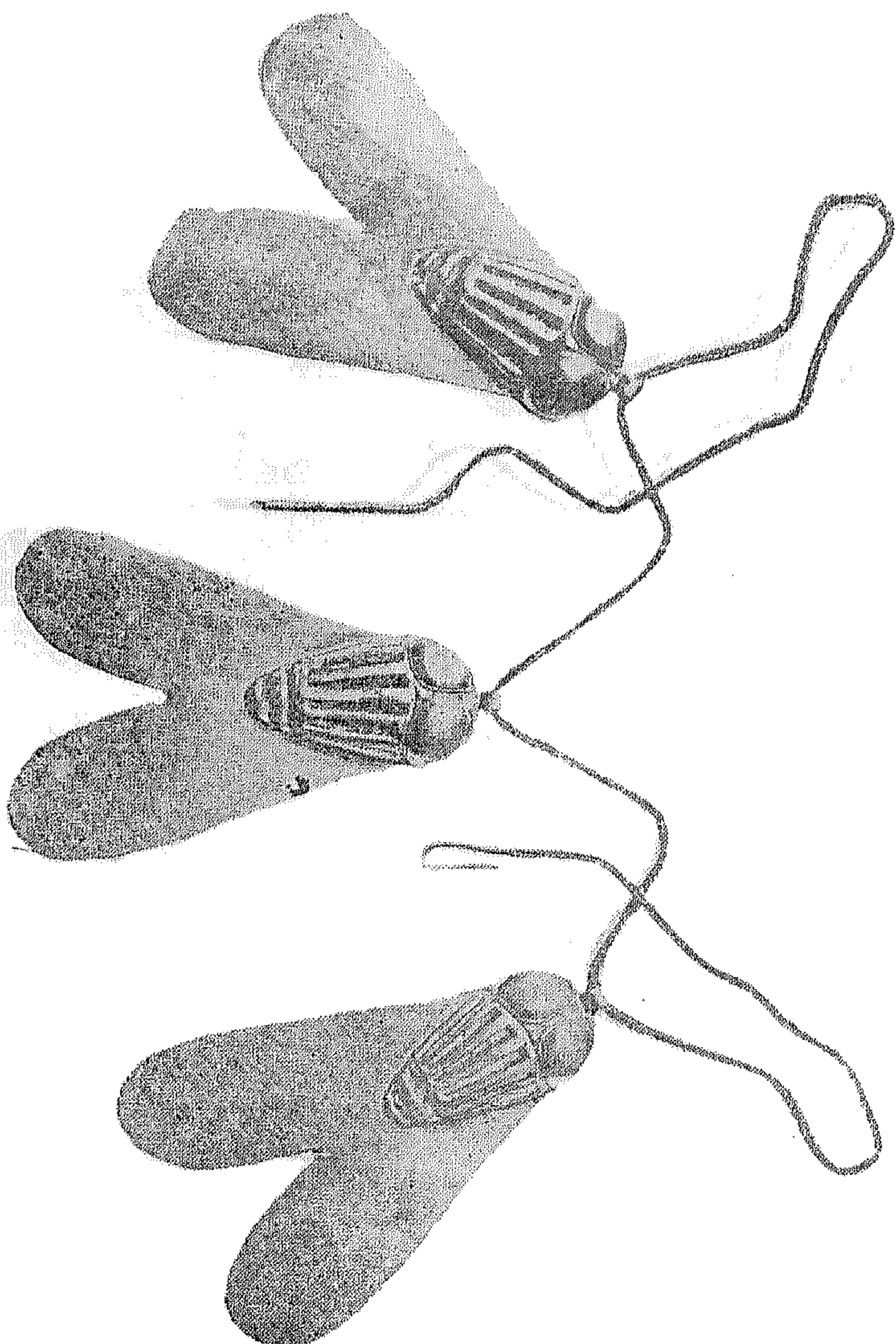
(ش ٦٣) رمسيس الثالث قابضا بيده اليمنى على
سيفه المقوف و بيده اليسرى قوسه



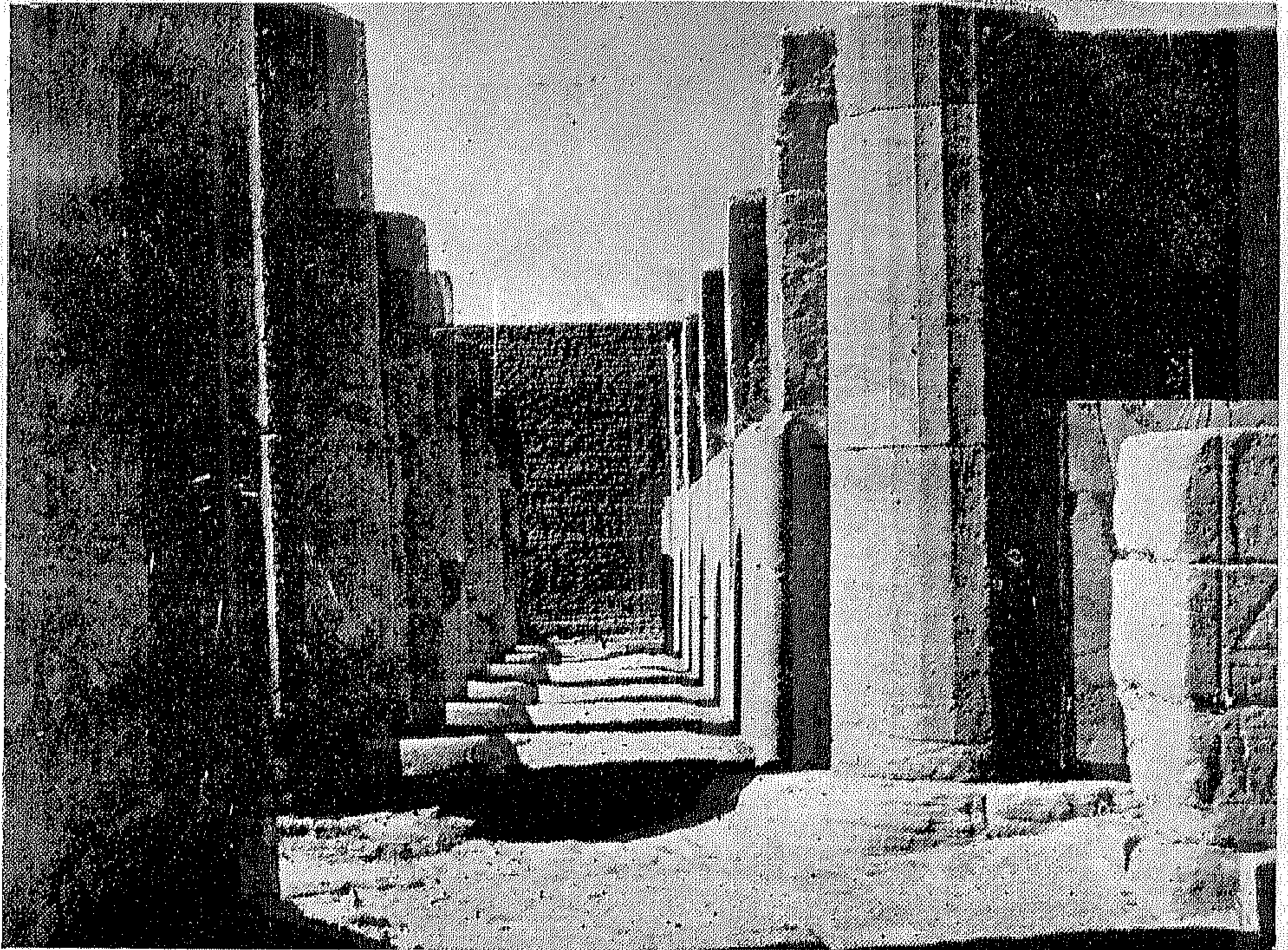
(ش ٦٢) لوحة للملك رمسيس الثالث عن شاهبايون وبريس دافن



(ش ٦٤) نموذج تخيلي لحصن بوهين كما كان عليه حاله في عصر الدولة الوسطى
(من عمل الفنان البريطاني آلان سورييل وإشراف الأستاذ والتر إرنى عالم الآثار)



(ش ٩٥) عشارات الذبابات الذهبية التي يتم بها على الضباط المشجمان



(ش ٦٦) معبد حصن بوهين بعد إعادة جزء من مبناه

حملة تحوتمس الثالث

ان حملة هذا العاهل المصرى من الأحداث التى سجلها التاريخ ، واليوميات التى تركها لنا عنها تحتمس الثالث على جدران معبد الكرنك نابضة بالحياة فى تفاصيلها، وستظل دائماً صدى مجيدة للأعمال الحربية فى تلك العصور ، مع أنه لاشك قد تلاها كثير من حوادث العصور لاتقل عنها روعة .

معركة مجدو

طريق جيش تحوتمس الى مجدو : سنكتفى هنا بتلخيص حركات جيش «تحوتمس الثالث» الأولى التى قام بها لتنفيذ خطته التى رسمها لنفسه من بادية الأمر . فقد سار بجيشه من قلعة « سيلة » (وهى القنطرة الحالية) فى اليوم الخامس والعشرين من الشهر الرابع من فصل الشتاء فى السنة الثانية والعشرين من حكمه . وهذا التاريخ على حسب قول الدكتور « نلسن » يوافق ١٩ أبريل سنة ١٤٧٩ ق .م مخترقا الصحراء التى تقع على الحدود الشرقية والحدود الجنوبية لفلسطين ، فوصل « غزة » بعد مسيرة عشرة أيام فيها نحو مائة وخمسة وعشرين ميلا وكان قد حط رحاله فيها فى اليوم الرابع من الشهر الأول من فصل الصيف فى السنة الثانية والعشرين من حكمه ، مما يدل على أن الجيش كان يقطع فى سيره يوميا نحو اثنى عشر ميلا ونصف الليل ، وهى سرعة حسنة فى بقاع معظم طرقها صحراوية قاحلة ، وبخاصة اذا عرفنا أن عددا عظيما من جيشه كانوا مشاة . ولم يمتك « تحوتمس » فى بلدة « غزة » الا سواد ليلة ، وفى الصباح المبكر سار على رأس جيشه ميمما شطر « يحم » (يهتمل أن تكون زيمما الحالية) وتقع على مسافة ثمانين ميلا من « غزة » وعلى الرغم من أن النقوش التى فى متناولنا قد أغفلت ذكر يوم وصوله إليها ، نستطيع أن نستنبط أنه ألقى فيها عصا تسياره فى اليوم الحادى عشر من نفس الشهر ، وذلك إذا فرضنا أنه كان يسير يوميا بنفس السرعة التى كان يزحف بها فى ذهابه إلى غزة .

الجيش يعسكر في بلدة « يحم » ويعقد فيها تحوتمس مجلسا حريا :

والظاهر أن الجيش قد ضرب خيامه فيها بضعة أيام استطاع في خلالها « تحوتمس » أن يطلق عيونه ليقفوا على مواقع العدو ومكانه . وفي اليوم السادس عشر من نفس الشهر عقد الفرعون مجلسه الحربى ليتشاور مع ضباطه في أحسن الطرق التى يجب أن يقتحمها الجيش إلى « مجدو » . وسيقص الثورخ المصرى علينا سير الحوادث (١) .

« السنة الثالثة والعشرون » ، الشهر الأول من فصل الصيف ، اليوم السادس عشر فى بلدة « يحم » لقد أمر جلالته أن يعقد مجلس حربى ليتشاور فيه مع رجال جيشه فيقول : ان ذلك العدو الخاسىء صاحب « قاش » قد جاء بجيشه ونصب خيامه فيها ، وهو مقيم بها فى تلك الآونة ، وقد ضم إليه كل أمراء الأقاليم الذين كانوا يدينون بخضوعهم لمصر حتى نهر الفرات ومعه السوريون وقوم « قودة » بخيلهم وجنودهم وعشيرتهم ، وأنه يقول على حسب ماوصل إلى مسامعنا ... سأقف هنا لمحاربة جلالته فى بلدة « مجدو » ، فحدثوني ما يدور بخلدكم فى هذا الخطب . فأجابوا جلالته قائلين : كيف يتسنى للمرء أن يسير فى هذا المضيق ؟ ، وقد وصلتنا الأخبار بأن العدو على تمام الاستعداد هناك فى خارج المدينة ، وأن عددهم قد أمسى هائلا ، وهل يكون السير مستطاعا إلا إذا سار الجواد والجندى أثر الجندى أيضا ؟ ، وهل ستكون مقدمة الجيش بهذه الطريقة فى ساحة القتال فى حين أن المؤخرة تكون هناك واقفة هنا فى « عرونة » عاجزة عن محاربة العدو ؟ ، على أنه يوجد طريقان آخران واحد منهما يؤدى إلى « تا عناخ » والآخر يقع فى الجهة الشمالية من بلدة « زفتى » مؤديا إلى شمال « مجدو » وبذلك لا نضطر إلى سلوك هذا المضيق الوعر .

(١) خلدت معركة مجدو بنقوشها فى معبد آمون بالكرنك ، وقد فقد كثير من تلك النقوش بسبب رداءة وتفكك الحجر الرملى الذى بنى به المعبد ، وقد ترجم اللتان ونسخ أيضا عدة مرات بواسطة علماء كثيرين ، منهم برستد ، ونلسون . (أنظر المراجع) .

وفي هذه الأثناء جيء بمعلومات عن ذلك العدو الحاسيء ، وبذلك استقر النقاش في موضوع الخطة التي كانوا يتحدثون عنها فيما قبل .

ثم أجاب الملك قائلا :

أنى مدمت حيا ومادام الإله « رع » يحبني ومادام والدي « آمون » يرعاني ، وما دام نفس الحياة ينعمشني بالحياة والقوة ، فلن أسلك إلا هذه الطرق المؤدية إلى « عرونة » ، وليذهب منكم من يشاء في إحدى هاتين الطريقتين الآخرين اللتين تحدثتم عنها وليتبعني منكم من يريد أن يسلك الطريق التي سيتخذها جلالتي لأن الأعداء الذين يمتقهم الإله « رع » سيقولون : هل سلك جلالته طريقا آخر لأنه يخاف بأسناو بطشنا، وعندئذ أجابوا على جلالته قائلين : ليت الإله « آمون » والدك رب تيجان الأرضين وساكن الكرنك يرعى شعبك ويتعهده : تأملا إنا سنكون في ركاب جلالتك أينما توجهت لأنه من واجب الخادم أن يتبع سيده دائما . وعندئذ أمر جلالته بإصدار إعلان لكل الجيش جاء فيه : أن سيدكم المظفر سيكون في طليعتكم لاقتحام ذلك المسلك الوعر الضيق . تأملوا . لقد أقسم جلالته يميننا قائلا أنى لن أسمح لجيشي أن يشق طريقه إلا في هذا المكان ، لأن جلالته عقد العزم على أن يتقدم طليعة جيشه بنفسه . وقد وزعت التعليمات على كل جندي بالأمر بالزحف على أن يكون الجواد في أثر الجواد في حين أن جلالته كان يسير في مقدمة جيشه .

الجيش يعسكر في عرونا :

وفي السنة الثالثة والعشرين من الشهر الأول من فصل الصيف ، اليوم التاسع عشر ، استيقظ الفرعون في السرايق الملكي الذي كان قد ضرب له في بلدة « عرونا » ثم سار جلالته مولىا وجهه شطر الشمال في رعاية الإله « آمون » رب تيجان الأرضين ليفتح الطريق أمامه .. وكان الإله « آمون رع » يشد ساعد جلالتي .. ورحف جلالته على رأس جيشه المنظم فرقا (ولم يجد للعدو أثرا) بل كان قد عسكر جناحه الأيسر عند بلدة « تاغناخ » في الوقت الذي كان جناحه الأيمن قد ضرب خيامه في النحى الجنوبي من وادى مجرى « قنا » .

وقد نادى جلالته أن يسيروا فى هذه الطريق ، فالتقى بالعدو فكسره وولى ذلك العدو الحاسىء الأدبار .. فبأيتها الجند مجدوا المليك وتغنوا بشجاعة جلالته لأن ساعده أشد بأسا من أى ملك ، وأنه هو الذى سيحمى مؤخرة جيش الوطن فى « عرونا »

كانت مؤخرة الجيش المصرى لا تزال فى بلدة « عرونا » فى حين أن مقدمته قد ظهرت فى وادى مجرى « قنا » وملاً الجنود فم هذا الوادى .

وعندئذ قال رجال الجيش لجلالته . حقا أن جلالته قد ظهر بجيشه المنتصر وملاً جنوده الوادى فليصغ جلالته لقولنا هذه المرة فيحمنى لنا سيدنا مؤخرة جيشه وقومه الذين معه ، وعندما تنصل بنا المؤخرة نحارب أولئك الأجانب ، إذ لا نكون فى شغل شاغل من جراء مؤخرة جيشنا . وعلى أثر ذلك اتخذ جلالته مكانه عند فم الوادى حاميا مؤخرة جيشه المظفر ، وعندما تم خروج الفرقة الأمامية على هذه الطريقة كان الظل قد مال (أى عند الظهيرة) .

الجيش يعسكر عند مجدول للاستعداد للموقعة :

ووصل جلالته جنوبى « مجدو » على شاطئىء مجرى نهر « قنا » فى مدة سبع ساعات بعد ميل الشمس . وقد ضربت خيام معسكر جلالته هناك ، ثم أصدر أمرا لسكل رجال الجيش وهاك نصه : استعدوا أيها الجنود وانتضوا سيوفكم لأن الفرعون سيخوض غمار حرب مع ذلك العدو الحاسىء عند الصباح الباكر لأنه .. ثم ذهب الفرعون ليستريح فى السراىء الملكى ، وقد أمد الضباط بما يحتاجون ، ووزعت الجرايات على الجنود ، واتخذ كل حارس مكانه بعد أن تلقى التنبيهات بأن يكون ثابتا فى مكانه شجاعا .

مـعـرـكـة مـجـدـو

السنة الثالثة والعشرون ، الشهر الأول من الفصل الأول . اليوم الحادى والعشرون . وهو اليوم الذى أعلن فيه الضباط عيد الهلال الجديد ، وفيه ظهر

الفرعون في الصباح وقد أعطى كل رجال الجيش الأوامر للإستعداد للمعركة . وبعد ذلك انطلق جلالته في عربته الذهبية الناصعة ، مدججا بدرعه وزرده مثل الإله « حور » القوي الساعد رب البأس ومثل الإله « منتو » إله طيبة (وهو إله الحرب) وكذلك كان والده آمون يشد ساعده .

وكان جناح جيش جلالته الأيسر يقف على ربوة جنوبى « قنا » ، أما الجناح الأيمن فكان معسكرا في الشمال الغربى من « مجدو » وكان جلالته في وسطهما يحميه الإله « آمون » في حومة الوغى . وكانت قوة بأس الإله « ست » (إله الحرب) تدب في أعضائه ، ففاز جلالته فوزاً مبيناً وهو على رأس جيشه وقد رأوا (أى الأعداء) جلالته والنصر حليفه ، ولذلك ولوا الأدبار نحو « مجدو » بوجوه يغمرها الذعر والهللع تاركين خيلهم وعرباتهم المصنوعة من الذهب والفضة وتسلقوا أسوار هذه المدينة بملايسهم (أى مستعملين ملايسهم ليتسلقوا بها) وذلك لأن أهل المدينة قد أغلقوا أبوابها في وجوههم ، ولكنهم مع ذلك أدلوا بملايسهم ليجروهم بها إلى داخل المدينة ولو أن جنود جلالته لم يتهاكوا على نهب متاع العدو لكان في استطاعتهم الاستيلاء على « مجدو » وقتئذ عندما كان عدو « قادش » الحاسى وعدو هذه المدينة يجرون متسلقين الأسوار ليدخلوا المدينة هرباً لأن الخوف من جلالته كان قد سرى في أجسامهم وضعفت أسلحتهم ، واستولى جلالته على خيلهم وعرباتهم المصنوعة من الذهب والفضة غنيمة بادرة ، أما صفوف جنودهم فكانوا قد طرحوا أرضاً مثل السمك في حبائل شبكة ، وجيش جلالته المنتصر كان يفحص متاعهم لأن سرادق هذا العدو الحاسى الذى كان محلى بالفضة ... وقد أخذ الجيش كله بأسباب الفرح مقدماً الثناء لآمون لما وهبه من نصر لابنه في هذا اليوم ، وكذلك قدموا الشكر لجلالته فخورين بانتصاره . ثم أحضروا الغنيمة التى إستولوا عليها حتى الأيدى والأسرى والخيل والعربات المصنوعة من الذهب والفضة والسكتان الجميل .

وقد درس الأستاذ سليم حسن المؤرخ المصرى — معركة مجدو — فى عدة صفحات (مصر القديمة — الجزء الرابع) بعد مراجعة الأصول الأثرية للمعركة

على جدران معبد السكر نك وعلى لوحة جبل بركال بالسودان. وأفاد كثيرا مما كتبه عن
المعركة المؤرخون الانجليز والألمان والأمريكان — ولذلك يعتبر ما كتبه المؤرخ
المصري مرجعا وافيا جدا .

وتناول وصف أطوار المعركة كالآتي :-

- (١) ما قيل في الخيمة الملكية من المناقشات ورد تحتس الثالث على ضباطه
- (٢) حوادث المعسكر في عرونة
- (٣) حوادث المعسكر أمام مجدو
- (٤) الاستعداد للمعركة
- (٥) الهجوم على الأعداء والفوز عليهم
- (٦) وصف حركات الجيش في معركة مجدو — ووصف الحصار .
- (٧) أهمية معركة مجدو في التاريخ الحربى

وقد علق الأستاذ سليم حسن على أهمية مجدو فى تاريخ الحروب قائلا :

أن أهمية سرد حوادث هذه الموقعة لا ينحصر فى وصفها وحسب — بل
كذلك لأننا نقرأ فى وثيقة تاريخية لأول مرة فى تاريخ العالم أن قائدا حرييا لم
تقتصر مواهبه على أنه جندى شجاع وقائد قدير ماهر فقط ، بل كانت لديه
الشجاعة كذلك ليخوض غمار مخاطرة قد كان يعرف عواقبها من قبل ليصل إلى
غرضه بسرعة خاطفة — بل قد أظهر فضلا عن ذلك مهارة حرية فى وجه العدو
الذى جعله يتأرجح فى يده كاللعبة فى يد الصبي .

المعركة فى اليوميات التاريخية

وهذا ما نقرأه عن وصف المعركة فى اليوميات المدونة على معبد السكر نك
« فى الصباح الباكر صدر الأمر إلى جميع فرق الجيش بأن تتحرك لتتخذ مواقعها
وذهب القائد العاهل فى مركبته الحرية وقد ارتدى ملابس الحرب مدججا

بالسلاح وكان يشبه الإله الصقر رب القوة وقد قوى ساعديه أبوه آمون وربط
الجناح الجنوبي لجيش جلالته فوق تل واقع في جنوب نهر قينا ، أما الجناح الشمالى
فكان في شمال مجدو الشرقى بينما كان جلالته في قلب نصف الدائرة » وقد أوضح
المؤرخ ويجيل ذلك قائلا « في هذا الوضع تحرك الجيش المصرى جنوبا وكان
القلب يتألف من نخبة الجيش ، وانتشر الجناحان غربا وشرقا على شكل مروحة
للحيلولة دون التفاف قوات العدو بمدينة مجدو التى وقفت عاجزة بين الجيشين
وأبوابها موصده وتحرس أسوارها حامية ضئيلة وقد أختبأ في المدينة الأمراء
المتحالفون الذين اجتمعوا هناك وعندئذ تقدمت قوات العدو بحركة استعداد للقتال
نحو الشرق ، وكان فرعون يقوم بمناوراته ليتخذ موقفه غربا ولا بد أن يكون
الاصطدام بين الجيشين قد حدث في مكان يقع على نحو ميلين من جنوب المدينة ،
وأخيرا قاتل المصريون في أسفل التل في اتجاه جنوبى شرقى ، وحينئذ — على
ما يقوله المؤرخ — هجم الملك ونخبة جيشه على العدو وألحقوا به الهزيمة — ففر
جنوده (أى جنود العدو) ووجهتهم مدينة مجدو والذعر أخذ منهم كل ماخذ
تاركين خيلهم ومركباتهم المزخرفة بالفضة والذهب . أما أهل المدينة (مجدو) فقد
جذبوا اللاجئين إلى داخل المدينة بملابسهم لأنهم كانوا قد أوصدوا أبوابها فأدلوا
إليهم الشيا ب وجذبوهم بها (١)

ينخيل إلينا أن تحوتمس باعتماده على السرعة في حركاته المحكمة واجتنابه
التعرض لعاملى البطء والانتظار ، وهما عاملان في الحرب الهجومية كان أول من
أبتكر الحرب الخاطفة التى عرفت في الحروب الحديثة ، وقد نجح فيها بدليل أن
هجوم مركبات فرعون الحرية أفضى إلى دحر جيوش يغلب على الظن أنها كانت
أكثر عددا من الجنود المصريين .

(١) أنظر سيرة تحوتمس الثالث المنقوشة على جدران معبد الكرنك ونارينج فرعون
— جزء ثان ص ٣٤٩ لويجيل

فإنه على الرغم من الجلود الحربية الذي ساد عهد حتشبسوت بدأت مصر منذ عهد
أحمس الأول وحروبته لتحرير البلاد تصبح دولة عسكرية بمعنى الكلمة فقد كان
لها جيش مسلح أتم التسليح (١)

ويقول « دريتون » إن معركة مجدو كانت كارثة للأمراء المتحالفين الذين
فروا بلا نظام ولجأوا إلى مدينة مجدو المحصنة .

وبعد أن لجأ هؤلاء الأمراء الآسيويون إلى المدينة قرروا التآهب للدفاع
ويقول « دريتون » كذلك أن ملك مجدو أحاط المدينة بخنادق تقطع كل صلة
بالخارج ، ومع ذلك فبعد مضي وقت لا تستطيع تقديره لسوء الحظ — اضطرت
المدينة إلى الاستسلام ولم ينج من الأسر واحد من الأمراء المتحالفين إذا استثنينا
أمير قادش الذي استطاع الفرار . ويقول الأثرى اللورخ ويجد أن حصار مجدو لم يدم
سوى بضعة أيام . ولما استسلمت المدينة وخضع الأمراء عفا تحوتمس عنهم وعينهم
موظفين أو جعل منهم حكاما تابعين للأمبراطورية المصرية (٢) فأظهر بذلك تسامحا
عظيما ، والواقع أن ذلك كان دهاء من تحوتمس أو بالحري كياسة سياسية لأنه لم

(١) لم يكن هذا الجيش شبيها بجيوش مصر السالفة بل كان مزودا بسلاح جديد
هو المركبات الحربية وسرعان ما أتقن المصريون هذا السلاح والفضل في معرفتهم يعزى
للملك الرعاة (الهكسوس) وكان السورويون يستعملونه والجنود الذين يركبون هذه
المركبات التي يجسر كلا منها جوادان كانوا يحاربون بسهامهم وحرابهم على مسافات
بعيدة فيقرر هجوم فرقتهم المتراصه مصير المعارك وكان للمشاة كذلك مجهزون بأسلحة
حسنة لأن المعادن حات في كل محل مكان حجر الصوان الذي كان سلاح العصور
القديمة ولم يكن معظم الجنود نصف عراء تقريبا كما كانوا في سالف الأزمان بل
أصبحوا يتقلدون دروعا مبطنة بالقطن ويغطون رؤسهم بعمائم تقيهم الإصابات إلى
حد ما (كتاب الحضارة المصرية وأصولها إلى فتح الاسكندر ص ٢٢٩ و ٢٣٠
لمؤلفه جاكيه أستاذ الآثار المصرية في جامعة نيوشاتل)

(٢) يؤخذ من سيرة تحوتمس الثالث التي ترجمها ويجل « أن الفرعون أعاد تعيين الأمراء »
أي أنه صفح عنهم وأعادهم إلى مناصبهم بصفتهم تابعين .

يستعمل حقه في الانتقام إلا من زعيم هذا الائتلاف ، ويعنى به أمير قادش الذى
لاذ بالفرار فقد قبض على أولاده واقتادهم إلى طيبة كرهائن (١)

وجرى تحوتمس بعد ذلك فى كافة حروبه التى انتهت بالانتصار فى آسيا على سنة
القبض على أبناء أمراءها واقتيادهم إلى طيبة كرهائن سواء أكان هؤلاء الأمراء
مهزومين أو حلفاء ثوار أو خاضعين .

وهؤلاء الرهائن الذين كانوا يهياؤن لحكم بلادهم تحت سيادة الامبراطورية
المصرية كانوا يرسلون منذ نعومة أظفارهم إلى مدارس أو قل إلى الأكاديميات
الحرية التى أنشأها تحوتموس فى طيبة لكي يتلقوا فى بيئة مصرية تعلما مطابقا لخطة
رسمها الفرعون وقصد بها إلى توحيد سياسى وثقافى ، وقد كان من وراء هذا
الأسلوب البارع فى التربية أن وجد لفراغنة الأسرة الثامنة عشرة ولاءا صادقا من
الأمراء الأجانب التابعين لهم .

وعاد تحوتمس إلى مصر ، وبلغ طيبة فى ١١ أكتوبر ١٤٧٩ ق . م فى احتفال
رائع .

الغنم :

ان قائمة الغنم التى غنمها تحوتمس الثالث فى مجدو ، أتى ذكرها فى نقوش
الكرنك وهى تكشف لنا عن ثروة تلك البلاد المفتوحة وما كان يتمتع به أمراء
سورية من نعم العيش والأبهة ، فضلا عن أنها تعطينا فكرة عن مدى ما كانت
عليه تلك البلاد من التقدم فى الصناعات والحرف وفنون الحياة .

(١) مما يحسن ذكره أن المصريين لم يقبضوا على عائلات الزعماء الواقعين فى أسرهم فى مجدو
ولم يصادروا أمتعة بيوتهم لأنهم ظفروا بالعفو . أما ملك قادش فلكونه زعيم هؤلاء
الأمراء فقد صودرت أمتعته الخاصة وأخذ أبنائه رهائن ويظن أنه تمكن من
الهرب ووصل إلى قادش مدينته حزينا كئيبا وإن يكن قد نجح بحياته (كتاب تاريخ
فرعون ج ٢ ص ٣٥٦ لويجىل)

وسنذكر هنا بالتفصيل قائمة هذه الأسلاب التي استولى عليها الجيش المصري من مجدو لنعطى فكرة عامة عن مقدار ثراء القوم واستعداداتهم التي كان لا بد للمصريين أن يقف أمامها وجها لوجه .

فاستولى على ثلثمائة وأربعين أسيرا وثمانين يدا (كان الجندي تقطع يده) وألفين وواحد وأربعين فرسا ومائة وتسعين مهرا وستة جياذ وعربة مغطاة بالذهب وقضبانها من الذهب من متاع العدو . وعربة جميلة مصفحة بالذهب يمتلكها أمير مجدو ، وثمانمائة واثنين وتسعين من عربات جيشه المخدول ، مجموعها تسعمائة وأربع وعشرون عربة ودرع جميل من البرونز ملك الأعداء ، ودرع آخر من البرونز لأمير مجدو .. وعلى مائتي درع من دروع الجيش الخاسر ، وعلى خمسمائة قوس وسبعة قضبان من خشب المرو مصفحة بالفضة وهي من قضبان سرادق العدو « واستولى جلالته على شتى أنواع الحيوان من المدينة » ثلثمائة وخمسة وثمانين .. وألف وتسعمائة وتسعة وعشرين من الحيوانات الكبيرة وألفين من الحيوانات الصغيرة . وعشرين ألف وخمسمائة من حيوانات بيضاء صغيرة .

هذا بالإضافة إلى كل السلع التي هي ملك تلك المدن التي خضعت وأحضرت لجلالته وهي : أربعمائة وسبع وأربعون من نسائهم ، والأمراء الذين كانوا معهم وثمانى وثلاثون سيدة من سيداتهم وسبعة وثمانون طفلا من أطفال العدو من الأمراء الذين كانوا معه وخمسة من أشرفهم وألف وستمائة وستة وتسعون من الذكور والإناث من العبيد والأماء والأطفال ، هذا غير المحاربين الذين استسلموا بسبب الجوع الذي لاقوه ، ومائة وثلاثة رجال فيكون مجموعهم ألفين وخمسمائة واثنين (والعدد المدون فعلا هو ألفان وتسعة وعشرون فلا بد أن يكون العدد الناقص وهو أربعمائة وأربعة وسبعون) قد جاء ذكره في الأماكن المهشمة من المتن . هذا إلى الأطباق من الأحجار الغالية والذهب وأوان أخرى . وأثناء ذى مقبضين من صنع خارو (البلاد الآسيوية) وأوان وأطباق مفرطحة وأقداح للشرب مختلفة وغلايات وسكاكين يبلغ وزنها سبعمائة وأربعة وثمانين دينارا (أى أن

الأدوات السالفة الذكر يبلغ وزنها ١٩١ رطلا من الذهب (هذا إلى خواتم من الذهب كانت في يد الصناع وفضة مصنوعة وخواتم عدة تبلغ زنتها نحو تسعمائة وستة وستين دينارا (أى ما يقابل ٢٣٥,٤٦ رطلا من الذهب) وتمثال من الفضة مصنوع ورأسه من الذهب وعصا بأوجه بشرية وستة كراسى للعدو من العاج والأبنوس وخشب الخروب كلها مغشاه بالذهب وستة مساند للأقدام من متاع العدو ، وست موائد من العاج في هيئة صولجان من متاع هذا العدو أيضا وكلها مصفحة بالذهب وتمثال لهذا العدو من الأبنوس مصفح بالذهب ورأسه مرصع باللازورد وأوان من الشبه وملابس كثيرة للعدو .

وهذه المدن الثلاث التي استولى منها فرعون على الأسلاب الأخيرة تقع بعضها قريبة من بعض في الطرف الشمالى من لبنان ؟ وقد هاجمها تحوتمس الثالث عن قصد لغرض معين وذلك لأنه فسكر أولا في إيجاد وسيلة لمنع ملك قادش من الوصول إليها . وكان هذا لم يقهر بعد ، فزحف جنوبا ليجعل الطريق الشمالى الواقع بين جبال لبنان في قبضة يده لأهميته بالنسبة لحركاته الحربية ولذلك سار تحوتمس بجيشه شمالا واستولى على هذه المدن . ومما يؤيد صحة ذلك أنه بنى هناك قلعه « تحوتمس قاهر الأجانب » .

وبعد أن تم لتحوتمس النصر على هذه الصورة وجه عنايته لتنظيم البلاد التي فتحها فقد أصبحت فلسطين ولبنان خاضعتين لسلطانه وكذلك الجزء الأعظم من بلاد فينيقيا ، وفي أعقاب ذلك لم يتحول نظر تحوتمس عن غايته الأولى ، وهي بسط السيادة المصرية إلى نهر الفرات لكي يقضى على دولة الميتانيين ، ولتحقيق هذه الغاية كان عليه أن يهزم بادية ذى بدء من كانا يعاونان هذه الدولة وهما أمير قادش الذي تمكن من الفرار في معركة مجدو وأمير تونيب حليفه الجديد . وكان هذا الأخير يحكم بلادا واقعة في شمال سورية تتجاوز نهر العاصى والنهرين ، ولكي يصل تحوتمس إلى شمال سورية التي كان طامعا فيها عن طريق فلسطين وقد فتحها من قبل — كان مضطرا لاجتياز مضيق فينيقية وإنشاء مراكز التموين في مختلف موانئها تسهيلا لنقل جنوده على وجه السرعة ، ويقول المؤرخ دريتون « ان الملك أدرك أنه لا يستطيع

مواصلة فتوحاته إلا إذا ضمن لنفسه قاعدة بحرية في فينيقية لأن السفر بحرا من مصر إلى سورية كان أقل مشقة وأقل نفقة وأقصر شقة ، ثم أن الأسلاب والغنائم التي كان الملك يجلبها سنويا ، كان نقلها بطريق البحر أيسر منه كثيرا بطريق البر .

لهذا وجه تحوتمس جهوده فيما بعد الى الموانئ الفينيقية واستولى على مدينة (أوارتيت التي لا يعرف موقعها بالضبط) وعلى مدينة أرواد القريبة من البحر غير ان الراجح أنه أنشأ قاعدة بحرية ثانية في مدينة بيبلوس التي كان لمصر فيها نفوذ عظيم منذ أجيال . وكان تحوتمس ينزل جنوده تارة في سيمير وتارة أخرى في أوارتيت وأحيانا في بيبلوس ليواصل السير الى هدفه الأكبر وهو إخضاع الميتانيين فتمكن بين سنتي ١٤٨٠ و ١٤٧٤ ق . م من دحر أمير قادش بعد مقاومة عنيفة واستولى على مدينته ، وكسر أمير تونيب وقمع مانشب من ثورات فخضع له عدد كبير من عشائر المدن الفينيقية ، وحمل منها غنائم هائلة .

وهنا يقول المؤرخ ييرمونييه أنه تم الاستيلاء على أسطول بيبلوس وكذلك على سفن النقل المصرية لكي تنقل عليها الى مصر الاسلاب العظيمة التي غنمها الفاتح (١) وفي سنة ١٤٧٣ ق . م وهي السنة الثالثة والثلاثون لحكم تحوتمس كان هذا الباب قد بلغ ذروة مجده فسار الى بيبلوس مجتازا هذه المرة طريق غزة القديم حيث شيد سفنا من خشب الارز وحملها على مركبات تجرها الثيران سارت خلفه في زحفه الحثيث نحو النهر حيث استمرت رحى الحرب دائرة بين مصر وميتاني ، وبعد بضعة مناوشات مع الطليعة التحم فرعون بأعدائه ، وقد انضم اليهم أمير كركميش ، ثم دارت بين تحوتمس وبينهم معركة حامية الوطيس في غرب مدينة حلب الحالية . ويقول دريتون أن الملك تمكن من قهر العدو ودخل أرض كركميش وأنتهت المعركة العظيمة في صالح مصر (٢) .

(١) مونييه : بيبلوس ومصر : ص ٣٧٩

(٢) دريتون : شعوب شرق البحر المتوسط ، ص ٣٨٨ . أنظر أيضا : فينيقيه :
للمؤرخة بات بطوطة .

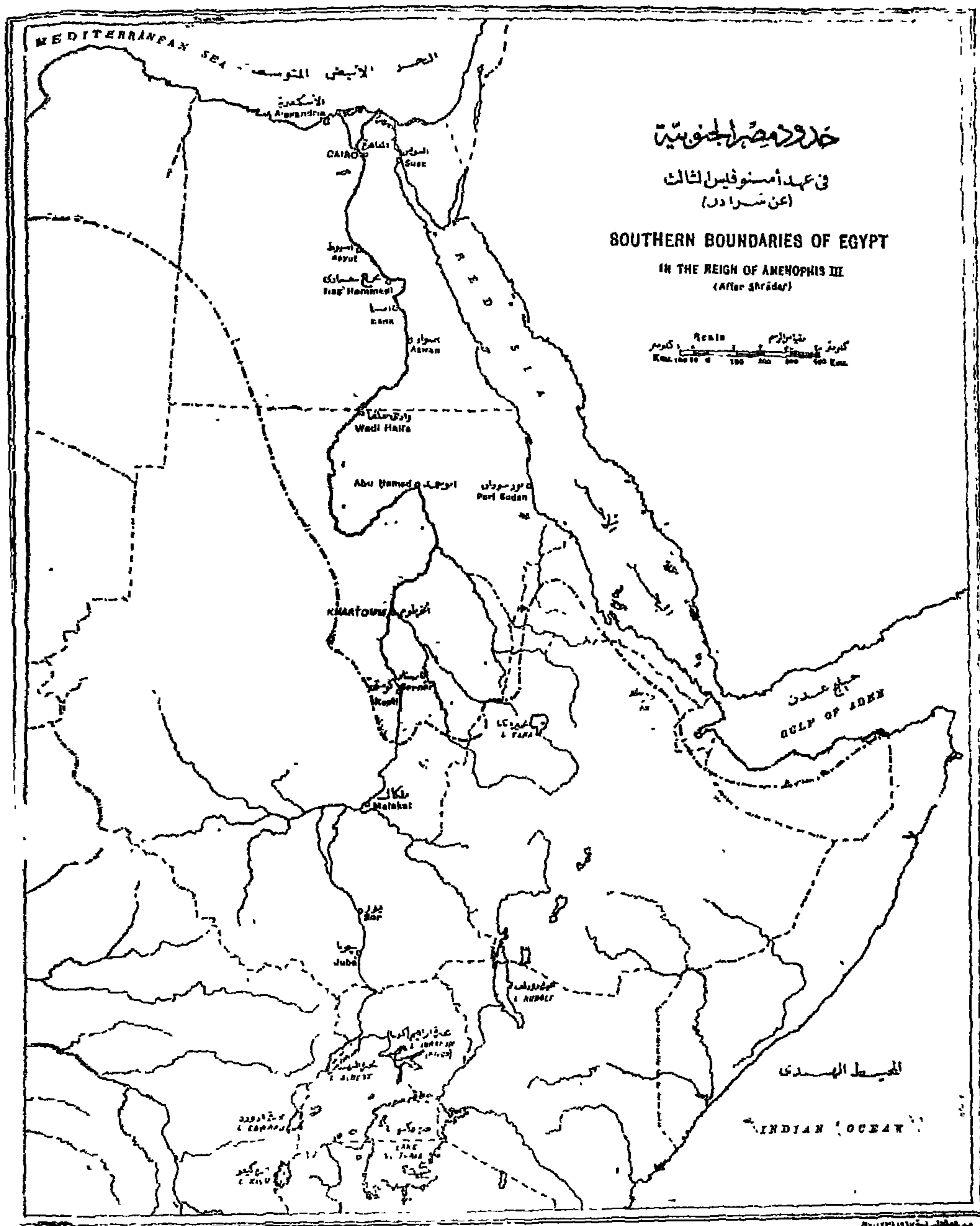
ويعتبر بعض المؤرخين معركة مجدو غير حاسمة ، فان الامارات الشمالية اجتمعت كلمتها ثانية لمقاومة الفرعون . فزحف اليها مرة أخرى ، ثم شن عليهم عدة حملات كانت القاضية عليهم في السنة الثلاثين من حكمه . ومع ذلك فانه لم يتغلب على الاسيويين تماما ، الا في أواخر أيام حكمه ، بعد أن أخضع غرب آسيا تماما . وفي ذلك العهد اتسعت رقعة الإمبراطورية المصرية اتساعا لم تصل اليه من قبل .

لم يحافظ خلفاء تحوتمس الثالث على ملك مصر الواسع ، فقد انتهز الأمراء الآسيويون بزعامة ملك خيتا ، ضعف الحكم المصريين وأعلنوا عصيانهم ، ولكن من حسن التوفيق أن اعتلى العرش ملوك من طراز تحوتمس ، وهم الرمامسة فوطدوا العزم على استرجاع ما فقد . وبدأ سبقي الأول في اصلاح طريق فلسطين الصحراوي ، ووجدد مباني القلاع وخزانات المياه . ثم أوفد جيوشه لتستعيد السيطرة على الأقاليم الآسيوية ، وأخضع قادش ، وعقد معاهدة مع الحيثيين . وأكمل رمسيس الأول ما لم يتممه أبوه .

رمسيس الثاني

وهاهو ذا ملك محارب ، ومؤسس إمبراطورية .. جلس رمسيس ٢ على العرش وكان الحيثيون قد بسطوا نفوذهم على غرب آسيا ، واستولوا على قادش . فبدأ غزواته لاستعادة الممتلكات المصرية ، بأن استولى على الشواطئ السورية ليستخدم موانئها .

وبدأ يعد جيشه وينظمه ، استعدادا للضربة القاصمة ضد أعدائه الخارجين عليه وكان ملك خيتا زعيم الحركة الانفصالية في غرب آسيا .



(ش ٦٧) حدود مصر الجنوبية في عهد أمينوفيس ٣ ابن تحوتمس الرابع

الامبراطورية المصرية الثانية

الأسرة التاسعة عشرة (ح ١٣٤٢ — ١٢٠٠ ق م.)

فإذا انتقلنا من فتوح تحوتمس ٣ والذين خلفوه من أمثال تحوتمس الرابع ، وأمنحتب ٢ ، ٣ لوجدنا أمامنا أمبراطورية عظيمة ... حتى يحكم البلاد إخناتون (أمنحتب الرابع) ، فينهمك في الشئون الدينية ، ويبدأ انحلال السيادة المصرية في آسيا إلى أن تنتهي في أيام توت عنخ آمون ، وسرعان ما يقوم البطل حورمحب فيمسك بمقاليد الحكم ويؤسس الأسرة التاسعة عشرة على أنقاض سابقتها ، فيصلح ما أفسده أسلافه ، ويأخذ في دعم أسس الإمبراطورية الثانية .

كان حورمحب (ح ١٣٤٢ — ١٣٠٣ ق م.) قائد الجيش العام في أيام إخناتون وتوت عنخ آمون ، ثم تزوج من شقيقة هذا الملك « نفرتي » ليدعم مركزه . ، واتخذ لقباً ملكياً « حبيب آمون » عندما استعاد ثانية كهنة آمون مراكزهم الدينية المرموقة بعد تخلي الشعب عن عبادة آتون . وقد عرف حورمحب بثقافته الممتازة ، وكان يعجب الناس بأقواله منذ كان يقف بين يدي مولاه توت عنخ آمون . يتحدث إليه في أمور الدولة وسياستها ، كما كان الفرعون يسر بحديثه . ولمس في القصر نواحي الضعف أيام إخناتون وخليفته ، وأسهم في حركة الثورة الدينية أيام العمارنة وتغلغل في شئون القصر فعرف أسرارها ، كما فعلت زوجته ، وكانت مرضعاً لنفرتيتي (١) . وعلى العموم ، فقد كانت مهارته السياسية ، ومعرفته بطبائع الناس ، وسلطانه على رجال الجيش ، يضاف إلى هذا قوة إرادته ، ولباقته في معالجة

(١) د . أحمد بدوي : حورمحب ، مجلة كلية الآداب (جامعة فؤاد الأول) ، المجلد ١٠ ، ج ١ ، ص ١٢٥ — ١٤١ ، عام ١٩٤٨ .

الأمور ، كانت هذه جميعا من العناصر الفعالة التي أثرت في حياة حور محب ، وبناء مستقبله ... وقد فاز بتحقيق آماله فأصبح ملكا في ظروف تعصف بالبلاد الأزمات ، فعمل على إنقاذها وأصبح أبا للشعب وصديقا له . فأصلح القوانين وجعلها أكثر عدلا وانصافا ، وعنى بالجيش الذى خرج من صفوفه وأمضى صباه بينه والعروف عنه أنه قاد هذا الجيش فى حملة إلى سورية ليدعم سلطان مصر فى الولايات التى كادت تستقل بأمورها ، بيد أنه لم يتوسع فى حملته لضم أراض جديدة . كما أنه قاد حملة أخرى إلى السودان ، وأوفد بعثة إقتصادية إلى بلاد بونت .. ولما مات ، دفن بوادى الملوك حيث وجدت مقبرته ، ولكن جثته لم يعثر عليه .

أعتلى العرش من بعده رمسيس الأول، ثم سيقى الأول (١٣٠٢ — ١٢٩٠ ق.م) الذى استرجع فلسطين وأخضع البدو والفينيقيين فى الشرق ، كما حارب الليبيين فى الغرب ، ولكن أهم حروبه وقعت فى الشرق وفى سورية بالذات ووصلت جيوشه إلى لبنان حيث اصطدم بالحثيين، وسنقرأ فى الصفحات التالية ما تم بمجهود خلفائه ...

معركة قلاش

(١٢٨٩ ق م٠)

مصادر المعركة الأصلية :

كان «شامبوليون» أول من اهتدى إلى قصيدة المعركة المسماة «قصيدة بنتاؤور» وكان «سالفوليني» أول من تولى دراستها عام ١٨٣٥ ، إلا أنها كانت دراسة بدائية وتبعه «لينورمان» عام ١٨٥٨ بدراسة أخرى تضمنت أخطاء خطيرة في ذات الوقت لأنه لم يستخدم نصوص المعركة المنقوشة على جدران معبد أبي سنبل ، ومثل هذه الأخطاء كشفها «شاباس» وأضاف ملاحظاته عن المعركة معتمدا على التقارير الأصلية التي سذكرها فيما بعد . ولم يكتف بذلك فحسب بل جمع متنا تضمن النقوش الأثرية للمعركة في الرمسيوم وأبي سنبل فجاء بحثا غاية في الدقة .

ثم أقبل بعدهم «ديروجيه» ، ولم يكن بحثه الرائع لقصيدة بنتاؤور المعروفة التي ندين إليها كأول مصدر عن معلوماتنا الأولى للمعركة ، تحقيقا للمعركة ، بل كان هدفه التثبت من النص والاضطلاع بالترجمة الصادقة ، لهذا كان بحثا أدبيا بحثا .

وجاء «بروجش» الألماني فأصدر مقدمة منمقة باللغة الألمانية، لكنه لم يحاول تحليل و«هضم» المعركة أو شرح تفصيلاتها وإيضاحها .

ولم يستفد الأب تومسكنز في بحثه بكل المعلومات التي استقاها من النصوص ، إلا أنه قدم عرضا لا بأس به بما وصل إليه علمه . أما للـؤرخ إرمان فقد وُصف الحوادث كما هي مصورة ، وشرح أسلوب الحياة كما رآها منقوشة ، ولم يطلع علينا بدراسة تبين استعداد الجيوش وترتيبها . وبين ماير بمحذقه وذكائه طبيعة الهجوم الحثيثين ، بيد أنه لم يشرح المناورات الابتدائية التي مهدت للهجوم .

وكان الملخص الذي أمدنا به « مولر » عبارة عن وصف جغرافي لقادش وما جاورها ، وليس فيه شيء عن دراسة المعركة ، ثم قدم المؤرخ ماسبيرو في كتابه كفاح الأمم ، بحثا مستفيضا عن معركة قادش ، وأبرز للناورات الجوهرية التي أدت إلى المعركة وكان ذلك في عام ١٨٧٥ . ومن الغريب أننا نلاحظ بعض الأخطاء في آخر دراسة له عن المعركة لا نلاحظها في دراسته الأولى . ولا نعلم إذا كان هذا الخطأ وقع منه إهمالا أو عمدا . ومضمون هذا الخطأ أنه ذكر أن رمسيس كان يرى في معسكر « شابتونا » إلى جنوب قادش عندما بدأت المعركة بينما كانت جنوده قد قامت قاصده الشمال الغربي أو شمال قادش ، وأنه عسكر هناك قبل المعركة — وقد أحتوت الصور البارزة للمعركة على نقش يبدأ بالعبارة : « وقف الملك حينما عسكر بجنوده في الشمال الغربي من قادش » بينما فرت فرقة رع نحو الشمال عندما هوجم الملك ، إلى حيث كان الملك في الشمال .. فكيف تفرقوا إلى الشمال من معسكر الملك وانضموا إليه في الشمال . هذا ليس واضحاً ، يجعلنا نضع قوات رمسيس في جنوب قادش . وبينما تؤيد المصادر أنه كان في شمال قادش . وأن جيشه كان في الشمال أى في مقدمة الملك فإننا نجد مصادر أخرى تؤكد بدون التباس أو غموض أن فرقة رع كانت في مؤخرة الملك . ولكننا نجد فيما كتبه ماسبيرو عن ترتيب قوات المعركة ما يرجع الوقائع إلى أصولها الصحيحة (١) ، ومنذ خمسين سنة تقريبا ماد « شاباس » . فصحيح هذا الخطأ الحير وأزال الارتباك الذي كان يسود التفاصيل .

إن هناك كثيرا من نقط الخلاف في مصادر المعركة . ومن المهم أن نقدم بياناً وجيزاً عنها قبل الخوض في المعركة ذاتها ، فهناك ثلاثة مصادر هامة .

المصدر الأول :

ملحمة بنتاؤر — Pn-t-Wr-t : أثبت المؤرخ إيرمان أن بنتاؤر لم يكن إلا ناسخا للقصيدة وليس مؤلفا ، وسنشير إلى هذا المصدر فيما سنكتبه عن موضوع المعركة بكلمة قصيدة .

المصدر الثاني:

تقرير المعركة المنقوش على جدران الهيكل في شكل نقوش بالهيلوغريفية.. وهي تصوير للحوادث الرئيسية وسنشير إلى هذا المصدر بكلمة « تقرير » .

المصدر الثالث :

النقوش على جدران المعابد — كسجل لحوادث المعركة — تصحبها الكتابات المفسرة

فالقصيدة أهم مصادر معركة قاش — ولو أننا فقدنا الخمسة والعشرين سطرا الأولى منها — هي عبارة عن وصف سفر للملك من مصر إلى قاش . وبيان مواقع الفرق العسكرية الأربع التي تألف الجيش منها في تحركها إلى لحظة هجوم القوات الآسيوية عليها ولا تختلف القصيدة في الشكل ولا في الجوهر عن التقارير التي خلفها الفراعنة الآخرون ، كمنفتاح ورمسيس الثالث عن معاركهم . والقصيدة برمتها ليست شعرا من ناحية التركيب ولكنها في صورة شعرية زاهرة ، منمقة الأسلوب ، على نسق ماجاء في وصف انتصارات الأسرة الثانية عشرة . ومما يتعين تبيينه أن هذه القصيدة سجلت في أسلوبين : أولهما بالهيوغليفية والآخر بالهيراطيقية .

وقد ذكر « بروجش » أن النصوص الهيوغليفية منقوشة على جدران معبد الرمسيوم مرتين وفي معبد الأقصر وأبي ممبل وبيت الوالى ، ويقول ماسبيرو أن هذه الملحمة نقشت في كل مكان في النوبة وفي الصعيد وأبي ممبل وبيت الوالى والدر والأقصر والسكرنك .

والراهن أنها لا توجد في أى مكان في النوبة وفي الرمسيوم ، بيد أنها توجد على جدران معبد الأقصر والسكرنك وأيدوس وأبي ممبل .

أما النسخة الهيراطيقية فواحدة ، عبارة عن لفافة من جزئين تسمى « برديه رافيه » وهي باللوفر وتشمل بداية وصف المعركة ، والثانية « برديه سالية » في المتحف البريطانى وهي لائتمة للجزء الاول .

ولما كانت النصوص التي جمعها لم تشر الى نسخة أيديوس ، فقد قام برستيد بترتيب كل النسخ بالمهروغليفية والمهراطيقية في أعمدة متوازية ، ثم جاهد الأستاذ لرممان في تنسيقها مستعينا ببردية سالية الأصلية الموجودة في المتحف البريطاني ليستخدمها في « قاموس برلين » وبذا تسنى تنظيم بردية ساليه ونصوص أيديوس ونقوش الأجزاء السفلية في معبد الأقصر وصور الكرنك الفوتوغرافية .

وكان التقرير « Record » هو السجل الرسمي للمعركة ، غير أنه ليس كاملا كالقصيدة في وصف سير ومواقع الحثيين ، الا أن روايته تامة عن التاريخ الداخلي الذي أفضى برمسيس الى توجيه تقدم جيشه بلا حذر الى شمال قادش ، وبدنك قدم لنا أول خدعة حربية عرفت في التاريخ العسكري ، وقد خلت القصيدة من هذه الحقيقة . وهذا التقرير محفوظ في ثلاثة أماكن ، على جدران معبد أبي سنبل وفي الرمسيوم وفي معبد الأقصر .

وعلى العموم فينبغي علينا أن نذكر أن هذه النقوش حفرها الفنانون على جدران المعابد سبع مرات في أيام حكم رمسيس الثاني في أيديوس والرمسيوم (مرتين) والكرنك والأقصر وأبي سنبل والدر . ومعظم نقوش أيديوس أيدت أما زميلتها في الدر فقد أندثرت ولم يبق منها شيء .

وتعاني كل هذه الأصول الأثرية للمعركة عيبا مشتركا ، فغرضها الرئيسي إنما كان لتصوير شجاعة الملك الشخصية ، أما تسجيل حركات الجيش فيلوح أن الغرض من نقشها كان لبيان جرأة الملك في أثناء هجومه على العدو حينما فصل عن قواته الرئيسية وتقهقرت بعض الوحدات .

والأحوال التي أدت برمسيس الثاني الى محاربة الحثيين اكتشفت بعد دراسة رسائل تل العمارنة ، فقد وصل الحثيون الى أعالي منبع نهر الأورنت في تقدمهم نحو الجنوب وحشدوا قواتهم على مقربة من بحيرة حمص .

وكان رمسيس في السنة الرابعة من حكمه قد وطد اقدامه على الساحل الفينيقي بعد غزواته الأولى الى ما يجاور بيروت وأقام نصب حدوده على شواطئ نهر الكلب وطلق يعد نفسه لمقابلة الحثيين .

وأما عدد الجيش فلم نقف له على أثر أو دليل ، مع أنه تقابلنا أحصائيات للجيش المصرية في حملات صغيرة (١) ليست لها أهمية معركة قادش ، الشيء الذى يفصح عن — أهمهم ذكر عدد جيوشهم في الحملات الكبيرة ١ وقد ذكر ديودورس أن عدد حملة قادش بلغ ٤٠٠.٠٠٠ من المشاة و ٢٠.٠٠٠ من الخيالة ولكن مثل هذه الأرقام — ولا نزاع — مبالغ فيها .

وقد يكون أقدم إحصاء ذكره النبيل « أوناس » (من قواد المملكة المصرية القديمة) لما قاد حملته إلى سيناء وفلسطين ، فقد قرر أن عدد رجاله بلغ عشرات الآلاف، ولكن مثل هذا التقدير لم تدعمه مستندات أو مراجع أخرى، فضلا عن أنه رقم مبهم . أما حملة الحملات التى حشدتها الملك بنتوير امنتحوتب (٢١٠٠ ق . م) فقد بلغ عدد رجالها عشرة آلاف مقاتل من البدو الرحل أهالى المديريات الجنوبية وثلاثة آلاف بحار من الدلتا فيكون مجموعها ثلاثة عشر ألف مقاتل . وأرسل الملك « سنيكيرى » من ملوك الأسرة الحادية عشرة الى الحملات فى حملة أخرى قوامها ثلاثة آلاف مقاتل . وهناك حملات صغيرة أخرى نهض بها حكام المديريات ، تألفت الواحدة منها من ستمائة وأربعمائة مقاتل .

وهذا أمنمحتت الثالث من ملوك الأسرة الثانية عشرة أرسل جيشا من ألف مقاتل إلى محاجر الحملات — وكان معهم ٣٠ من صناع المحاجر و ٣٠ بحارا و ٢٠ من رجال الأمن . وقد أرسل كذلك قوة مؤلفة من ٧٣٤ جنديا إلى وادى المغارة فى سيناء .

ولم تصل إلينا إحصائية دقيقة عن عدد رجال حملات الأسرة الثانية عشرة .

أما عن حملات الأسرة التاسعة عشرة فقد أرسل رمسيس الثانى جيشا إلى الحملات كان مؤلفا من الجنود المرتزقة / ١٩٠٠ من الشردانا و ٦٢٠ من كيبك (؟) و ١٦٠٠ من مشاوشا و ٨٨٠ من العبيد ، وبلغ مجموعهم ٥٠٠٠ مقاتل .

(١) حملات المناجم فى سيناء أو وادى الحملات أو الحملات التى وجهت لفتح بلاد النوبة .

واتضح لنا من نقوش معبد الكرنك الكبير التي تبين الحرب الليبية التي شنها
منفتاح (القرن الثالث عشر ق . م) أن عدد القتلى من الأعداء قد بلغ ٩٣٧٦ ،
ووقع في قبضته من الأسرى ما يقرب من هذا الرقم . وفي حرب ليبية أخرى
مشابهة لتلك ، شنها رمسيس الثالث في السنة الخامسة من حكمه بلغ عدد قتلى الأعداء
١٢٠٥٣٥ ، وفي الحرب الليبية التالية كان عدد قتلى الأعداء ٢١٧٥ والأسرى ٢٠٥٢
وتألفت الحملة التي أرسلها الملك ذاته إلى محاجر جبل سلسة من ٣٠٠٠ رجل —
من بينهما ٢٠٠٠ من الجنود . ولم يكن غرض الحملة لأسباب عسكرية أو تأديبية
بل كان القصد منها المعاونة في أعمال النقل .

وأرسل رمسيس الرابع حملة إلى محاجر الحمامات وصل عدد رجائها ٨٣٦٨
منهم ٤٠٠٠ جندي وكان الهدف منها حماية العمال في المنطقة وتقديم المساعدة لهم .

ومن المصادر القديمة التي تلقى قليلا من الضوء على عدد القوات في ذياك العهد
خطابات تل العمارنة ، وقد تضمنت أرقاما ليست كبيرة بعكس الأرقام التي تصادفنا
في المصادر القديمة للغاية ، كما ينبغي علينا ألا نعتمد على ما أورده هيرودت أو ديودور
من الأرقام الضخمة المبالغ فيها . وعن جيوش البطالسة لا نقف على إحصائيات
صحيحة وكل ما ذكره المؤرخون منها يعد أرقاما تقريبية .

وعلى كل ، فقد كانت جيوش مصر في العهد القديم الأول قليلة العدد ، بينما
كانت الجيوش الليبية المهاجمة أكثر عددا من الجيوش المصرية المدافعة . وأقرب
الأرقام إلى الصحة كانت ٢٥٠٠٠ أو ٣٠٠٠٠ ، وتألف جيش رمسيس الثاني من
أربع فرق بينها بعض القوات المرتزقة من شاردانا الذين تكونت منهم المشاة الثقيلة
ولا يتيسر لنا أن نقرر بالضبط عددهم في الجيش . كما أنه من الصعب تحديد عدد
قوات المشاة أو قوات العجلات الحربية .

وقدر ماسبيرو عدد قوات الجيشين وحلفائهم بعشرين ألف مقاتل (١) .. ومن المستبعد أن يكون جيش رمسيس الثانى أقل عددا من ٢٠.٠٠٠ وهو أقل عدد يستطيع به القضاء على قوات الحيثيين . وعلى ذلك يكون قوام الفرقة الواحدة خمسة آلاف مقاتل — لأنه إذا كان قد أستطاع أن يوفد حملة صغيرة إلى الحملات تعدادها خمسة آلاف ، فمن السهل أن يصل جيشه فى حرب كبرى إلى عشرين ألفا . على أقل تقدير ، إن لم يك أكثر قليلا .

حملة رمسيس الثانى

فى أخريات شهر أبريل من العام الخامس من حكم رمسيس الثانى — كما ذكر فى القصيدة المنسوبة إلى بنتاؤر — قاد حملته مبتدئا من ثارو فى الشمال الشرقى من حدود مصر . وكانت تتألف من أربع فرق — يقود الأولى منها وهى فرقة آمون التى كانت مقدمة الجيش — تتبعها الفرق الثلاث فرقة رع وبتاح وسوتخ .

والطريق الذى اتبعته تلك الفرق فى مسيرها فى فلسطين من الصعب معرفته بالتأكيد . ولكن ما كادت تقترب من جنوب لبنان حتى اتخذت الطريق المحاذى — كما يتبدى من نصوص قصيدة بنتاؤر — وكان رمسيس قد ثبت قدميه عليه فى العام السابق للحملة — بعد احتلاله مكانا على الشاطئ أطلق عليه اسم رمسيس — هذا المكان يقع عند مصب نهر الكلب حيث أقام نصبا لا يزال فى مكانه إلى اليوم .

وعقب ثلاثين يوما (٢) من مغادرة الملك مدينة ثارو أقام معسكره جنوبى مدينة قادش واتجه صوب الشمال إلى نقطة تقع جنوبى وادى الأورنت .

١ — دفع الحيثيون إلى الميدان لمقاتلة المصريين — ٢٤٠٠ عجلة حربية ثم أرسلوا ألفا أخرى . وكان فى كل عجلة ثلاثة جنود — فىكون مجموع القوات ١٠.١٥٠٠ — وكان تحت أمرتهم أيضا ٨٠٠٠ من المشاة — وبذلك وصل المجموع الكلى حوالى ٢٠.٠٠٠

٢ — بمتوسط سير ١٣ ميلا تقريبا فى اليوم .

ولا يتعين علينا ان نتتبع رمسيس إلى المعركة التي كان ينتظر نشوبها في قادش .
قبل التعرف إلى جغرافية أرض المعركة — فعند هذا البحث نصطدم مباشرة بالحقيقة
المعقدة حيث الجغرافية وطبيعة الأرض في فلسطين معروفة ومدروسة جيدا على عكس
ما تم منها في شمال سورية (١)

والنقط الرئيسية التي تفيدنا في فهم المعركة وسيرها هي :

- ١ — قادش .
- ٢ — المرتفعات الواقعة جنوبي قادش .
- ٣ — شابتونا .
- ٤ — أرانامى .

قـادش :

عندما نذكر أن رمسيس أتجه شمالا محاذيا نهر الأورنت للوصول إلى قادش .
وأن هذا الاسم كان يطلق على بحيرة حمص كما ورد في تاريخ « ابو الفداء » يتضح
لنا أنه ينبغي البحث عن قادش على نهر الأورنت بالقرب من البحيرة المذكورة
وقد وصف المؤرخ أبو الفداء (القرن الرابع عشر) بحيرة قادش كما يلي :

« بحيرة قدس وهي بحيرة حمص طولها من الشمال إلى الجنوب نحو ثلث مرحلة
وسعتها طول السد الذي سنده كره ، وهي مصنوعة على نهر الأورنت فانه قد صنع
في طرف البحيرة الشمالي سد من حجر من عمارة — الأوائل وينسب إلى الاسكندر
وعلى وسط السد المذكور برجان من الحجر الأسود ، وطول السد شرقا وغربا
الف ومائتان وسبعة وثمانون ذراعا وعرضه ثمانية عشر ذراعا ونصف . وهو حابس

١ — لم نرجع في ذلك إلى الخارطات التي عملت خلال الخمس والعشرين سنة الأخيرة ،
فقد اوضحت عليها تفاصيل تلك البقعة التي دارت عليها معركة قادش والمرجع الطبوغرافى المفصل
نجمه في خارطة (Blanckenhorn)

لذلك الماء العظيم بحيث لو خرب السد لفاض الماء وخربت البحيرة وصارت نهرا وهي في أرض مستوية وهي تبعد عن حمص بعض يوم بغربها ويصاد بها السمك »

ثم يعود أبو الفداء إلى ذكر البحيرة مرة أخرى عندما يصف مجرى نهر الأورنت .

وكنيجة لكل الأبحاث التي عملت للوقوف على مكان قادش ، يمكن القول بأن قادش لابد أنها كانت على مقربة من موقع البحيرة حتى إذا كانت البحيرة قد تكونت فيما بعد . وان قادش المدينة كانت تقع على نهر إلى جنوبي البحيرة .

وإذا انتقلنا إلى الربوة المعروفة باسم « تل النبي مند » التي تقع على الضفة اليسرى لنهر الأورنت على مسيرة ساعتين شمال « ربله » ومسيرة ساعة من بحيرة قادش لوجدناها أهم الأغراض الطبيعية في تلك المنطقة ، حيث نستطيع تعيين موقع قادش . وسرى في أي المناسبات جاء ذكرها في نص المعركة .

يقول الملك رمسيس الثاني ان آخر نقطة عسكرت فيها قواته قبل وصوله إلى قادش كانت على « الربوة الواقعة إلى جنوبي قادش » ثم انه اتجه شمالا ووصل إلى جنوبي مدينة « شابتونا » ثم اتجه إلى الشمال وصل إلى الشمال الغربي من قادش . ويتفق هذا النص مع ما جاء في نص قصيدة بنتاؤر . وقد تمت كل هذه التحركات بمحاذاة نهر الأورنت وكانت آخر مراحل السير « الربوة الواقعة إلى جنوبي قادش » ومنها قصد قادش ليحارب المعركة الفاصلة على رأس قواته ، وقد تم ذلك في يوم واحد .

ولما كان من الممكن في تلك الأيام السالفة ان تكون سرعة التحركات عبارة عن خمسة عشر ميلا في اليوم تقريبا . فمن المنتظر ان تكون قادش واقعة شمال هذه الربوة بخمسة عشر ميلا .

والواقع أنه كان لموقع قادش أهمية كبرى ، فهي أهم مفترق للطرق الرئيسية الفاصلة بين السهول والجبال الشامية ومفتاح الطرق المؤدية من الداخل إلى البحر — ولتلك الأهمية تفهم الأسباب التي كانت تدفع بملوك مصر الفاتحين في العهود القديمة إلى

الاستيلاء عليها . فقد استنفذت جهود ثمانية أعوام قضائها تحوتمس الثالث محاربا أعداءه قبل استيلائه عليها — الى أن وقعت في قبضته — ثم أصبحت فيما بعد مركز الحلف السورى الذى ناصبه العداء حوالى عشرين سنة من الجهاد المستمر بين الطرفين . فلما استولى على قادش ، بعد حصار طويل ، أصبح تحوتمس سيد الموقف وقضى على مقاومة المتحالفين ضده .

وفيا بعد لما انحدر الحيشيون وأحلافهم من جنوب آسيا الصغرى ، مكتسحين كل الدويلات التى أمامهم ، كان هدفهم الاستيلاء على قادش ، لتكون قاعدة أمامية لهم وحرمان ملوك الأسرة الثامنة عشرة المصرية من الانتفاع بها — وقد تم لهم ذلك — وعرفوا مزاياها مدة طويلة — وقاوموا رمسيس الثانى فى تقدمه نحوهم فى العام الخامس من حكمه .

وقد وقفنا على موضع الربوة التى تقع جنوبى قادش فى خلال ما ذكرناه عن مكان قادش — وهذه الربوة هى « تل قوات الهرمل » أما « شابتونا » فلا بد أن تكون واقعة على نهر الأورنت بين الربوة للذكورة وقادش وقد مربها رمسيس الثانى فى ذهابه الى المعركة وهى المعروفة باسم « ربله » .

اما أرانامى فهى جنوب شابتونا — وقد مرت بها فرقة بتاح فى تقهرها الى الجنوب .

معركة قادش

تكلمنا عن أهم مراجع المعركة المصرية ، ثم حددنا أمكنة أهم بقاع السير والنقدم والتحركات . ولنستهل الحديث عن أدوار القتال وتكتيكات المعركة .

فى عام ١٢٨٩ ق . م بدأ رمسيس الثانى الحرب ضد الحيشيين فى سورية ، وكان العالم الأول عام اعداد وتجهيزت فوصل فى نهايته الى نهر ليسبوس على مدى سبعة أميال شمالى يروت . وفى يروت أو على مقربة منها أنشأ قاعدة لعملياته الحربية فى العام التالى . فلما انتهى منها قفل راجعا الى مصر مع بقية جيشه .

و حين حل الربيع النالى —العام الخامس من حكمه — خرج الى ميدان القتال فى نهاية ابريل ووصل قاعدته مجتازا فلسطين فبلغها بعد ثلاثة أسابيع ، وهنا نظم جيشه فى تشكيل القتال ، وضم حامية القاعدة الى جيشه الذى كان قد وصل الى عشرين ألف جندى مشكلين فى أربع فرق سميت حسب ترتيب السير .

فرقة آمون — فرقة رع — فرقة بتاح — فرقة سوتخ .

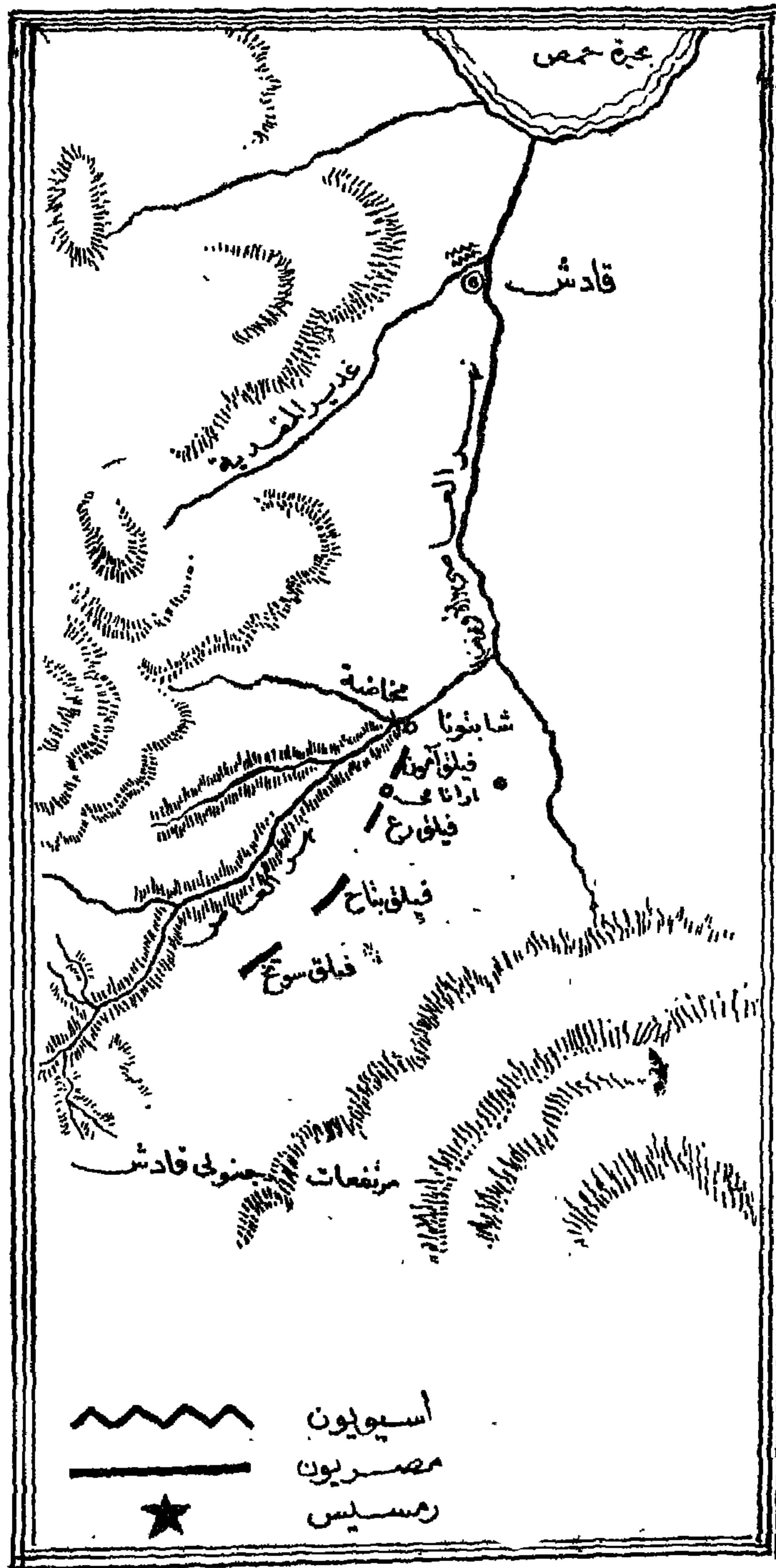
وقد وضع جنود الحامية ، الذين تزعم بعض المصادر بانهم من الجنود الجدد أو صغار السن ، فى قلب الجيش بينما كان الفرعون نفسه مع الحرس الأمامى لفرقة آمون وراكبى العربات بنسبة متساوية . وكان جنود المشاة مسلحين فى الغالبية بالحرااب والدروع بينما كان راكبو العربات مسلحين بالاقواس والسهم .

وبالرغم من ان الجيوش لم تك تعرف فى ذلك الوقت التنظيمات الخاصة بالامدادات والتموين وكان الجند يعيشون على ما فى المنطقة التى يقيمون فيها من طعام ، فان جيوش الفرعون لم تعش مالة على الأهلىن ، ولهذا فقد كان فى مؤخرة جيش الفرعون عدد كبير من الماشية والابقار والماعز .

وكانت كل فرقة من الجيش مؤلفة من جميع الأسلحة وتستطيع أن تقاتل مستقلة عن غيرها ، وكانت القوى المعنوية للجيش سامية وتنظيماته لسير الاقتراب فى درجة من الروعة ليست قليلة .

على أن قوة جيش فرعون لم تكن فى عدده وعدته ، بل كانت فى شهرة ومهارة القائد الأعلى وهو رمسيس الثانى ، الذى لم يكن قد تخطى الثلاثين بعد أن كان وصل نهاية الحقبة الثالثة من عمره ، تلك الشهرة التى جعلته فذا بين محاربى عصره . ولقد يتسنى لنا أن نقارن رمسيس الثانى بالكثير من الملوك القادة الذين نالوا انتصارات حاسمة فى فجر حياتهم كاسكندر الأكبر أو نابليون مع بعض الفارق فى نواح أخرى .

والآن يتيسر لنا أن نتجه بالحديث الى الحثيين الذين هم أصلا من آسياء الصغرى ونلقاهم فى فجر هذه الحملة يتجمعون على مقربة من حماة وكانت قاعدتهم الأمامية فى حلب



(ش ٦٩) خريطة تبين الوضع الأول لفرق الجيش المصري استعدادا لمعركة قادش

ولسنا نعرف اسم ملك الحِيثيين . . . ولكننه لا ريب كان خصما عنيدا لرمسيس ولم يك جيشه يقل عددا عن جيش رمسيس الثانى ، كما كان نصفه —على وجه التقريب— من راكبي العربات بنسبة ثلاثة من الجنود لكل عربة ، ولم يك الجيشان الاساسيان قد التقيا فى القتال فى العام السابق ، وكان كلاهما يمثلان بروح هجومية قوية .

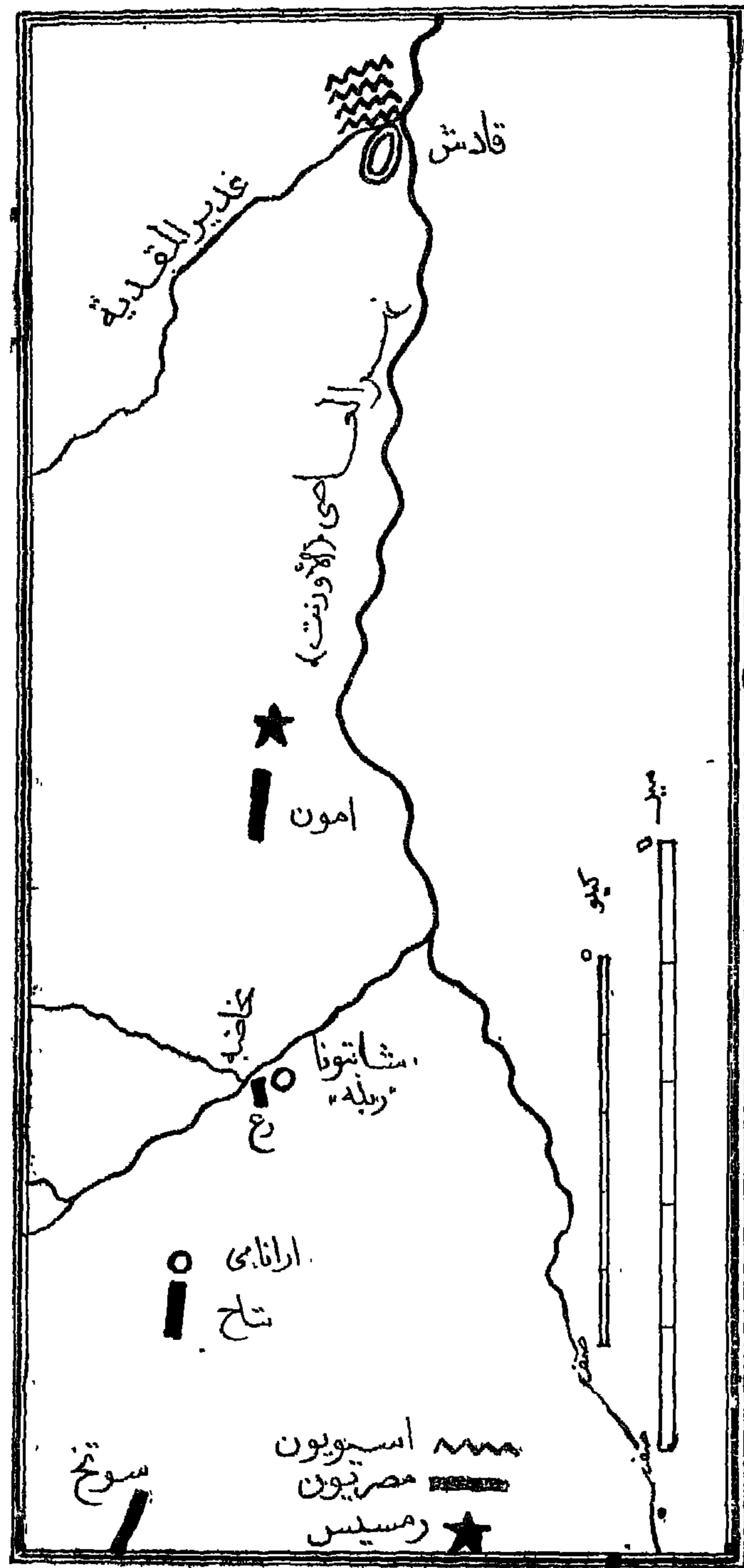
سير الاقتراب للمحاربين المتضادين

فاذا تركنا الحِيثيين فى حماة يواجهون الجنوب ، وعدنا الى مصاحبة المصريين فى الطريق التى سلكوها ، فانا نلقى رمسيس لا يتوقف الا القليل جدا فى قاعدته الامامية ، ثم يتابع السير فى خطوات سريعة ، هذه الخطوات التى بدت واضحة فى مراحل سيره الاولى منذ ترك وادى النيل متجها للشرق ، فلما عبر سلسلة الجبال بين ممر فى شرق يروت اندفع فى الوادى قاطعا طريقا من أقدم الطرق المعروفة فى التاريخ . فوصل الكرمل بعد ثلاثين يوما من مبارحة مصر .

وكان قد قطع اربعمائة ميل فى هذه الايام الثلاثين . أى بنسبة ثلاثة عشر ميلا فى اليوم الواحد ، وهى سرعة تدل على سرعة حركة تعتبر مثالية لجيش كبير نسبيا . فى ذلك العصر . وفى ذلك المكان فوق مجرى النهر عند أعلا التل ، أقام رمسيس معسكره لقضاء الليل . ولم يك قد اشتبك بعد بقوة ما من جيش الحِيثيين ، أو وصل الى علمه شىء من أنباء الاشتباك .

وكانت جميع الظروف توحى بحقيقة واحدة ، وهى أن الحِيثيين مازالوا بعيدين فى الشمال .. وكانت مدينة قادش ذات الأسوار العالية لا تزال على مسافة خمسة عشر ميلا من معسكره . وقرر رمسيس أن تكون قادش هدفه فى اليوم التالى .

واستهل جيش فرعون مسيره مبكرا مع ظهور الضوء . فلم يكن من سبيل للبقاء أكثر من ذلك لانعدام المياه فى ذلك المكان من التل . واندفع رمسيس بجنوده مسرعا نحو سفوح التلال صوب السهل عن طريق « ربله » .



(ش ٧٠) خريطة توضح الوضع الثانى لفرق الجيش المصرى وهى تقترب من قادش.
ونلاحظ فرقة آمون فى المقدمة

وقبل أن يصل رمسيس إلى تلك المدينة بلغه نبأ هام . فقد أمسك جنود
الوقاية الأمامية بتلابيب اثنين من البدو ربما كانا قد هجرا الصفوف من جيش
الحِيثيين وأوريا أن زملاءهما ، يتوقون إلى الفرار جملة والانضمام إلى المصريين .
وقال البدويان أيضا إن الحِيثيين عندما سمعوا باقتراب الفرعون توقفوا عن السير
بجوار حلب . كما أرشدا رمسيس إلى مخاضة في النهر لشمال المدينة هي أصلح طريق
لعبور جيش الفرعون .

وكانت هذه الأنباء في مجموعها كافية لأن تهب رمسيس الفكرة التي كانت قد
اختمرت في رأسه من قبل . وهي أن الحِيثيين لازالوا بعيدين .

وهكذا تابع رمسيس مسيره في ذات التشكيل ... وكل فرقة تصل المخاضة
تنتشر بالدور . الواحدة تلو الأخرى لترتوى ولتعد طعامها فيتناولها الأفراد .

فاذا رجعنا إلى الحِيثيين فانا نلقى شيئا غريبا ، فإن ملك الحِيثيين بدلا من أن
يرتد إلى حلب سار جنوبا بكل جيشه ، وكان إذ ذاك يحتمل مواقعه شرقي قادش مع
قوة غير قليلة في المدينة نفسها .

وكان الهدف الذي عناء ملك الحِيثيين هو أن يقوم بالهجوم ، وأن يدمر جيش
عدوه وكان هدف رمسيس مثله تماما ، إلا أن ترتيبات ملك الحِيثيين كانت أوفر
تنظيما لأن هذين البدويين اللذين قالوا أنهما هجرا الجيش للانضمام إلى المصريين كانا
رسولى الحِيثيين بعثوا بهما لتضليل الأعداء .

على أن الخطة كانت قد سارت شوطا أبعد من هذا . فإن الرجلين بمحدثهما
لم يعرضا رمسيس وجيشه لعامل « المفاجأة » وحده بل أنهما باغرائهما رمسيس
على اتخاذ طريق خاص لسيره — هو الطريق الذي يجري على الشاطئ الأيسر
للنهر — فإنهما كانا يمكنان الحِيثيين من الحصول إلى جانب المفاجأة على عامل
آخر هو تطبيق عامل الحشد لقوة أكبر في النقطة الحاسمة ، وهذا يمكن إدراكه
بوساطة توزيع قوات جيش المصريين وكانت الخطة بسيطة ، وكانت بساطتها من أهم

الأسباب التي تجعلها قوة مؤثرة عند تنفيذها . ولكي نستطيع أن تبين مدى قوة خطة الحثيين بارسالها هذين الرجلين لخداع رمسيس ومدى تأثيرها عندما تتم فصولها — ينبغي أن ننظر إلى التنظيمات التي قدرها ملك الحثيين في تطبيقها تبعاً لطبيعة أرض المعركة .

أرض المعركة

تقع مدينة قادش فوق التل وتحيط بها من كل الجهات تقريباً مجارى مياه طبيعية تخرج من الزاوية العمودية التي يكونها النهر ، وتبعاً لاختفاء جيش الحثيين في الجانب الآخر من المدينة فإن المصريين عندما يصلون قبالة المدينة لن يرقبوا شيئاً منه لوجود التل والمدينة فيما بين الجانبين المتضادين ، وسيكون كل قول من القولات المصرية عند عبوره المخاضة وخروجه من الغابة التي تقع على مسافة أميال قليلة في الشمال غير منظم وغير ملتئم الصفوف .

ولهذا كانت خطة الحثيين في تلك المرحلة من المعركة هي أنه عندما يكون رأس كل قول في مواجهة قادش تعبر النهر قوة كبيرة من وحدات العربات مجتازة المخاضة على مسافة ميلين جنوبى المدينة فتقطع قول المصريين في منتصفه وتطوى رأس القول ثم تشتبك بمؤخرته ، وعند خروجها من الأحراج الكثيفة الأشجار في مجموعات صغيرة ، وينبغي أن نلاحظ أن وقاية قوات الحثيين قد وضعت على أساس الاستناد إلى النهر ، وإلى أعداد نقط للرقابة في أعلا أسوار المدينة ، وكانت الخطة على بساطتها قوية رائعة ، وتبدي قوة المصيدة التي أعدت لرمسيس وجنوده ... ترى هل كان القدر يقضى أن يقع فيها ؟

اقتراب جيش مصر :

وبدأت فرق جيش مصر ترتوى وتتنبأول طعامها ، ثم تجتاز المخاضة ... وقد تم هذا دون أية حادثة ... ولا زالت القوات في تشكيلها الأول .

وكان رمسيس لا يزال يتولى القيادة في مقدمة جيشة بنفسه راكباً عربته

الحرية

وكان من الطبيعي أن كل فرقة ، تبعاً للإضطراب الذي يحدث في تنظيم الصفوف أثناء العبور ، كانت مقدمتها تتوقف عن السير عند الشاطئ البعيد لتمكن مؤخرتها من الاقتراب، وهكذا كانت توجد ثغرة من ميل إلى ميلين بين كل فرقة وأخرى ، وفقدت القوات المسافة بين بعضها البعض ثانية في خلال اجتيازها للأحراج ، ولكن بعد أن وصل رمسيس إلى الشاطئ الشمالي للنهر لم يفكر في الانتظار حتى تنضم إليه فرقة آمون ، بل تابع سيره ، ثم أن مدينة قادش كانت قد بدت على
سمى سهم ١١

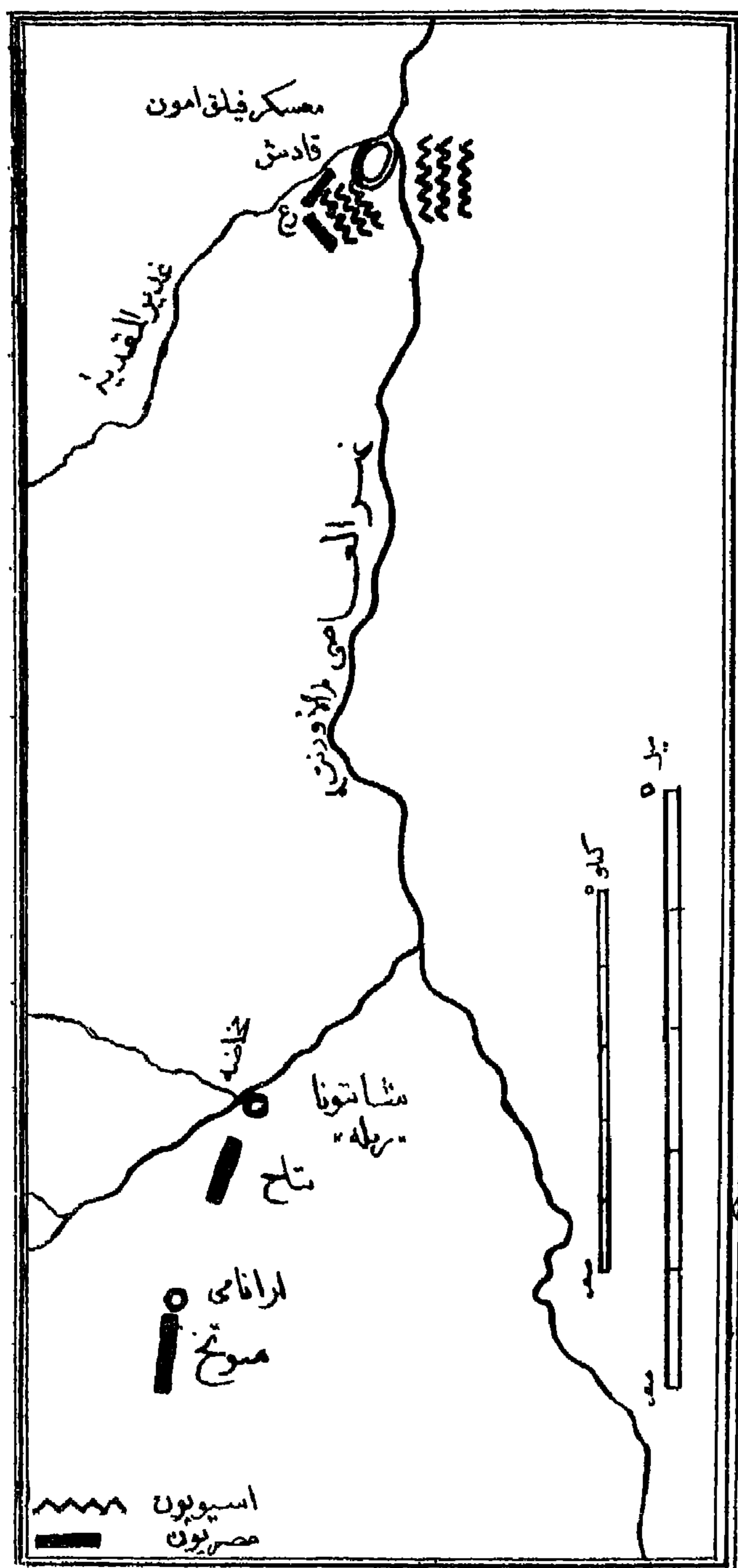
ووصلت مقدمة فرقة آمون إلى المكان المختار للمعسكر في المساء المبكر ، فكان هذا إيذاناً بأن الجيش قد أكمل مسيرة خمسة عشر ميلاً في أرض وعرة وفي يوم واحد وهذا نجاح منقطع للنظير .

ونجأة لاح في أعلا جدران المدينة جماعات من الجنود المسلحين ، ولهذا بعث رمسيس بدورياته وأقيمت زريبة من الدروع القوية حول المعسكر وحطت فرقة آمون رحالها .

وقد أقيم المعسكر على مسافة ميل تقريباً غربى المدينة وثمانية أميال شمال المخاضة . وتقدم لنا المعلومات التي وصلتنا صورة طيبة لمعسكرات الإقامة ، وهذه الصورة توضح لنا أن أصول الحرب لم تتغير ولن تتغير منها إلا وسائل وأساليب تطبيق هذه الأصول بل ولا شك أن أصول استخدام العرب والعرباء لا يمكن أن تتغير ، فإن العربات تجمع بعضها البعض .

وتوقفت الخيول في صفوف متراصة على مقربة من العربات ، فإذا كان أحد الرجال مشغولاً بإعداد العلف للخيول ، فإن آخر يكون يقوم يسقيهم بينما يكون ثالث الرجال لكل عربة جالساً يتناول غذاءه .

على أن هذه الصورة صالحة لحياة السلم في معسكر للإقامة بعيداً عن العدو ولم يكن هناك من سبب يدعو لتعديل هذه الصورة . أليس جيش العدو وقد توقف عن السير عند حلب عندما وصل إلى الجيشين نبأ سير رمسيس . إذن فقيم الخوف ؟



(ش ٧١) خريطة تبين الوضع الثالث لفرق الجيش المصري وفرق الحيثيين أمام قادش

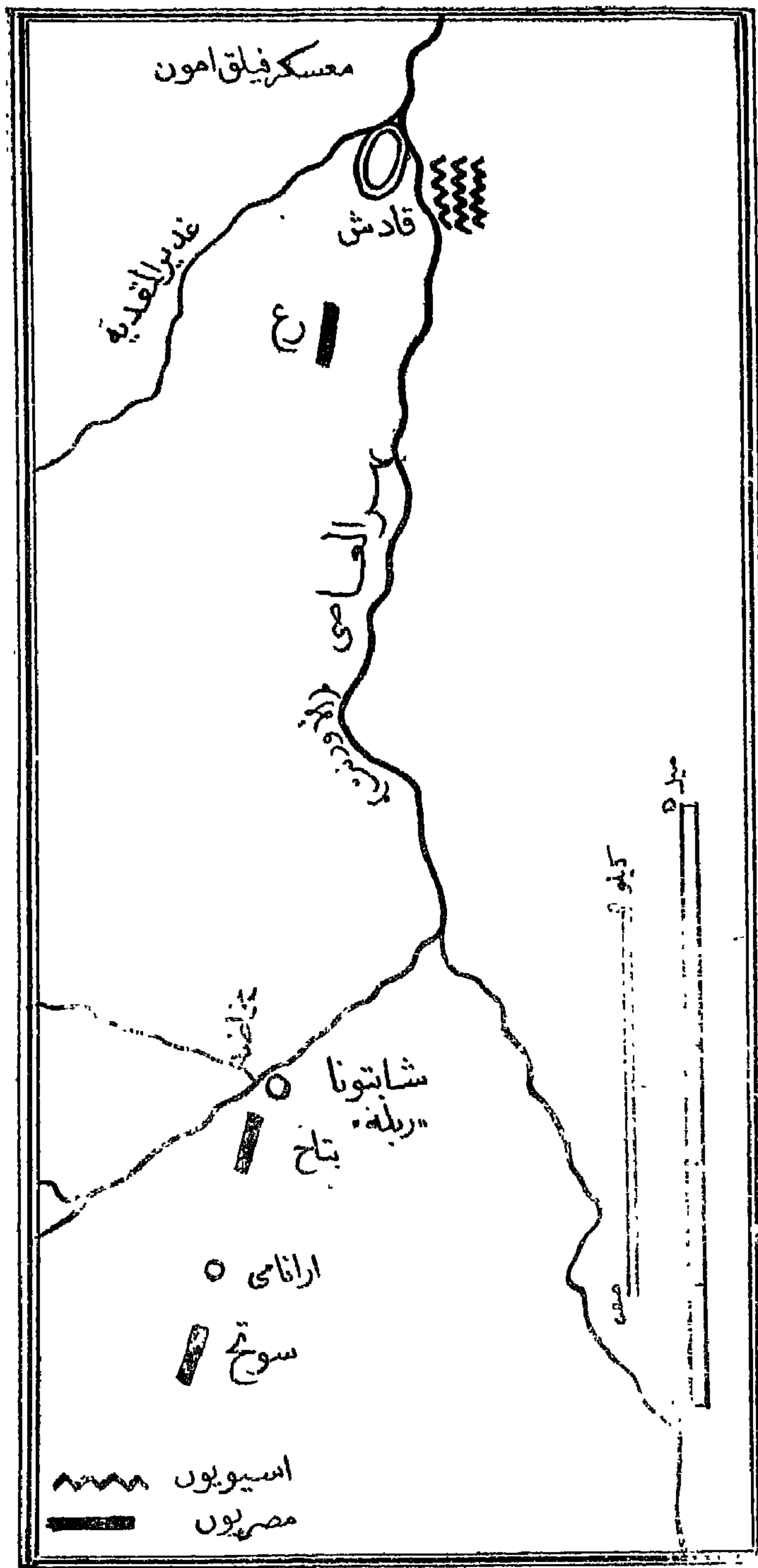
ونجاة اضطرب الجو .. فقد جاءت إحدى الدوريات باثنين من جنود استطلاع العدو أمسكت بها على مقربة من جدران المدينة وقد رفض الرجلان أن يتكلما حتى جلدا ، وإذ ذاك قالاً بأن جيش الحيثيين ليس بعيدا كما كان رمسيس يؤكد بنفسه بل إن العدو في الجانب الآخر من المدينة ، وكانت دهشة رمسيس بالغة وكانت ثورة غضبه كبيرة ، فقد التفت إلى أركانى الحرب مؤنبا إياهم على سوء ترتيباتهم لتسقط أنباء العدو ولكن ماذا يفيد اللوم والتأنيب والأنباء السيئة تيجي في أثر بعضها البعض ؟

على أننا قبل أن نمضى بعيدا في الحديث عن المعركة ، فن الضروري أن ندرس موقف الجيشين المتضادين ، هذه الدراسة التي نجدها واضحة في الرسوم التي تصحب هذا الفصل .

ففي أحد هذه الرسوم يبدو لنا الموقف الحرج الذي كان فيه جيش الفرعون ممتدا لمسافة ثمانية أميال بفواصل فسيحة بين فرقته ، بينما كان جيش الحيثيين متجمعا محتشدا متأهبا لتوجيه ضربته لجيش الفرعون .

وقد نظم ملك الحيثيين ضربته في ترتيب زمني جيد ، والحشد يمكن من التوقيت الزمني الجيد دون مرأى ، سيما إذا قدرنا أن تطبيق مبدأ الحشد في صورة طيبة إنما معناه الحشد في المكان والوقت الصحيحين .

ووجه ملك الحيثيين ٢٥٠٠ من راكبي العربات و ٧٥٠٠ من المشاة تجاه المخاضة بعيدا عن نظر المصريين ، وعبرت النهر هذه القوة الكبيرة واندفعت نحو الجانب المعرض لفرقة رع ، ولم يكن المصريون قد فكروا في حراسة جنهم ، ثم أن هذا الاندفاع العنيف جاء مفاجأة بدرجة كبيرة واستطاعت العربات أن تقسم فرقة « رع » من منتصفها وأن تدور الموجات التالية حول أجناب القسمين المتوزعين وأن يقوم المشاة بهجوم اقتحامى قوى ، وفي ذلك الوقت استطاع ضابط مصرى من فرقة « رع » أن يشق طريقه وسط عربات الحيثيين وأن يصل إلى معسكر رمسيس حاملا اليهم النبأ السيء بأن لهزيمة تدب في صفوف جيشه !!



(ش) خريطة تبين الوضع الرابع لفرق الجيش المصري و فرق الحيثيين أمام قadesh

نشاهد الآن صورة فذة لمجوم القوات المدرعة وهي تفاجئ قوات في تشكيل السير لم تأخذ أهبتها للقتال على أن الضربة على شدتها وعنفها لم تمزق أكثر من شرايين قليلة في جسم جيش مصر .

وهنا حانت الفرصة ليظهر رمسيس معدنه الصلب وتحكمه في أعصابه وتفكيره في اللحظات الحرجة كقائد مدرب له قدم موطدة في الصراع ، و انتهى رمسيس بسرعة من دراسة موقفه ، ولم يكن أمامه غير خطوتين اثنتين يتعين عليه أن يخطوهما سريعا .
الخطوة الأولى أن يزيد من سرعة سير فرقته الآخرين ، وهذا أمر و كله إلى وزيره أي (رئيس أركان حرب)

والثانية ، أن ينظم هجوما مضادا بفرقة آمون ، الأمر الذي قدره وقرر أن يتولاه بنفسه واندفع رمسيس من خيمته فامتطى عربته التي كانت معدة بعد أن بعث الانذار في جنبات المعسكر ايدانا بهجوم العدو فربطت الجياد إلى العربات وأسرع الجنود إلى أسلحتهم ، ولكن في تلك اللحظة زاد الاضطراب والجزع اللذان كانا يبدوان بجلاء في وسط المعسكر بوصول بعض جنود فرقة « رع » الذين كانوا قد اطلقوا سيقانهم للريح نحو المعسكر للككاك من المذبحة التي يقوم بها الحيشيون ، وقد اندفع هؤلاء وسط المعسكر يتبعهم الحيشيون الذين تعقبوهم مندفعين في موجات متتابعة وسط جنود رمسيس ، وتزاحمت عربات الحيشين تحيط بمعسكر المصريين . وبالرغم من انهماك الكثير من الانشاة للدفاع ولدفع هجوم الحيشين جانبا إلا ان ضغط هجوم الآسيويين كان كبيرا وبدأ رمسيس أن لا فائدة من البقاء لأمد أطول من هذا ، فجمع ما تبقى من فرقة آمون واتجه للشمال .

وسقط المعسكر غنيمة باردة في يد الحيشين ، وهنا أضاع الآسيويون الفرصة التي سنحت لهم وما كانت لتسرح لولا عامل المفاجأة والحشد اللذين فقدهما رمسيس في اول جولة نتيجة ضعف تنظيات مخبراته ، فإن هؤلاء بدلا من ان يتأهبوا



(ش ٧٣) منظر من معركة قادش بعد ماضل ومسيس الثاني بأبناء زائفة فكان أن عزله مركبات للمدو عن
قواته ولكن استنطاق وحده أن ملحقه، الهزيمة بأعدائه، فسقط حاربوهم وقتلت جيادهم (معيد أبو جميل)

لمطاردة المصريين المرتدين في صحبة الفرعون ، انصرفوا إلى نهب المعسكر واستطاع
رمسيس أن يعيد تنظيم فرقتي آمون ورع وأن يعاود الهجوم بها لقتال الحثيين .

ويتعذر الاعتماد على المراجع التي وصلت إلى أيدينا وقد لا يكون هذا غريبا
لأن القتال على ما يبدو كان مضطربا ، وهو لا يزيد على هجمات مضادة متتالية عنيفة
قطعت ثلاث ساعات طويلة من ذلك اليوم .

وفي أثناء هذا ألقى ملك الحثيين بألف من العربات للمعاونة في القتال ولكنه
هو نفسه لم يعبر النهر ولم يبعث بأي جديد من مشانته للقتال .

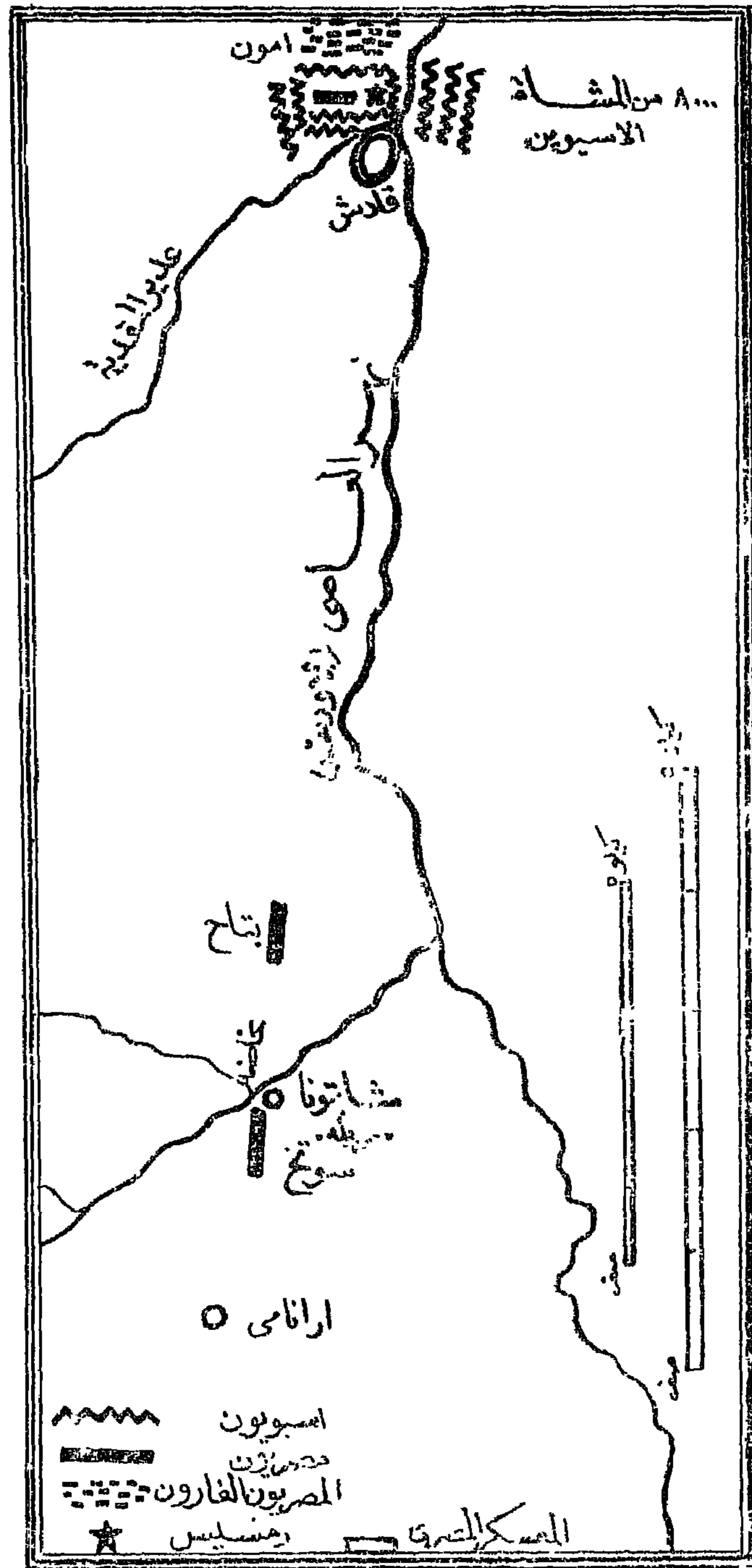
ولكن ماذا كان يحدث في الجنوب إذ ذاك ؟

كان وزير فرعون قد بعث ، عندما تلقى تعليمات رمسيس وأوامره ، جنديا
لينقل الأوامر إلى الفرقتين اللتين تهيئان في المؤخرة للإسراع لنجدة فرعون ،
ويلوح أن الوزير أجمع أمره على أن الأصلح أن يذهب هو بنفسه واندفع بعربته
في أعقاب رسوله ، بعيدا عن ميدان المعركة .

ولقي في طريقه جماعة كبيرة من جنود القاعدة عند طرف الأحراج فوجههم لمهاجمة
الحيثيين الذين يحتلون المعسكر من الغرب ، ثم فكر في أن يندفع نحو فرقة « بتاح »
ليقود جندها بنفسه لمهاجمة المعسكر من الجنوب في هجوم أمامي .

وكانت فرقة « سوتسخ » لا تزال بعيدة في الجنوب وعلى مسافة لا تمكنها من
الاشتراك في القتال في ذلك اليوم ، وقد اتجه جنود القاعدة كما أمرهم الوزير الذي
تابع طريقه للبحث عن فرقة « بتاح » فوجدها . وبدأ سيره في الاتجاه الجديد يقود
بنفسه فرقة كاملة لنجدة فرعون .

ونتيجة لهذا كانت عربات الحثيين تاتي الأمرين ، فرمسيس يقاتل بنفسه
وبجنوده قادمين من الشمال ، بينما يتقدم الجنود الجدد من الغرب متجهين إلى الشرق
بقوة وعنفة ، فهم لم يشهدوا القتال بعد ولم يقابلوا الحثيين من قبل ، فهم لا يقدر عليهم



(ش ٧٤) خريطة تبين الوضع الخامس لمعركة قادش حينما اصطدمت فرقته
آمون ورع بقوات الحيثيين التي أحاطت برميسيس

بأكثر مما يمكن أن يقدرُوا أيا من خصوم رمسيس الذين اعتاد أبائهم من قبل الانتصار عليهم . وفي أثناء هذا جاء هجوم جديد من الجنوب بفرقة كاملة يتولى قيادتها وزير رمسيس ورئيس هيئة أركان حربه .

وتلفت الحيثيون حولهم للبحث عن مدد ، بيد أن شيئاً لم يبد في الأفق . فان مشاة الحيثيين بقوا في مكانهم في الجانب الآخر من النهر وفي المدينة ولم يغم ملك الحيثيين بأية محاولة جدية لمعاونة قواته الخفيفة على ما يظهر من المراجع التي وصلت إلى أيدينا ، وإن كان بعض الناس يقولون أن ملك الحيثيين قد حاول عبور النهر على رأس قوة كبيرة إلا أنه قد غرق لأن المراجع المصرية القديمة تذكر أن جثته انتشلت من مياه النهر بسحب قدميه . ولهذا أمكن التعرف عليه من درعه وثيابه^(١) وتعذر الموقف وتبادلت كفتا الميزان ولم يعد أمام الحيثيين من راكبي العربات إلا أن يستشعروا طعم الهزيمة فداروا على أعقابهم واسرعوا للفكاك من قبضة المصريين . وكان الاندفاع نحو المخاضة غريباً فكل فرد يعمل على أن يسبق زميله لينجو . وارتطمت الجياد والعربات ، وبات التزاحم عند المخاضة أخطر من حراب المصريين الذين تابعوا المطاردة بعنف وهم يقذفون الحيثيين بغللة كثيفة من السهام .

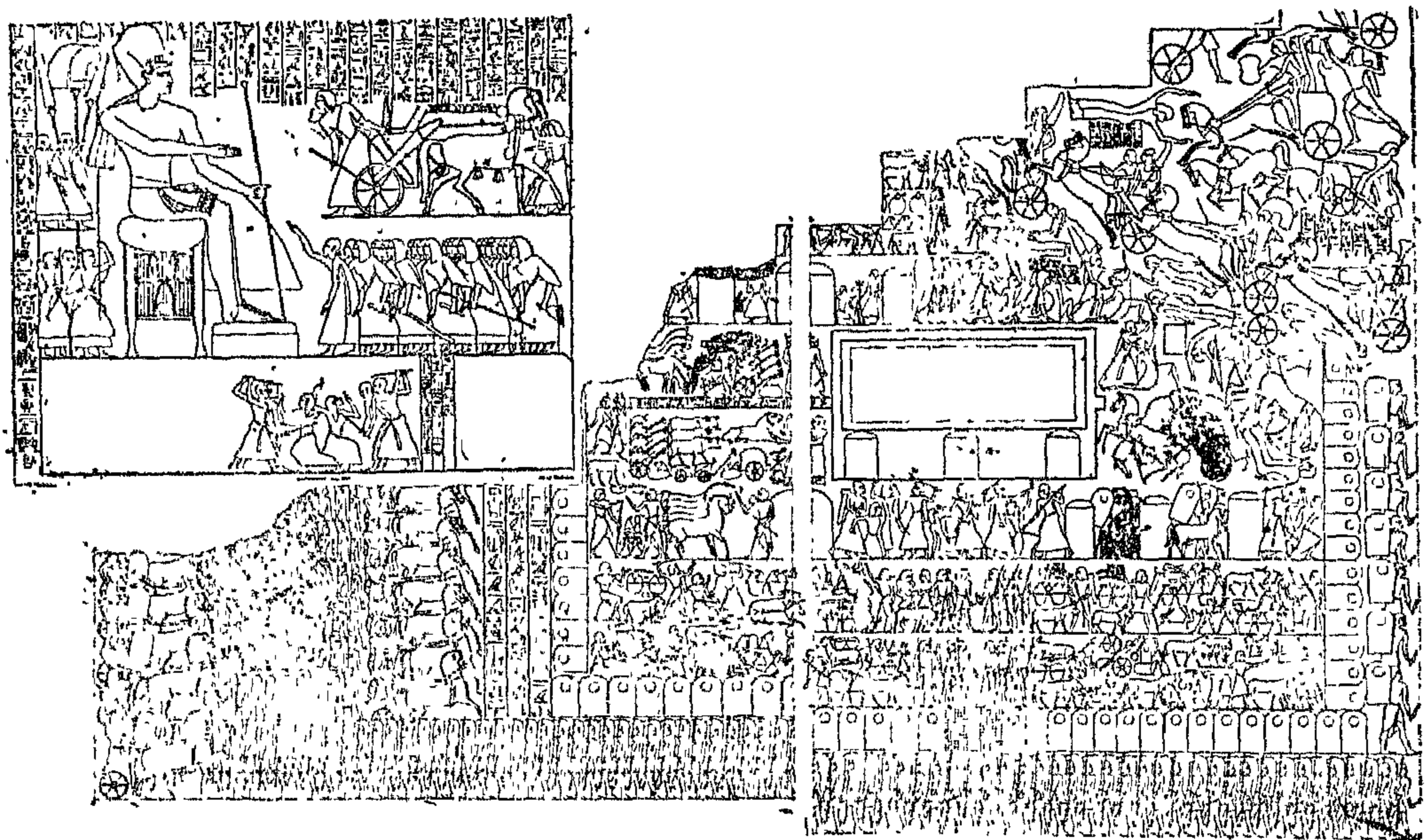
وانتهت المعركة ...

ولم يبق على الضفة الآسيوية (الغربية) أسير واحد ... وبات الفرعون سيد ميدان القتال بلا منازع .

نظرة الى المعركة :

ولكن لماذا لم يدفع ملك الحيثيين مشاته للقتال ؟ كثير هو ما يمكن أن نفكر فيه عند محاولة التعليق على المعركة ... بيد أن شيئاً واحداً هو هذا السؤال الذي قدمنا به الحديث يسيطر على رأس الباحث فلا يمكنه من التفكير في شيء آخر .

١ — نقلنا هذا الوصف من كتاب لـكولونيل بيرن عن الحروب البرية .



(ش ٧٥) مناظر في المعسكر استعدادا لمعركة قادش على الباب الأول في معبد الرمسيوم (طبعة)
 وإلى اليسار يرى رمسيس الثاني جالسا على عرشه والجنود يقدمون له الولاء .

يبدو ان ملك الحيثيين قد فشل في إدراك عاملى « التعاون والحشد » وكان فشله في المزج بين هذين العاملين هو المؤثر الأول في اخفاق إدراكه من اصول الحرب الأخرى .

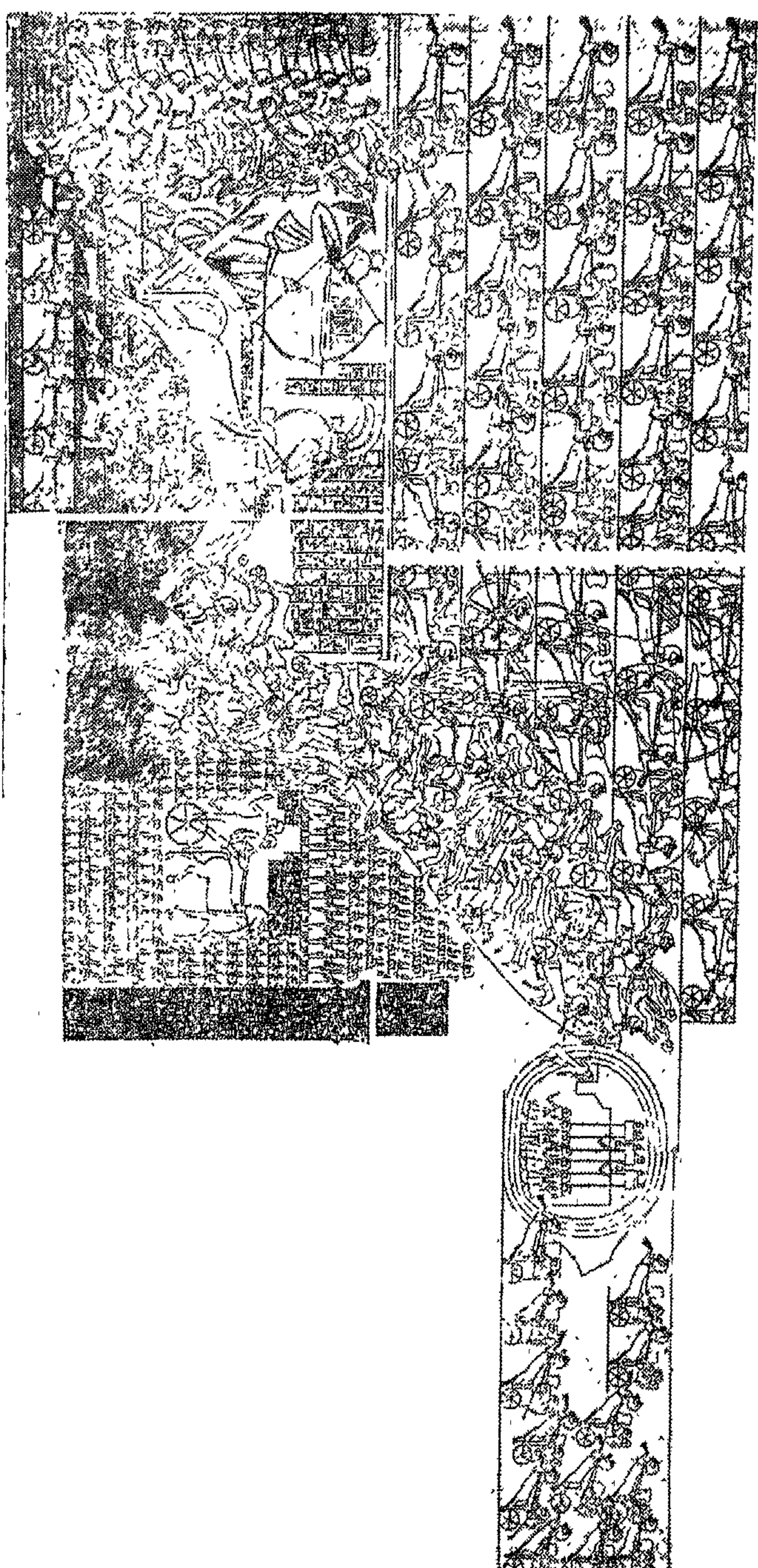
ولو كان ملك الحيثيين قد تابع النجاح الذى استحوذ عليه في المرحلة الأولى للمعركة بأن دفع كل عرباته للقتال وسار في اعقابها بكل مشاته إما عن طريق المحاصرة ذاتها أو بالدوران من الشمال للمدينة لحصل بلا شك على نصر حاسم .

على ان السبب الحقيقى لفشل ملك الحيثيين يمكن ان يكون نفسياً أكثر من أى شىء آخر ، فقد كان موفور القوة الذهنية وكان من هذه الناحية يضمن افضلية ساحقة على الفرعون ولكنه كان يحس في قرارة نفسه بأنه اضعف من خصمه ... ولهذا لم تتوفر فيه الجرأة في تنفيذ خطته الحكيمة ..

ومن جهة أخرى نلقى الفرعون ووزيره يهملان في بداية المعركة أصول الحرب من الوقاية إلى الحشد .. إلى الاقتصاد في القوى ، ولكنه لم يلبث أن استعاد السيطرة على كل هذه الأصول نتيجة لفشل ملك الحيثيين في الاحتفاظ بها .

والواقع أن رمسيس الثانى كان صورة فذة وسط خصومه ، وقد بقى الساعة بعد الأخرى يقاتل ضد قوات تزيد عددا عن جنوده ، منقطعا عن بقية جيشه لا يستطيع حتى الاتصال بفرقتيه اللتين لا تزال قوتيهما كاملة ، ولكن كانت ثقته برئيس هيئة أركان حربيه كبيرة ... وكان يعرف أنه لن يخذله .. وهكذا استطاع الرجلان نتيجة تعاونهما معا أن يقلبا الهزيمة إلى نصر حاسم .

على أن المعركة في الواقع بالرغم من أنها كانت صورة رائعة لفن القتال إلا أنها كانت أبعد من أن تكون حاسمة من ناحية النتائج . فإن مشاة الحيثيين كانوا لا يزالون في قوة كاملة . وكان من الممكن أن يقاتلوا في أكثر من معركة ، ثم أن الحيثيين كان لا يزال لديهم بعض العربات تهيأ لجنودها أن يقاتلوا في سلسلة من المعارك للارتداد شمالا أو لانتظار امدادات أخرى من الشمال .



(ش ٧٦) بعض مناظر معركة قادش منقوشة على الباب الأول في الرمسيوم وإلى اليسار يشاهد رمسيس الثاني ممطياً عربته الحربية وهو يقاتل الأعداء .

ولم يكن في استطاعة رمسيس كذلك أن يقاتل بقوة نظرا لخسائره الجسيمة، علاوة على أن تأثير المعركة في نفسه كان كبيرا . وذلك لم يكن مشار غرابة أن يقبل رمسيس الصلح وأن يعود بجيشه إلى مصر .

ولكن مع هذا فإن المعركة تبين بدرجة كبيرة أن أصول الحرب ثابتة ، وأن الذي يتغير وحده هو تطبيق هذه الأصول .

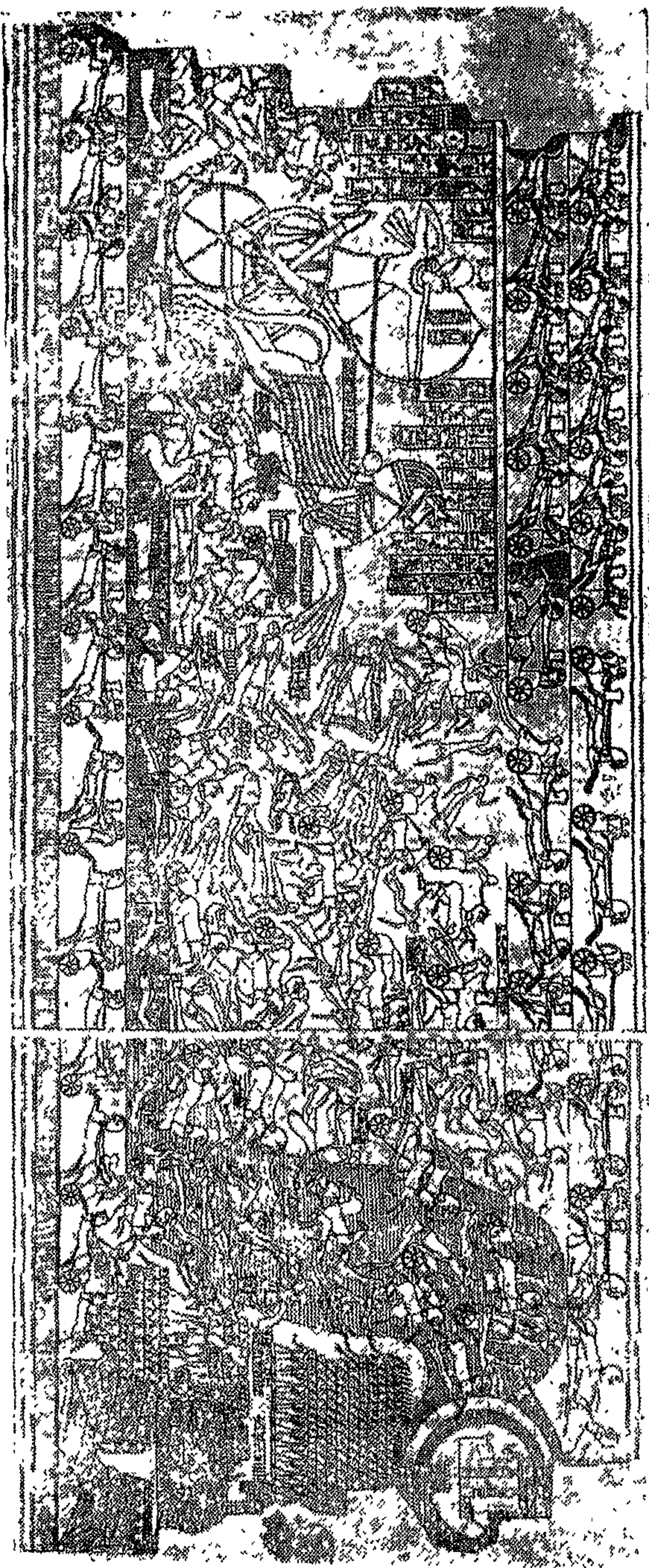
وانتهى القتال بأن وقع الفريقان المتحاربان معاهدة صلح حوالى عام (١٢٧٢) قبل الميلاد .

المعاهدة بين مصر وخيتا^(١)

ذكر الأستاذ برستد أنه في السنة الحادية والعشرين من حكم رمسيس الثانى (أى حوالى سنة ١٢٧٢ ق.م) وصلت رسل « خيتا صار » ملك خيتا إلى القصر الفرعونى وكان وقتئذ بالدلتا ولا بد أن تكون الحكومتان المصرية والحيثية اتفقتا سابقا على صورة معاهدة بمساعدة ممثليهما لأن الآثار دلت على أن الرسل لم يرسلوا وقتئذ إلا للموافقة النهائية على المعاهدة وقد نقشت هذه المعاهدة على لوح فضى وتشمل ثمانى عشرة مادة رسم فى أعلاها المعبودة (سوتخ) محتضنة ملك الحيثيين وبجوارها المعبودة عينها محتضنة ملكة الحيثيين المدعوة (بوتوخيا زوج خيتا صار) وبجوار هذه الرسوم وضعت أختام (سوتخ) معبودة الحيثيين و (رع) و (رمسيس) و (خيتا صار) ويرجع أن ملك الحيثيين احتفظ بنسخة أخرى من هذه المعاهدة .

وتعتبر هذه أقدم معاهدة دولية معروفة وفيها يلى ترجمة ديباجتها وملخص موادها :

(١) برستد وترجمة الدكتور حسن كمال : تاريخ مصر القديمة ، القاهرة



(ش ٧٧) منظر من القتال الدائر في إحدى مراحل معركة قادش على الباب الثاني في معبد الرمسوم
ويعاهد رمسيس الثاني في عربته الحربية يتوسط قتلى الأعداء

١ — الديباجة :

معاهدة منقوشة على لوح فضى بين ملك الحيثيين (خيتا صار) الشجاع بن (ميراسار ملك الحيثيين الشجاع بن (سبل) ملك الحيثيين الشجاع فريقاً أول ورمسيس الثانى الملقب (أسره رع استيزع) حاكم مصر الأعظم الشجاع بن (سيق) الأول حاكم مصر الأعظم ابن رمسيس الأول حاكم مصر الأعظم الشجاع (فريق ثان) .

هذه المعاهدة الطيبة دوت لحفظ السلام والأخاء واستتباب السكينة بين الطرفين إلى الأزل .

٢ — العلاقات السابقة بين الأمتين :

كانت العلاقة منذ بالأزل بين ملك مصر وملك الحيثيين ودية مانعة للمشاحنات . وموطدة للمعاهدة ثم أتى أخى (مثلا) فخارب (رمسيس الثانى) ، بعد ذلك أتى دور (خيتا صار) فأراد توطيد السلام بين الأمتين مانعاً بذلك الحروب إلى الأبد مستعيناً بالمعبودين (رع) معبود المصريين و (سوتخ) معبود الحيثيين .

٣ — المعاهدة الجديدة :

ومنذ اليوم أصبح (خيتا صار) ملك الحيثيين فى صفاء وأخاء مع (رمسيس الثانى) ملك مصر ، وستكون ذرية ملك الحيثيين الأعظم فى أخاء وصفاء مع ذرية (رمسيس الثانى) ملك مصر وستكون كذلك مملكة الحيثيين فى أخاء وصفاء مع المملكة المصرية .

٤ — عدم الاعتداء :

تبطل الحروب بين الفريقين إلى الأبد ويتعهد ملك الحيثيين ألا يغزو الأراضى المصرية للاستيلاء على شىء منها ويتعهد رمسيس الثانى ألا يغزو مملكة الحيثيين للاستيلاء على شىء منها .

٥ — الاعتراف بالمعاهدات السابقة :

يتعهد ملك الحيثيين الحالى بمراعاة نصوص المعاهدتين اللتين أبرمها أبوه وجده من قبل ويتعهد رمسيس الثانى بأن يراعى أيضا المعاهدتين المذكورتين منذ اليوم

٦ — التعهد الدفاعى :

إذا هاجم عدو المملكة المصرية واستنجد (رمسيس الثانى) بملك الحيثيين، فعلى هذا الأخير أن يأتى بنفسه ويشترك فى صد العدو وإذا، لم يرغب ملك الحيثيين فى الحضور فعليه أن يرسل قواته الحربية من مشاة وعجلات لقتال مهاجم مصر .

وإذا شقت مستعمرة مصرية عصا الطاعة على ملك مصر وأراد هذا الأخير أن يعاقبها ويخضعها، فعلى ملك الحيثيين أن يساعد ملك مصر على ذلك .

وإذا هاجم عدو مملكة الحيثيين واستنجد ملك الحيثيين بملك مصر فعلى هذا الأخير أن يأتى بنفسه ليشترك فى صد العدو . وإذا لم يرغب ملك مصر فى الحضور فعليه أن يرسل قواته الحربية من مشاة وعجلات لقتال مهاجم الحيثيين ، وإذا شقت مستعمرة حيثية عصا الطاعة على ملك الحيثيين وأراد هذا الأخير عقابها واخضاعها فعلى ملك مصر أن يساعد ملك الحيثيين فى ذلك .

٧ — معاملة الهاربين السياسيين المصريين :

إذا هبط مصرى رفيع المقام أرض الحيثيين وكان هارباً سياسياً فينتحتم على ملك الحيثيين ألا يأويه فى مملكته بل يرسله الى فرعون مصر رمسيس الثانى .

٨ — معاملة المهاجرين المصريين :

إذا هاجر مصرى أو مصريان من طبقة الشعب المجهولة (أى الوضيعة) الى مملكة الحيثيين ليعاملوا معاملة رعايا الدول الأجنبية فان مثل هؤلاء لا يصرح لهم بالبقاء بالأراضى الحيثية بل يرسلون الى رمسيس الثانى حاكم مصر الأعظم .

٩ — معاملة الهاريين السياسيين الحيثيين:

إذا هبط حيثى رفيع المقام الأراضى المصرية وكان هاربا سياسيا فيتحتّم على ملك مصر ألا يأويه فى مملكته بل يرسله الى ملك الحيثيين .

١٠ — معاملة المهاجرين الحيثيين :

إذا هاجر حيثى أو حيثيان أو ثلاثة من طبقة الشعب المجهولة (أى الوضيعة) الى المملكة المصرية ليعاملوا معاملة رعايا الدول الأجنبية، فان ملك مصر لا يسمح لهم بالبقاء بالمملكة المصرية بل يعيدهم الى حاكم الحيثيين الأعظم .

ويلى ذلك ملحق يحض على استعمال الرأفة فى معاملة هؤلاء الأشخاص والاستشهاد بألف معبود ومعبودة من مملكة الحيثيين و ألف معبود ومعبودة من مملكة مصر لهذه المعاهدة ، وقد علمنا منها عدة معبودات حيثية ومحل عبادتها، وتنتهى المعاهدة بسب اللعنات على كل من يخالف شروطها ويطلب الرحمة والسلام لكل من يحترمها . والظاهر أن الملاحظة الأخيرة صيغت فى آخر الأمر، وقد أمر رمسيس بنقش صورتين من هذه المعاهدة بسرعة على جدران معبدتين له بطيبة قدم لها بوصف وصول رسل ملك الحيثيين ، وأورد بعد ذلك رسم للعبودات والأشخاص الوارد ذكرهم فى اللوح المذكور .

ولم يرد بهذه المعاهدة بيان حدود المملكتين المصرية والحيثية ، ولكن يرجح أنها حددت فى معاهدة سابقة ، ومن الصعب وصف هذه الحدود بالضبط (١)

ومنذ ذلك الوقت انتهت الحرب وخيم السلام على المملكتين ، فوقف رمسيس الثانى بآسيا عند حده . والظاهر أن شروط المعاهدة جاءت فى مصلحة الفريقين كثيرا لأنه بعد ابرامها بثلاث عشرة سنة (حوالى سنة ١٢٥٩ ق . م) زار ملك الحيثيين

(١) عثر الأثرى وينكر على نسخة مبدئية لهذه المعاهدة منقوشة بالخط المسبارى على قالب لبن فى بوغاز كوى بآسيا الصغرى .



(ش ٧٨) القتال في إحدى مراحل حصار قاذش أثناء احتدام المعركة (عن معبد الأقصر)

مصر وحضر الاحتفال بزفاف كريمنه الكبرى الى رمسيس الثاني . ودلتنا الآثار على أن مجيء ملك الحيثيين اقتضى اقامة احتفال عظيم في القصر الملكي تقدمته كريمنه جلالته متبرعة بالهدايا الجزيلة ثم جلالة خيتا صار نفسه ثم ملك كوت . واختلط وقتئذ حرس الحيثيين بالجنود المصرية بعد ما كانوا ألد الأعداء ثم سميت الأميرة الحيثية باسم مصرى هو (معات نفوروع) أى الناظرة محاسن الشمس . واحتلت مكانا مبجلا بالقصر الملكي (١) على أن رمسيس الثاني لم يفصل في المعركة نهائيا ، إذ ترك قادش دون اسقاطها ، فكان ذلك ماثرا للتحرش فيما بعد .

جبهة النوبة :

بعد أن وطد رمسيس الثاني صلاته مع الآسيويين وتخلص نهائيا من مشاغلة الشرق ، تطلع إلى توطيد نفوذه في الجنوب والغرب حيث كان النوبيون والليبيون يواصلون الشغب والثورات .

ولم نجد على الآثار ما يهدينا إلى التواريخ التى قام فيها رمسيس بحملاته في الجنوب ، على أننا نعرف أن النوبيين قاموا بثورة في السنة الثانية من حكمه فأخضعها في وقتها ، ثم جددوا هذه الثورة عقب صلحه مع الحيثيين ، فأخذ إليهم جنده ، فاضطروا إلى الخضوع والتسليم .

وعلى جدران معبد « الدر » ومعبد « بيت الوالى » نشاهد نقوشا تمثل الملك عقب انتصاره على أهل النوبة وبلاد كوش وأمامه أمير تلك الأصفاع يقدم له الأسرى السود ومقدارا كبيرا من الهدايا .

ويظهر لنا رمسيس الثاني في تلك اللوحة يقود المعركة الرئيسية راكبا عجلته الحربية ، وقد ظهر معه أسده الأليف المسمى « سمام خفتوف » أى الذى يقطع الأعداء إربا .

(١) سليم حسن : مصر القديمة ، القاهرة . أنظر أيضا :

Erman : Aegyptens, pp. 696 — 701

Muller : Asien und Europa, pp. 215

Maspero : Struggle of Nations, pp. 390 — 398

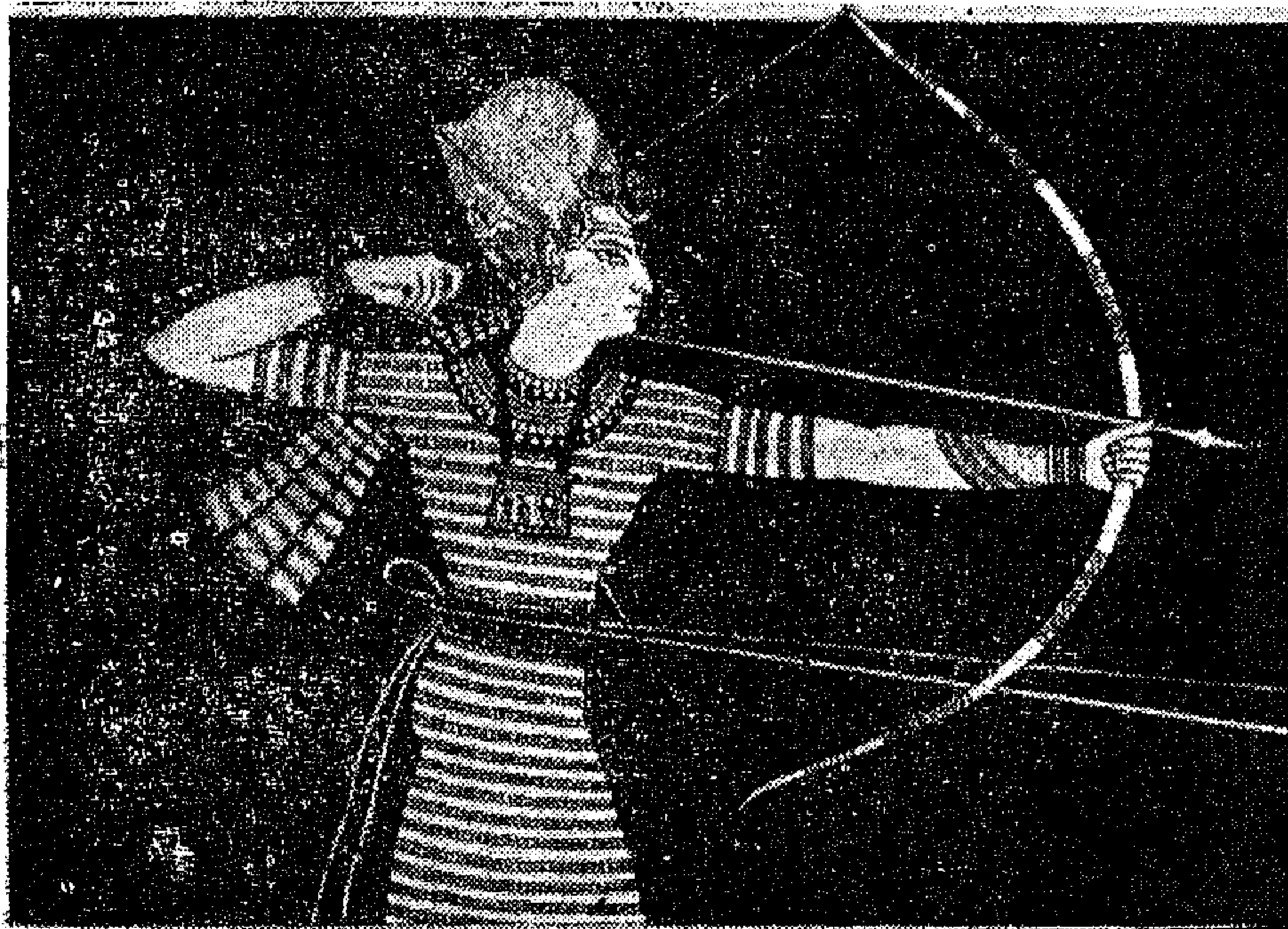


(ش ٧٩) مناظر عامة ومنوعة لتدريب الجيش على القتال استعدادا لمرحلة قادش
منقوشة على جدران معبد أبي مبل (عن شامبوليون ومقتبسة من برستد)

جبهة الصحراء الليبية :

عقب وفاة رمسيس ، تجددت الفتن في ممتلكات مصر ، فاتحد أهالي جزر البحر المتوسط مع الليبيين للهجوم على مصر ، وساعدتهم خيتا في غزوات شنوها في غرب الدلتا . بيد ان الملك منفتح قمع تلك الثورة . وكان الليبيون (التخنو) يواصلون الضغط على غرب الدلتا بمساعدة أهل البحر ، واستطاع منفتح رد هجومهم وكسر شوكتهم كما سرى فيما بعد .

إن مصر القديمة معلمة العالم ، وأبناؤها أحق بنى البشر في الافادة مما ابتدعته في العلوم والفنون وقيادة الجيوش ، ولولا هذا التفرق لشيدت تلك الامبراطورية العظيمة ...



(ش ٨٠) لوحة للملك رمسيس الثالث وهو يصوب سهمه
(عن شامبليون بديس دافن)

منفتاح ورمسيس الثالث

أتبعت الامبراطورية المصرية سياسة الدفاع ، وكان الأهالى يتربصون بأعمال قواد تحتمس الثالث ويمتدحونها رغبة فى الاحتفاظ بالروح الوطنية . ثم انتشرت الفوضى والنزاعات عند حدود مصر ، وأخذ سكان البحر الأبيض المتوسط يزحفون على شواطئ شمال مصر للنهب والاستيطان ، ثم اتحدوا مع الليبيين وأهالى آسيا فضغطوا على حدود الامبراطورية المصرية .

كان منفتاح ، وهو الملك الذى جاء فى أعقاب رمسيس الثانى مسنا . فلاندهش أن نرى الليبيين وسكان البحر الأبيض المتوسط يزحفون كالسيل على مصر من جهة الغرب دون أن يلقوا أية مقاومة . وبقيت علاقة منفتاح مع الحيثيين ودية . والفضل فى ذلك يرجع للمعاهدة التى عقدت بين الدولتين ، لكن هذا الود لم يدم طويلاً فى نهاية السنة الثانية من حكمه نقض ما اعترف به والده فى معاهدة الحيثيين إذ تحقق له أنهم أخذوا يساعدون أهالى البحر المتوسط من «ليبيين» و«دردانيين» وهم الذين اتحدوا مع الليبيين فى غاراتهم على غرب الدلتا . كما أنهم أوقدوا نار الفتنة فى مدن ممتلكات مصر الآسيوية رغبة منهم فى ضمها لأملأكمهم .

حملة منفتاح :

هبت الثورة بممتلكات مصر الآسيوية . فقام منفتاح فى السنة الثالثة من حكمه وقعها على الرغم من كبر سنه . ومن المحتمل جداً أنه اقتصر جداً من الحيثيين . واستطاع أن يذل فلسطين إذلالاً تاماً . ولم يرجع منفتاح من آسيا إلا بعد أن قمع ثورتها وأعاد الأمن إلى نصابه .

وأخذت الحالة فى غرب الدلتا تتحول من سوء إلى أسوأ لأن الليبيين «التخنو» (Tehenu) واصلوا زحفهم على مصر بطريق مستعمراتهم على شاطئ البحر

المتوسط . وتقدموا حتى بلغوا الشاطئ الغربى لفرع النيل الكنوبى (Canope) المعروف وقتئذ بالنهر الكبير . ثم استوطن ليبون آخرون الواحيتين اللتين فى جنوبى وغربى الفيوم . ولما زاد عدد الليبيين بالدلتا تطاولوا على فرعون مصر ، فجمعوا ثملهم وكونوا قوة نظامية للاستيلاء على بلاده . وكانوا وقتئذ تحت قيادة ملكهم المدعو مريى (Meruey) الذى أجبر بدو النخض أن ينضموا إليه . وكذلك استطاع أن يضم إليه قرصان البحر المتوسط . فبلغ مجموع قواتهم مالا يقل عن عشرين ألف مقاتل .

فلما أدرك منفتح الخطر المهدد لسيان دولته ، حصن قلاع عين شمس ومنف . وفى آخر مارس من السنة الخامسة من حكمه بلغه خبر زحف الليبيين على مصر ، فاستدعى موظفيه بسرعة وأمرهم بحشد جيوشه وتجهيزها للقتال .

فلما حل منتصف أبريل ، كانت الجيوش المصرية معسكرة فى غربى الدلتا ، ثم وصلت إلى مواقع الأعداء بالقرب من « بربرع » ، وهى مدينة مجهولة الموقع بالضبط لكنها تبعد عن القلاع التى على رأس الطريق الموصل للدلتا بصحراء ليبيا بعدة أميال . وكانت فى تلك المنطقة مزارع كروم فاخترقوا خطوط القلاع الغربية والتحموا بجيش منفتح وكان ذلك فى صباح اليوم الخامس عشر من أبريل . واستمرت الموقعة دائرة بشدة عدة ساعات حتى انتهت بطرد الليبيين بعد ما تكبدوا خسائر فادحة .

ويذكر برستد أن منفتح تعقبهم بخيله ومزقهم شر ممزق ، ثم واصل اقتفاءهم حتى بلغ « جبل قرون الأرض » وهو آخر حدود الدلتا الغربية ومنه فر الليبيون . أما « مريى » فقد هرب إلى بلده يائسا تاركا أفراد أسرته وأثاث منزله فى أيدي المصريين . وقدرت خسائر الأعداء بتسعة آلاف قتيل ثلثهم تقريبا من سكان البحر المتوسط . وبلغ عدد الأسرى ثلث هذا العدد ، ووقع بين القتلى أنجال ملك الليبيين الستة . وغنم المصريون فى هذه الموقعة أشياء كثيرة منها تسعة آلاف سيف نحاسى وعدد كبير من أدوات الحروب المختلفة البالغ عددها ١٢٠٠٠ .

وأسلحة أخرى ، واثاث بديع وجد في خيام ملك الليبيين ورؤساء بلاده . ولما نهب المصريون خيام الأعداء أضرموا فيها النار فالتهمت بها كلها . ثم عاد منفتحاً إلى قصره وجمع أمراء مملكته ، وألقى عليهم خطاباً وبينما كان يوجه كلامه إلى أمرائه وصل إليه نبأ من قائد قلاع غربى الدلتا بأن ملك الليبيين هرب مخترقاً خط الدفاع المصرى ليلاً وأن قومه خلعوه وملكوا عليهم غيره من خصومه .

وهكذا سقط الحزب الحربى فى ليبيا ووقف كل هجومه من تلك الجهة على مصر فى عهد منفتح على الأقل ، ولم يكن الفرع الذى عم أهالى مصر لمجرد الفوز العسكرى ، بل كان أيضاً لخلاص مصر من الوقوع فى أيدي الأعداء . ومما يدل على هذا السرور ترنم الأهالى بأنشودة عرفت فى ذلك العهد تقتطف منها ما يلى : —

« شمل مصر فرح عظيم وصعدت من بلاد الدميرة (مصر) أصوات السرور . فأصبح الكل يتحدثون بنصر منفتح على التخنو قائلين ما أحب هذا الملك المنتصر . وما أعظمه بين المعبودات . وما أسعد هذا القائد الحاكم ، إجلس مسرورا وتكلم أو امش بعيداً حينما أردت فلا خوف الآن فى قلوب الخلق / القلاع تركت وشأنها والآبار فتحت من جديد . وأصبحت الرسل تنتظر حول القلاع مستريحين فى ظل جدرانها من حرارة الشمس حتى يتنبه الحراس من الداخل . أما الجنود فصارت تنام مستريحة البال ، وأضحى حراس الحدود يشتغلون فى حقولهم كالعادة .

ومن أعمال منفتح أنه حصن حدوده الآسيوية بقلعة سميت باسمه . وأخضع ثورة نوبية فى الجنوب أيضاً ، وتوفى منفتح عام ١٢١٥ ق . م بعد حكمه عشر سنوات . وقد أتى من أعمال الشهامة والاقدام ما يستحق الإعجاب . ومن بعده تولى الملك عدة ملوك كان آخرهم « سيق الثانى » ولضعفه عجز عن الحكم وظهر أمراء البلاد بشورتهم الداخلية التى جزأت القطر إلى عدة أجزاء مستقلة .

انحدرت الامبراطورية المصرية بسرعة إلى الانحلال ، فانتهر الليبيون هذه الفرصة وأقبلوا على البلاد فاستولوا على شاطئ فرع النيل الكانوبى .

ومن حسن القدر أن اعتلى العرش أمير مصرى اسمه « ستنخت » فوطد الأمن
موأعاد النظام إلى البلاد واستأصل شأفه اللويين . وقبل وفاة هذا الملك
(عام ١١٩٨ ق . م) عين ابنه رمسيس الثالث شريكاً له فى الملك . ويعده بعض
المؤرخين مؤسس الأسرة العشرين . وتصادف فى أوائل أيامه وصول سكان جزر
البحر إلى أمور حيث ضربوا خيامهم .

معـارك الأسرة العشرين

(ح ١٢٠٠ — ١٠٩٠ ق . م)

تولى الملك رمسيس الثالث وهو آخر ملوك مصر الحارين (ح عام ١١٩٥ ق . م)
فأخذ يستعد لصد هجوم أعدائه ، فحصد حدوده السورية ، وجمع أسطولا ضخما وزعه
على الموانئ الشمالية ، ولما كمل استعداداه قاد بنفسه الحملة الأولى إلى سورية ونجح
فى صد زحف أعدائه بالقرب من أمور ، وانتصر عليهم . ويستدل من صور تلك
الموقعة أن جنوده السردنيين شقوا صفوف أعدائه واستولوا على عجلانهم . وقد
تمكن رمسيس الثالث من الوصول إلى ميناء على شاطئ « فينيقيا » راقب منها
سير المعركة البحرية التى دارت رحاها بين الأسطولين ، وانتهت بانتصار البحرية
المصرية ، ونجاة الامبراطورية المصرية . بآسيا للمرة الثانية من الخطر الأجنبى .
وبعد الموقعة ، عاد رمسيس الثالث إلى قصره بالدلتا .

الحملة الثانية :

اتحد الليبيون وسكان الغرب وقبائل المشواشين الفاطنين غربى الليبيين على
مهاجمة مصر ، فعبروا الحدود المصرية وكان ذلك فى الشهر الثانى عشر من السنة
الحادية عشرة من حكم رمسيس الثالث . فحاصروا قلعة هاتشو التى تبعد عن حدود
الدلتا بنحو أحد عشر ميلا وتقع بالقرب من ترعة « مياء رع »

فى تلك الجهة وتحت أسوار قلعة « هاتشو » هجم رمسيس الثالث على أعدائه
هجومًا عنيفًا فى حين أخذت حامية القلعة تمطر المصريين بسهامهم حتى عجزوا عن المقاومة

ودب الذعر بينهم وفروا هارين . لكن قلعة ثانية أصلتهم بالنبال في أثناء هربهم فقضت عليهم . وبعد ذلك تعقبهم رمسيس بجيوشه لمسافة أحد عشر ميلا من حدود الدلتا حتى تاكد من خروجهم تماما من أرض مصر . ثم استراح في حصن هناك عرف بحصن « مدينة رمسيس الثالث »

وانتهت هذه الموقعة بقتل قائد المشواشين « مششو » وقتل ما يبلغ ٢١٧٥ نفسا وأسر ما يبلغ ٢٠٥٢ نسمة بينهم نساء يزيد عددهن على ربع هذا الرقم . واعتبر الملك هذا النصر العظيم عيدا كان يحتفل به سنويا ومما عيد قتل المشواشين ، ولقب نفسه بعد ذلك بالألقاب الآتية :

« حامى مصر والمدافع عن الأقطار وغازى المشواشين ومتلف أرض النملح »
أما حملته الثالثة فكانت موجهة ضد الليبيين وسكان البحر وقد قضى على هجومهم في غرب الدلتا .

الحملة الرابعة :

لما انتهت الحملة الثالثة سافر رمسيس الثالث إلى أمور . ولم يصل لنا من أخبار هذه الحملة إلا اليسير ، ومنها يستدل على أنه استولى عنوة هناك على خمس مدن على الأقل . واحدة في أمور ، وثانية يظن أنها قاش . وثالثة واقعة على تل ولا تزال مجهولة . أما الاثنتان الباقيتان فتسمى احدهما « إرث » (Ereth) ، والآخرى مجهولة الاسم ، وقد دافع الحيثيون عنها ويظهر أن رمسيس الثالث لم يتوغل كثيرا في البلاد الحيثية رغم ضعفها وما اتناها من غارة أهالى جزر البحر المتوسط عليها .

بعد انتهاء هذه الحملة أخذ رمسيس الثالث ينظم مستعمراته الآسيوية . ويرجع أنه لم تمتد حدوده عما كانت عليه أيام منفتاح وشيد حصونا عدة عند المواقع الهامة من حدود فلسطين وسورية ثم أقام هناك تمثالا عظيما للمعبود آمون وأجبر أمراء آسيا على أن يقدموا الجزية السنوية لهذا للمعبود ، ولم تقسم بعد ذلك اضطرابات تذكر باستثناء ثورة صغيرة قام بها بدوصير (Seir) فأخضعت بسهولة وعاد السلام .

وقائع رمسيس الثالث خالدة على آثاره :

فى سهل طيبة الغربى معبد كبير يعرف الآن بمدينة هابو وقد سجل رمسيس الثالث على جدرانہ جميع أعماله الحربية سنة بعد أخرى . زفيخيل لزاثره أنه داخل متحف حربى حديث التنسيق . فاذا اخترق الزائر باب الصرح الأول شاهد إلى يساره رمسيس الثالث يهزم الليبيين فى أثناء العام الحادى عشر من حكمه . وعلى الجدار الغربى نحو الشمال تشاهد احتفال رمسيس الثالث بانتصاره على سكان البحر الأبيض المتوسط الذين غزوا مصر برا وبحرا . ويرى المشاهد على الجدار الأيسر رمسيس الثالث يقدم ثلاثة صفوف من الأسرى للمعبودين آمون رع وموت — وبعد اختراق باب الصرح الثانى يرى الزائر مناظر بدیعة جدا على الجدار القبلى . فيشاهد العربى الحرية الملكية يمسك جوادها سائسان بينما يفتش الملك أياذى الأسرى . التى قطعت وأمامها الكاتب المسجل والجندي يدونها ويسجلون عددها . وعلى الجدار المجاور يرى المشاهد انتصار الملك على الآسيويين وعلى نفس الجدار يرى الملك يقود عربته الحرية بنفسه وأمامه صفوف الأسرى ويحيط به الحرس الخاص وحلة المراوح ووراءه قواته المنتصرة . وبالاختصار فانك تشاهد جميع وقائع رمسيس الثالث البحرية والبرية منقوشة على جدران معبد هابو . ويعجب بها هواة الآثار المصرية القديمة وخاصة العسكريون منهم .

حكم رمسيس الثالث مصر احدى وثلاثين سنة وأربعين يوما وتوفى حوالى عام ١١٦٣ ق.م ، فتولى الحكم من بعده كثير من الرمامسة الذين لم يخلدوا على صفحات التاريخ شيئا يذكر سوى ضعفهم وماجروه من الولايات على مصر . وأهم ما يلاحظ على عصورهم أن الحمية التى تولدت فى نفوس المصريين أثر غزوة الهكسوس انعدمت واستعوضت بمقائد فاسدة ، فحل الجهل والضعف محل العلم والقوة . وليس لدينا ما نذكره من الأجداد القومية فى أثناء حكم ملوك الأسرة الحادية والعشرين .

الاسرة الثانية والعشرون واليهود

لما مات سليمان ملك اليهود (ح عام ٩٣١ ق م) ولى الملك ابنه رحبعام من بعده ، وفى أوائل أيامه انقسمت المملكة ، وخرج عليه عشرة أسباط منهم يربعام^(١) ولم يبق معه سوى سبطى يهوذا وبنيامين . وقد عرف القسم الشمالى من المملكة باسم اسرائيل . أما القسم الجنوبى وملكه رحبعام ، فقد عرف باسم مملكة يهوذا ، وفكر رحبعام أن يزحف على العصاة بجيش كبير ويخضعهم ، واستمرت الحرب طويلا ، ثم انتشرت العبادة الوثنية فى المملكة على السواء .

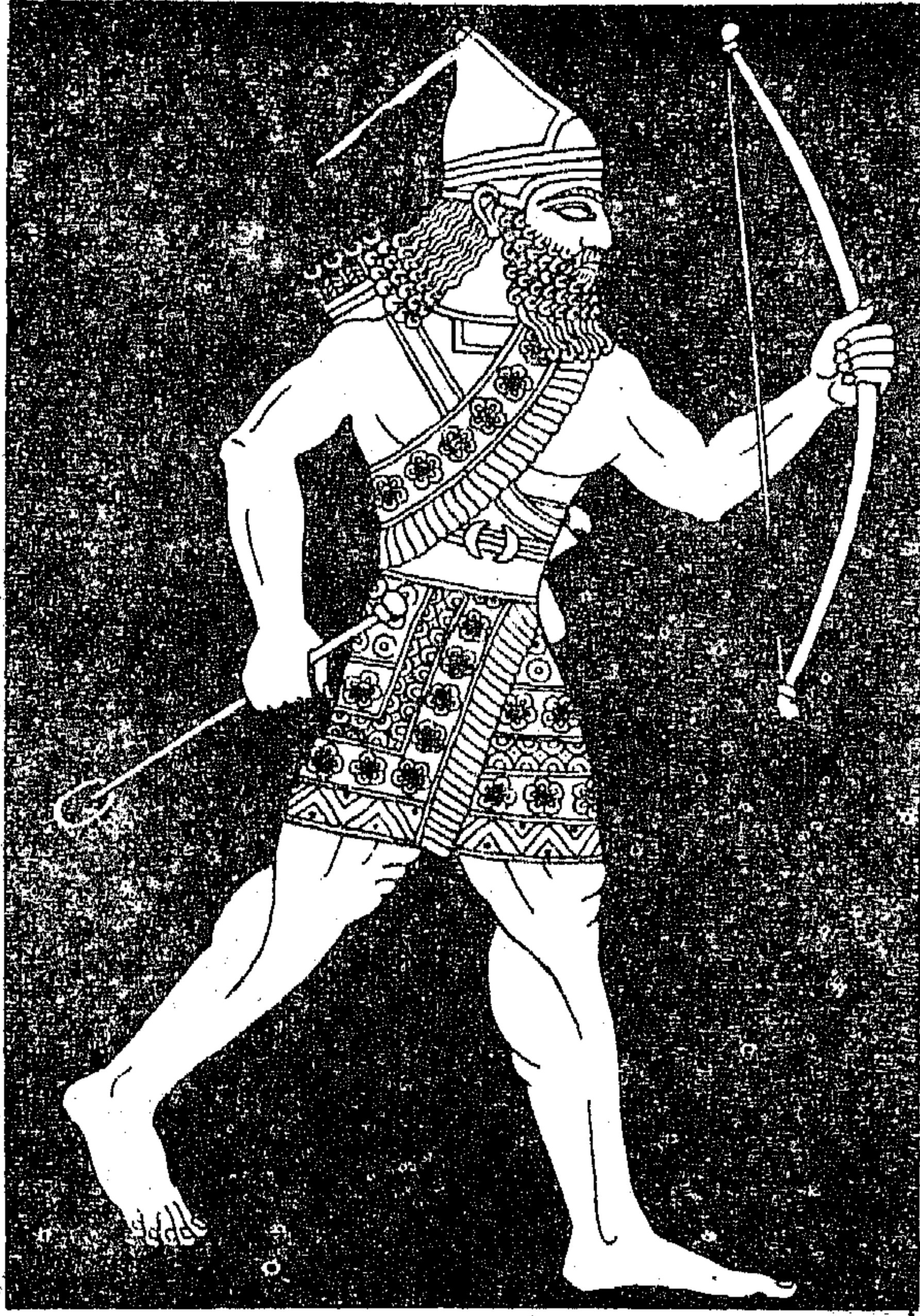
ولذلك انتهز شيشنق الأول^(٢) ملك مصر انحلال المملكة اليهودية ، فهاجم رحبعام حوالى ٩٢٦ ق م فوصل بيت المقدس على رأس جيش فيه ١٢٠٠٠ عربية حربية ، وستين ألف فارس ودمر المدينة ، وسبأ أهلها وأخذ كنوز بيت الرب يهوذا وبيت الملك وآلاف الأتراس الذهبية التى صنعت فى عهد سليمان . ونقرأ أخبار الحملة كاملة على جدران معبد جليل العمارة فى طيبة بمعبد الكرنك .

وللعروف أن شيشنق لم يذهب الى أبعد من حد شاطئ بحر الجليل شمالا وماهنايم التى هى بوادى الأردن شرقا . وفى هذه الحملة أرسل الملك قواته اللبية لتنهب مدن سهل يزرل بادئة برهوب وحفرايم ومجد وتناخ وشونم وبيت شين شرقى وادى الأردن ، أما فى الجنوب فغنمت الجنود يرازا وبيت حورن وابالونا وجبيون وسكو وشرحان وغيرها ، وكان من نتائج هذه الحرب الخاطفة التى لم تستغرق طويلا أن دمر شيشنق عشرات المدن اليهودية ومستعمراتهم كما ذكرنا ، ونهب الهيكل .

(١) كان يربعام قد هرب الى مصر فى أيام الملك سليمان وظل مدة فى حاية شيشنق فرعون مصر

(٢) أول ملوك الأسرة الثانية والعشرين .

وهكذا دمرت مصر ملك الدولتين ، فلم تقم لهما قائمة ، وأصبحتا خاضعتين
للفوز المصري ، وكذلك كان أحفادهما . وبالرغم مما أصابها من المحن ، فقد استمر
النضال بين إسرائيل ويهوذا لأنها لم يستطيعا العيش في هدوء .



(ش ٨١) جندي آشوري مسلح بالأسلحة الخفيفة
(من حفائر نمرود)

الأسرة الخامسة والعشرون

(٧١٢ — ٦٦٣ ق . م)

مرت اعوام طويلة حكم الليديون في خلافتهم المصريين (الأسرة ٢٢ — الأسرة ٢٤).
وانتهز بعنخى ملك إثيوبيا (السودان) ^(١) فرصة ضعف البلاد المصرية . فاتصل
ببعض زعماء الجنوب ليساعدهم على التخلص من سوء أحوالهم ومن أجل ذلك قاد
جيشا (ح ٧٢٥ ق . م) على متن عدة سفن نيلية ، وكان يستولى على مدينة أثر
أخرى حتى دانت له معظم أنحاء مصر ، ومن ثم عاد الى بلاده بعد ما اعترف له بسيادته
وقد بلغ من العمر عتيا بعد ما حكم بلاده حوالى ٢١ سنة . وكان قبل أن يغادر مصر
نصب عليها حفيده شاباكا (ابن كيشتو) واليا من قبله . والمعروف عن شاباكا هذا
أنه قاد جيشا الى فلسطين ^(٢) بيد أنه لقي الهزيمة من سرجون ملك آشور (ح ٧٢٠ ق . م).
ثم تخلص من آخر الدعين بالملك « واهكيرى بكن راتف » بعد ما هزمه وقتله في
آخر معركة ، فاصبح ملك مصر وأسس الأسرة الخامسة والعشرين (ح ٧١١ ق . م).
وقد نهضت مصر في أيامه ، واستعادت رخاءها ومكاتها في العمارة والفنون ، ويستدل
على ذلك ما خلفه عصره من الأعمال الفنية الجلييلة .

ولم يقف الأمر عند ذلك ، ففي عام ٦٩٩ ق م عقد حزقيا ملك يهوذا اتفاقية
مع الملك طهارقة الذى خلف شاباتاكا ابن شاباكا ورفض (حزقيا) طاعة سنحاريب .
ملك آشور ، فزحف هذا على رأس جيشه لمحاربته وقد علم أن طهارقة سوف يهب
لنجدته . فلم ينتظر مجيئه ، بل سار على رأس جيشه الى مصر فوصل الى بلوسيوم (الفرما)

(١) كانت عاصمة مملكته نباتا بالقرب من الجنادل الرابعة .

(٢) حينما زحف سرجون على غزة كان أميرها قد حالف مصر ، ففر الى رفح واستنجد
بشاباكا فأتاه بشجدة بعد ما وصل الى رفح ، وعلى أرضها دارت معركة حامية بين
آشور مصر ، وانتصرت الأولى في معركة رفح (الأولى) .

مفتاح مصر من الشرق وحاصرها حصارا شديدا ، ثم وصل أسطولها لتجدة قواته البرية فاستطاع أن يحاصر بلوسيوم برا وبحرا وفي الوقت الذي كان فيه على استعداد للمعركة هبت ريح شرقية ، أفقدت سفنه تنظيمها ، ولم تتمكن من جمع ثملها ثم تناثرت في عدة جهات . ولذلك اضطر سنحاريب الى الفرار ناجيا بقواته ولم يتمكن من تحقيق أحلامه لغزو مملكة يهوذا أو مصر .

ولما تولى « أسرحدون » ملك آشور بعد سنحاريب ، عزم على غزو مصر (ح ٦٧٤ ق م) فلقى الهزيمة . ثم حاول غزوها مرة ثانية في عام ٦٧٠ ق . م فنجح . ووقعت منف عاصمة البلاد في قبضته ، واعترف له أمراء الدلتا بالطاعة ، في الوقت الذي فر فيه الملك السوداني الى الوجه القبلي . ولم يكد « أسرحدون » يعود الى وطنه في آشور حتى استأنف طهارة ثانية حكم الدلتا . ولذلك اضطر « أسرحدون » الى العودة ثانية (ح ٦٦٨ ق م) بيد أنه مات في الطريق ، فواصل ابنه آشوربانيبال السير الى مصر ، والتقى بطهارة في معركة حامية وفاز عليه . وفي أعقاب الهزيمة فر ثانية الى الوجه القبلي ليحتمي فيه .

اختار آشوربانيبال مصريا اسمه « منيبري نيكو » ليكون نائب الملك في مصر السفلى أما طهارة ، وقد بلغ آنذاك (٦٦٥ ق م) السبعين من عمره ، فقد عين أحد أفراد أسرته « بكيري تونتامن » ليشاركه الحكم ثم مات طهارة (ح ٦٦٦ ق م) عاد تونتامن الى نباتا حيث توج رسميا ، ثم رجع الى مصر للملاقة الآشوريين . وقوات نيكو في الدلتا ، فاستولى على منف وقتل نيكو ، وفي حوالى عام ٦٦١ ق م . وصل جيش آشورى الى الدلتا ففر تونتامن مرة أخرى الى نباتا ، وانتصر الآشوريون . وسقطت طيبة وكنوزها في أيديهم ، وقد كان لآبناء هذه الكارثة صدى مؤثر في البلدان المجاورة ، وظل الناس يتحدثون بأهوالها عدة سنين طوال .

سقطت طيبة ذات المائة باب ، أعظم مدن العالم القديمة وأظهرها حضارة ، ومع أنها نهضت ثانية من كبوتها على أيام البطالمة ، لكنها لم تستعد مكاتها ومجدها التالدين . ولقد اختفى تونتامن في أقاصى الجنوب من مسرح التاريخ ، وأجاس الآشوريون المنتصرون على عرش مصر كنائب عنهم أمير سايسن أصغر أبناء نيكو المتوفى ، واتخذ اسم واهبى ، أو بسمتيك الأول ، ويعتبره المؤرخون مؤسس الأسرة ٢٦ .

الأسرة السادسة والعشرون

(٦٦٣ - ٥٢٥ ق . م)

الصحوة في أيام بسماتيك

خمدت الروح الحربية في مصر عقب وفاة رمسيس الثاني ، وتعاقب على عرش الفراعنة اللوويون والآثيويون فالآشوريون . وظلت مصر في سبات عميق حتى نهض أحد الأمراء المصريين وكان خاضعا لملك آشور ، وأعلن الثورة عليه للخلاص من سلطته وتحرير البلاد . وكانت حركة بسماتيك بلغت حدا بعيدا لم يجرأ آشور بانبال بعد اضطرامها على ما يظهر أن يخاطر باخضاعها .

اتفق الأمراء المصريون فيما بينهم ووجدوا كلمتهم للوصول إلى غرضهم ولكي يفوزوا باستقلال البلاد بقوة اتحادهم ، فلموا شملهم في كامل قوتهم . وكانوا اثني عشر أميرا... الأمير باكرور من بسياتو وبتوباستس أمير تيس ، وشيشنق من أبو صير وتافخت من بروسوتيس ويكنيفي من أتريس وناخهي من خير اكلوبوليس وبياي من مندس ولا منتو من هربوبوليس ومنتوم أنخ من طيبة وغيرهم من أمراء الأقاليم . ونظموا قواتهم وألقوا منها جيشا واحدا جعلوه تحت قيادة بسماتيك .

وفي ساحة منف على حدود الصحراء اللوية اصطدم جيش الأمراء تحت قيادة بسماتيك بجيش آشور ، ولم تدر رحى القتال على أحد الفريقين . وفي النهاية صمدت القوات الاغريقية والكارية وكانت تؤلف بعض وحدات الجيش المصري وانتصروا على جيش الأعداء . وظفر بسماتيك على أعدائه وهزمهم في المعركة الأولى (١) .

(١) برستد : تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسي ، ترجمة الدكتور حسن

سكّال ، ص ٣٨٣ .

واصل بسمايك منازلة الأعداء ومهاجمتهم في حامياتهم فوقعت في يده مدن
الأمراء الذين كانوا لم يعترفوا بعد بسلطانه ، وأباد قواتهم . وقد تحققت ماآرب
بسمايك وأعاد إلى البلاد وحدتها واستقلالها الذي كانت قد فقدته . وأصبح الملك
الوحيد الذي لاينازعه في الملك منازع ، فأخذ مصر من حكم هؤلاء الأمراء وأتباعهم
الحريين الذين جروا على وطنهم اللذلة والهوان مدة أربعمئة سنة تقريبا . وصار
بسمايك بفضل هذه الأعمال من أعظم وأكفأ فراعنة مصر . فساوى بسمايك في
الشرف والمنزلة امنمحت الأول مؤسس الأسرة الثانية عشرة ، وأحسن الأول طارد
الهكسوس .

وكان من أصعب الأمور على بسمايك أن يحافظ بالسيف على ما كسبه بالسيف وان
ينشئ قوة حربية . ففكر في الأمر فوجد أمامه الليبيين الذين عاشوا بمصر عدة
قرون فأصبحوا مصريين ، وكان الملك من سلالتهم . فاستخدمهم في بعض وحدات
الجيش واحتفظ بقوات الجنود اليونانية والسكرية (Carians) وكانوا أرسلوا اليه
لمساعدته في حروبه ضد الآشوريين . وحشدهم بالقرب من مدينة دفنة (Darhnae)
وهي على حدود مصر الشمالية الشرقية التي كان يخترقها فرع النيل البللوزى . أماغربي
النيل فكان محميا بقوة حربية أخرى من هذا النوع بجهة قلعة مريا (Marea) من
الاسكندرية . ووضع بسمايك الحامية المصرية بجزيرة فيلة بأسوان لمنع غارات النوبة
من الجنوب .

قال هيرودوت فيما يختص برجال هذه الحامية ان مائتين وأربعين ألفا من جنود
مصر هجرت معسكرها جهة أسوان وعرضت مساعدتها لملك أثيوبيا لاستيائها من
بقائها ثلاث سنوات بمعسكرها ، ولا يخفى أن هذا العدد مبالغ فيه على عادة هيرودوت.
رأينا الملك بسمايك يستخدم لحماية مصر الجنود المأجورة ، وهي خطة سبق
اليها رمسيس الثالث وآخرون من الفراعنة ، ويظهر أنه كان مضطرا إلى اتباعها .
لقد تعذر على بسمايك أن يجعل مصر أمة حربية في غمضة عين . ومن هنا نشأ
اعتماده على الجنود المأجورة وان لم يهمل شأن الجنود المصريين والعناية بترقية الروح
للعنوية بينهم بعد أن فقد الشعب الحماسة والانطلاق .



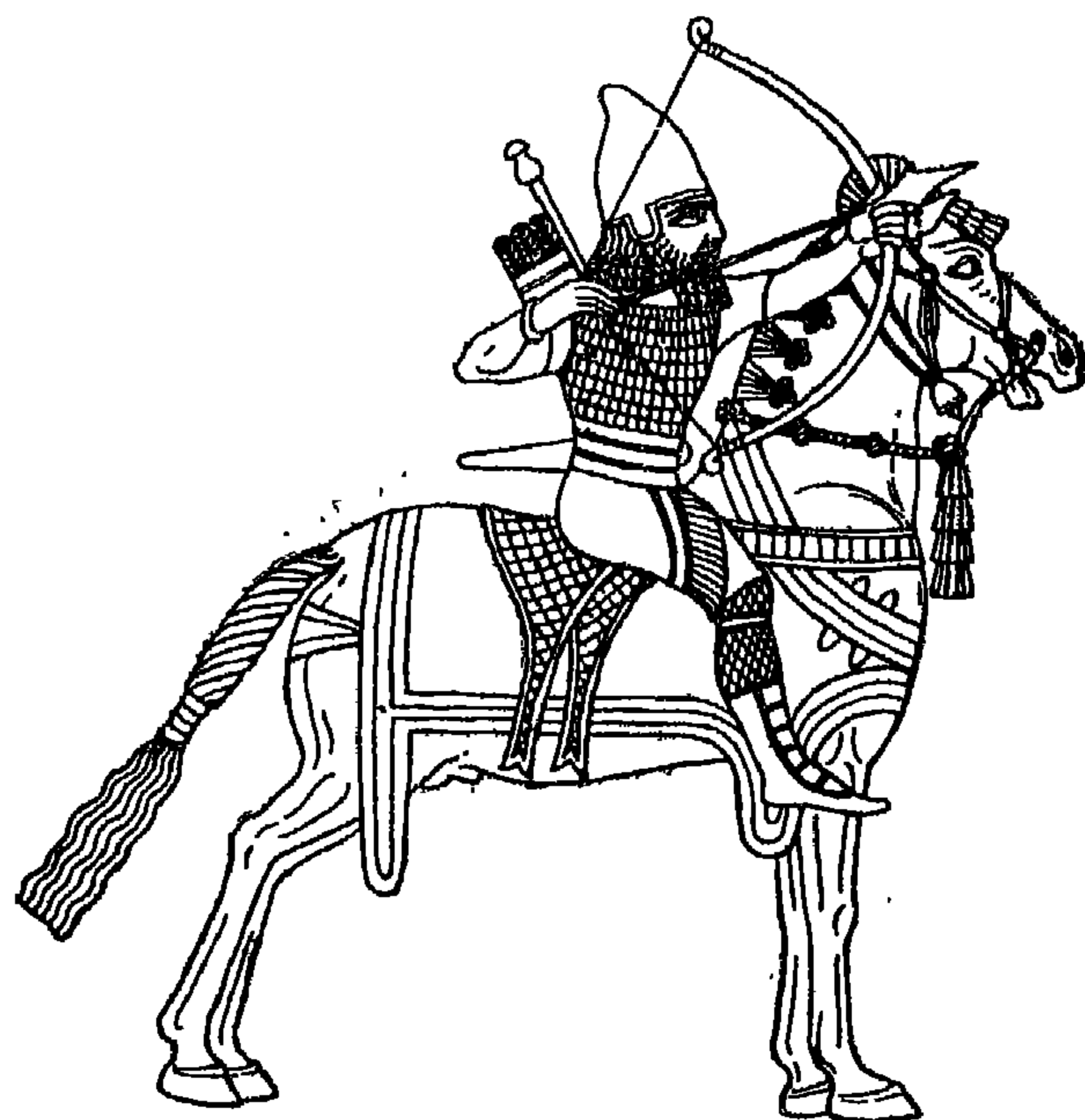
(ش ٨٣) تمثال لآشور ناصر بال ملك آشور في المتحف البريطاني

وقد ذكر المؤرخ ديودور الصقلي أن بسماطيك منح الجنود الاغريقية هبات ثمينة ، وأسكنهم في مساكن كانت تسمى « ستراتويدا » ومعناها الخيام وأقطعهم أراضي كبيرة تقع على فرع النيل البللوزى بالقرب من دفنه كما ذكرنا . وكان الضباط ينزلون القلاع المحصنة المنيعة . وقد قام الأستاذ فلندرز بترى بحفريات هامة بين عامي ١٨٨٥ و ١٨٨٦ كانت تبيحها اكتشاف أحد معسكرات الجنود المأجورة الاغريقية في تل دفنه (١) وفي هذا المكان كان يعيش حوالى ٢٠ ألف رجل من الجنود المرتزقة . وكانت مركزا هاما لصناعة الأسلحة ومعدات الجند وصناعة الحزف أيضا .

ولما انتهى بسماطيك من توطيد دعائم ملكه داخل البلاد المصرية وقضى على سلطان الأمراء ونفوذ الآشوريين ، انتهز الفرصة الملائمة لغزو سورية . فجهز جيشا من المصريين والاغريقين واللوبيين وسار في طبيعته طابرا به الصحراء . واستولى على غزة وعسقلان وحاصر مدينة أشدود . ولم تتفق كلمة المؤرخين القدماء فيما إذا كان بسماطيك قد نجح في الاستيلاء على تلك المدينة الحصينة أم أن قواته لم تتمكن من القضاء على حصون المدينة المنيعة . وأنها لم تتوغل في بلاد الشام بسبب حصارها لمدينة « أشدود » مسدة طويلة . ولقد قام جنود الجيش المصرى المأجورة بدور هام في فتح سورية وأبلوا بلاء حسنا في العارك . وقد ذكر ديودور أن بسماطيك بعد أن حازا النصر في حملاته على سورية ، قسم جيشه إلى قسمين جعل الجنود المصرية في الشمال ، والجنود الاغريقية في اليمين . وهذا التوزيع أثار غضب الجنود المصرية وجعلهم يحسون بأن ملكهم يؤثر الاغريق على بنى جلدته . ويذكر المؤرخ أيضا أنه نجم عن هذا العمل أن هاجر إلى أثيوبيا عدد كبير من الجنود المصرية .

وأن مشكلة هجرة الجنود المصرية مازالت موضوع شك وجدال بين المؤرخين القدماء والمحدثين على السواء . فمنهم من ينسب ذلك الحادث ومنهم من يثبتته ، انما بنص يختلف عن نص الآخر .

(١) تل دفنة مكان يبعد عن نيس بمقدار ١٧ ميلا انجليزيا وعن بوسطه بمقدار ٤٥ ميلا في وسط الصحراء بين الدلتا وقناة السويس في ابتداء الطريق الذى كانت تسلكه القبائل التى كانت تعبر مصر إلى سورية . وكانت لموقع المعسكر أهمية حربية .



(ش ٨٤) فارس آشوری مسلح بالقوس

على أن هجرة الجنود المصرية إلى اثيوبيا قد تبعها حادث آخر يحيط به الشك ذلك أن بسمايتك لم يترك جنوده المصريين وشأنهم بل أعد حملة لمطاردتهم واقتفاء أثرهم وهذه الحملة تركت أثرا في بلاد النوبة . وما زال هذا الأثر من الموضوعات التي يعالجها المؤرخون . وهناك وصل بعض جنود حملته التأديبية إلى أبي سمبل وكتبوا أسماءهم على ساق أحد التماثيل العظيمة عند مدخل معبد هناك . وهذه الكتابات المنقوشة ذات صور ثلاث مختلفة بعضها اغريقية وبعضها كارية والبعض الآخر بلغة سامية . والنصوص الاغريقية والسكرية تلفت نظر علماء فقه اللغة الاغريقية وكذلك علماء الكتابة الاغريقية القديمة . وكل ما يستنتجه المؤرخ من نصوص معبد أبي سمبل أن ملكا يدعى بسمايتك قد وصل إلى هذه البقعة على رأس حملة مؤلفة من ثلاث فرق : الفرقة الأولى اغريقية وكان يقودها قائد اغريقي اسمه بسمايتك على اسم ملك مصر . والفرقة الثانية من السكريين ، والثالثة من المصريين . على أن مسألة بسمايتك هي موضوع الشك ونقطة الجدل ، لاننا لا نعلم ما إذا كان الملك المنقوش اسمه هناك هو بسمايتك الأول أم الثاني الذي وصلت جنوده إلى ذلك المكان ، فان بعض المؤرخين يقول أنه بسمايتك الثاني وليس الأول (١) .

وصادفت الأعوام الأخيرة في حكم بسمايتك - وكان قد هزم - اضطرابا واضمحلالا أصابا بعض الدول الآسيوية وعلى رأسها مملكة آشور ، فقد كانت تحتضر . وكان أمام الملك المصري ميدانا عظيما ليوسع مستعمراته لكن فتوحاته في فلسطين وسورية كانت قد أنهكت قوى جيوشه . فراجع مضطرا عن تحقيق . مراميه وترك ممالك آسيا للملوك الآسيويين ، يفعلون بها ما يريدون ونفض يديه نهائيا عن أعمال الفتح وترك لابنه نخاو جميع مشروعاته الاستعمارية . بد أن أحكم له الأساس ومهد له التوسع الآسيوي بغزواته الفلسطينية .

لم يجد نخاو (٦٠٩ — ٩٩٣ ق . م) أمامه ما يمنعه من استرداد الامبراطورية المصرية بآسيا . فقد سبق القول أنه في الوقت الذي كانت فيه الامبراطورية المصرية

(١) بسمايتك الأول وجنود الاغريق للأستاذ عبد الملك جرجس (مقال)

أخذة في التقدم كانت مملكة آشور تنحدر في طريق الاضمحلال . فلم يتردد نحاو في مهاجمتها، ولذلك أخذ يحقق مشروعات والده الاستعمارية فأعاد تجهيز جيشه وشيد أسطولين بحريين ضخمين ، أحدهما في البحر المتوسط والثاني في البحر الأحمر .

ففي العام الأول من حكمه بدأ حملته في فلسطين ، فاستولى على غزة وعسقلان ، ثم زحف شمالا ووصل مقاطعة يهوذا فظن ملوكها أنهم سيتمكنون من صد مصر . فجمع ملكهم يوشيا (Josiah) جيوشه وهجم على القوات المصرية بسهل مجدو حيث وقعت أول معركة حربية منذ تسعمائه سنة تمكن فيها المصريون من اخضاع آسيا وانتهت هذه المعركة بهزيمة يوشيا التامة ، فقد أصيب فيها بجرح ثم وافته المنية .

ظن « نحاو » أن آشور ستحاول استرداد أملاكها الضائعة ، فزحف مسرعا ميمما نهر الفرات ، ولكن آشور كانت تحتضر ، ولذلك لم يجد قوة تقاومه هناك ففضل الرجوع إلى مصر . وبهذه الوسيلة تمكن من استرجاع سورية كلها وجميع مستعمرات مصر التي كانت تابعة لها في أيام الامبراطورية في غزوة واحدة وعاد منتصرا إلى وطنه .

دامت امبراطورية نحاو الآسيوية ثلاث سنوات تمتعت مصر أثناءها بفرح الانتصار ، ودبت فيها روح الفتح والقوة . فلما استيقظ « نابوبلاصر » ملك بابل اتحد مع ملك ميديا للقضاء على آشور نهائيا واقتسما أملاكها نهائيا . وكانت سورية من نصيب « نابوبلاص » . ولكنه كان مسنا فأرسل ابنه « نبوخذر صار » لقتال نحاو . فلما سمع بذلك فرعون مصر جمع قواته وأسرع للاقائه على الحدود الشمالية على نهر الفرات بالقرب من كركميش (٦٠٥ ق . م) ، فالتحم الفريقان ودارت المعركة على الجيش المصري المختلط (١) .

رأى نحاو أن الوسيلة الوحيدة التي تنقذه هي أن يتقهقر مسرعا نحو الدلتا ليحتوى في مصر وراء الصحراء والنيل . وكانت تتعقبه جيحافل البابليين . ولكن

(١) برستد : تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسي ، ص ٣٩٤

وفاة والد ملك بابل أجبر نبوخذ نصر أن يتفق مع نخاو على فض المشاكل التي بينهما . وقد انتهى اتفاقهما على حد طمع المصريين بآسيا . وصمم ملك مصر على الاحتفاظ بدولته مكتفيا بترقية تجارة مملكته وتوسيع مشروعات أيه الاقتصادية وأعاد حفر القناة التي كانت توصل فرع النيل الشرقى بالبحر الأحمر ، فعاد المشروع على مصر بالربح التجاري الكبير ، كما انه ساعد كثيرا من الوجهة الحربية .

ويستدل على شدة رغبة نخاو في ترقية الملاحة يبعثته الفينيقية التي قال عنها هيرودوت ، أنه أرسلها لارتباد سواحل أفريقية المعروفة وقتئذ باسم ليبيا ، وقد استغرقت هذه الرحلة ثلاث سنوات . فترى أن السفن المصرية قد ارتادت القارة الأفريقية قبل ارتباد فاسكودى جاما بآلاف السنين .

الأيام الأخيرة

مات نخاو بعد حكم دامته ١٢ عاما خلفه بسماتيك الثانى . وقد رأى أن يتجه بفتوحاته نحو الجنوب ، فغزا جيشه المختلط أثيوبيا كما يستدل على هذه الغزوة من النقوش المدونة على تمثال معبد أبى ممبل . وفى أثناء عصر هذا الملك زار صولون المشرع الأغريقى مصر وكان ذلك فى عام (٥٩٤ ق . م) .

وفى أيام خلفه « أبريس » اشتعلت الحرب بين مصر ونبوخذ نصر ودارت رحى المزيمة على المصريين فعاد الملك ولم يحكم طويلا وحده حتى شاركه فيه « أمازيس » . لكن لم يدم طويلا ذلك للملك فقد غزا ملك بابل نبوخذ نصر وادى النيل واكتسح قواتها فى الدلتا (١) .

وجاء الملك أمازيس الثانى فرأى أن الوسيلة الوحيدة لحفظ كيان دولته أن يعقد المحالفات مع الدول المجاورة لمصر . فتعاقد مع برقة حيث نشر النفوذ المصرى عليها وغزا جزيرة قبرص . وارتبط بعدة محالفات دفاعية مع الأغريق والليبيين

(١) يقول بعض المؤرخين إن القوات البابلية دفعت القوات المصرية إلى أسوان .

والبابليين ليضمن التعاون معهم على صد جحافل دولة فارس الناهضة ، لكن لم يجد ذلك نفعا . فقد غزا كيروس ملك الفرس بلاد ليديا وقضى على الأسطول المصرى بالقرب من قبرص ثم تقدم نحو الشام إلى الحدود المصرية لغزو مصر . لكن ارتدت الجيوش الفارسية ولم تنفذ خططها العسكرية لوفاة كيروس الذى أمتد ملكه إلى بلاد الهند .

وفى أيام خلفه بسماتيك الثالث (ح ٥٢٥ ق م) بدأ قبيز ملك فارس يهدد مصر بغزوتها ، فاستعد لها وقام بتجهيز معداتها من الرجال والأسلحة . وكانت مصر منيعة بمحصونها الشرقية ومن الصعب على أى جيش مهاجم اختراق هذه الحدود ، فكان من الضرورى معرفة أضعف مواقع الحدود لمهاجمتها والتسرب منها ، ولقد ذكر المؤرخون الأغريق أن قائدا إغريقيا اسمه فانيس (Phanes) أرشد مقدمة الجيش الفارسى على بعض تلك النقاط ، فهوجت مدينة البلازيوم ^(١) من البحر ، وتدفت جحافل الفرس فى الصحراء ثم سقطت مدينة منف فى أيديهم ، كما وقع الملك بسماتيك أسيرا فى قبضتهم . فأرسلوه إلى فارس حيث قضى نحبه وبذلك إنتهت أيام الأسرة ٢٦ .

اعترف المصريون بسيادة قبيز (٥٢٥ — ٥٢١ ق . م) ملكا عليهم ، سواء أرغبوا ذلك أم كرهوه ، واتخذ ألقاب الفراعنة ، وشارك المصريين فى عباداتهم ومعتقداتهم وقد عرف عنه أنه أرسل حملة للوحدات الغريبة ، ولكنها ضلت الطريق وهلكت ولاقت حملة أخرى لاختضاع النوبة المصير ذاته ، ثم عاد الى وطنه ، وخلفه داريوس (٥٢١ — ٤٨٦ ق . م) واتخذ فى مصر لقب « سى توترى » ، وكان حاكما حازما متتورا ، فأقدم على إعادة فتح القناة التى تربط البحر المتوسط بالبحر الأحمر . وفى آخر سنى حكمه ثار المصريون عليه ، وأجلسوا على العرش خبيثى (٤٨٦ — ٤٨٤ ق . م) ولم يعرف شىء عنه ، سوى أن أخشرشش الذى خلف داريوس على الحكم فى فارس (٤٨٤ — ٤٦٦) ، قدم الى مصر وقضى عليه ،

(١) تعتبر هذه المعركة فى نظر بعض المؤرخين بلوسيوم الثانية .

وأعاد البلاد الى طاعته .. ولما خلفه أرتخرشش (٤٦٦ — ٤٢٥ ق . م) ثار المصريون مرة أخرى بزعماء أحد الأمراء ، بيد أن سرعان ما أخمدت الثورة وأعيد الأمن الى نصابه . ويذكر معظم البحاثة أن هيرودت المؤرخ الاغريقى ^(١) ، زار مصر في أيامه .

وهكذا ... توالى على أيام الفرس ، الأسرات ٢٨ و ٢٩ و ٣٠ و ٣١ . وقد ظهر فى أثناءها قليل من الزعماء المصريين ، ممن تولوا الحكم مددا قصيرة ، ولم يخلد المصريون الى السكينة . بل كانوا يواصلون ثوراتهم ضد الفرس . فيطردونهم أحيانا ثم يعود الفرس مرة أخرى . واستمر الوضع على هذا الاضطراب بين الجانبين الى أن استطاع الملك تاخوس طردهم من البلاد ، ثم غزا فلسطين .

وأخيرا جاء داريوس الثالث (أردشير عند العرب) ، فانه لما تولى العرش (٣٣٦ — ٣٣٢ ق . م) ، عزم على استعادة مصر وولاياتها فى سورية ، فجمع جيشا كبيرا من المشاء الفرس والاغريق ، والفرسان ، ودعمهم بأسطول حربى وسفن للنقل . ثم زحف على صيداء ، ففتحها خيانة ، ثم عبر سيناء ، ووصل الى بلوسيوم (الفرما) .

كان تقطائب ملك مصر قد أعاد تحصين بلوسيوم ومعظم ثغور مصر ، وحشد جيشا قوامه ٢٠٠٠٠ من مأجورى الاغريق ، و ٢٠٠٠٠ من الليبيين ، و ٦٠٠٠٠ من المصريين ، ثم هاجم جيش فارس ، لكنه لم يستطع رده ، ومنى ثم عاد نصف جيشه الى منف ، فاستطاع الفرس محاصرة بلوسيوم ، ورموا أسوارها بالمنجانيق وفتحوا ثغرات فيها . واقتحم الجيش الأسوار ، واستولوا على المدينة . ثم انتهت المعركة بضم مصر الى فارس .

وتعرف هذه المعركة بمعركة بلوسيوم الثالثة .

(١) د . صقر خفاجه و د . أحمد بدوى : هيرودت فى مصر . القاهرة

٤ - الجيش فى أيام البطالمة

سياسة البطالمة العسكرية :

فى أعقاب اندحار الجيش الفارسى فى موقعة أسوس شمال الاسكندرونة (٣٣٣ ق . م) زحف جيش اسكندر الأكبر على سورية ، ففتح صيدا و صلحا ، ثم صور بعد حصار سبعة أشهر ، ثم غزة و بعد راحة قصيرة قصد مصر بطريق سيناء ، وكانت سفنه تسير بمحاذاة قواته البرية حتى وصل إلى بلوسيوم (٣٣٢ ق . م) وكانت الجيوش الفارسية قد انسحبت من مصر للدفاع عن سورية ، فسلمت له بلوسيوم فى يسر و سهولة . و انحدرت سفن الاسكندر فى فرع النيل البليوسى حتى وصلت هليوبوليس ، ثم عبرت النيل . و تقدم الاسكندر إلى منف ، وكان عليها وال من قبل دارا ملك فارس فسلمها للفتح دون قتال ، وكان ذلك فى عام ٣٢٢ ق . م . و أقام الاسكندر عدة أشهر فى مصر ، خططت خلالها الأسكندرية . ثم استأنف القائد مسيره ليقضى على امبراطورية الفرس ، و تم له ما أراد ، ثم قضى نحبه . و انقسمت امبراطوريته بين قادته الكبار :

فى الوقت الذى رغب فيه « بطلميوس » رغبة صادقة فى أن تعطل قواته فى أمن و سلام فى مصر مضى يتطلع إلى أقاليم مجاورة يحتلها لتكون مصر تواجد و أن يكون له من الجزائر و شواطئ البحر المتوسط مواطن ارتكاز تأوى إليها قواته البرية والبحرية . ذلك بأن مصر البطلمية قد أصبحت دولة أكثر نشدانا لصالحها فى حوض البحر المتوسط منها دولة أفريقية . على العكس من مصر الفرعونية التى كانت تمتد سلطانها أحيانا إلى جوف السودان . أما البطالمة فلم يعنوا بالاستيلاء على أرض تقع بعد الشلال الأول . ولكن بطلميوس أراد أن يملك جنوب سورية كما فعل الفراعنة الذين درجوا من قبله لتصبح دريئة من الشرق كما

كانت برقة دريئة من الغرب . وأحب أيضا أن يملك جزيرة قبرس كما فعل الملك أحس في القرن السادس قبل الميلاد ، وأن يتقدم خطوة أخرى ، فيبسط سلطانه على أغارقة جزر ايجة وعلى بقاع من آسيا الصغرى .

كان هذا برنامج التوسع البطلميوسى . والواقع أن مصر إذا شاءت أن تكون دولة قوية هائلة فإنها لن تصل إلى ذلك إذا هى بقيت حبيسة فى داخل حدودها . فإن الأخشاب الضخمة التى كان ينتفع بها فى بناء السفن لا أثر لها فى وادى النيل ، وموردها جبال لبنان وتلال قبرس .

فى عام ٣١٨ ق . م . أمتلك بطلميوس . سورية من حدود لبنان جنوبا . وهى الرقة التى نسميها اليوم (فلسطين) ، وأنزل قواته البحرية على جزيرة قبرس وأخذ سلطانه يمتد ويثبت فى أطرافها حتى أتم غزوها . وكان يريد أن يتخذها قاعدة بحرية يناجز بها منافسه (انطيوخونس) الذى تملك كل اللوانى الفينيقية الواقعة على الشاطئ السورى . وفى سنة ٣١٣ ق . م . فقد بطلميوس فلسطين ، ولكنه استعادها فى العام التالى . وعاد سلطانه على المدن الفينيقية ، وسرعان ما فقد سيطرته وسيادته على فلسطين مرة أخرى ، وإن ظل مالكا لجزيرة قبرس .

وفى سنة ٣٠٦ ق . م . تحطمت قوى بطلميوس البحرية وحلت بها كارثة عظمية فان دمطريوس حاكم سورية هاجم قبرس ونشبت معركة بحرية بالقرب من سلاميس فوقع يطمليوس الهزيمة وقضى على حكمة فى الجزيرة . كذلك فقد بطلميوس فى معركة واحدة نتائج كل الجهود التى بذلها خلال ستة عشر عاما ليملك فى خارج أفريقيا سورية وقبرس ولكن بقيت مصر وبرقة . فظل السيد المطلق اليد فى مملكة النيل ، واستطاع بطلميوس أن يترث وأن ينتظر انقلاب دورة الحظ .

وبعد أن فقد بطلميوس كل املاكه فى خارج مصر فى سنة ٣٠٦ ق . م . انقلبت آية الحظ ثانية على (انطيوخونيس) فقد حلت بجيوشه كارثتان فى خلال السنتين التاليتين ، فقد أراد مهاجمة مصر وأن يذل عقبتها الخالدتين (الصحراء والنيل)

عباً جيشه في أنطيقونيا (انطاكيا) ثم تحرك إلى غزة (نوفمبر ٣٠٦ ق . م)
وكان عدد جيشه كما قال « ديودورس » ٨٠,٠٠٠ رجل و ٨٣ (ثلاثة وثمانون) فيلا
هنديا مصحوبة بأسطول مكون من ١٥٠ قطعة حربية و ١٠٠ نقالة تحت إمرة ديمطريوس
وقبل أن يبدأ الجيش اجتياز الصحراء وزعت على رجاله مؤن تكفي عشرة
أيام . وأجرت فئة من البدو أدلاء على الطريق على أن يحملوا معهم ١٣,٠٠٠ مدمني
(وزنا من القمح والعلف والدواب) .

وقد كان من الأوفق — إذا نظرنا في الأمر من الوجهة الطبيعية المحضة — أن
يؤجل « انطيجونس » هجمته على مصر إلى الصيف . فان النيل يكون فائضا في
الشتاء والملاحة البحرية صعبة إذ تعصف رياح شمالية غربية على الشاطئ . ولكن
ضرورة القضاء على بطليموس وهو مازال ضعيفا بعد خسائره في قبرص حمل انطيجونس
على أن يعجل بمحاولته . وكانت النتيجة أن اسطول « ديمطريوس » لم يستطع
مقاومة الرياح وجنح كثير من سفنه إلى الشاطئ في رآفيا (رفح) . وأصبح التعاون
بين الاسطول والجيش كما كان منتظرا من قبل في حكم المستحيل عمليا .

ولما وصلت قوات حلفاء « ديمطريوس » إلى بلوسيوم وجدتها محصنة ، وان
مدخل النهر موصدا بالسفن . هذا إلى أن النهر تغشاه سفن صغيرة متأهبة لمقاومة كل
محاولة يقصد بها عبوره . وقد امتدت عدوى الفرار من الخدمة في جيش « انطيجونس »
فنقص عدد جنده كثيرا .

وحين رأى أنه يتعذر عليه في (بلوسيوم) النزول أراد أن ينزل في مكان أبعد
منها غربا فامس الفشل . فقصده مصب النهر عند دمياط فصد أيضا . ثم عاجلته عاصفة
أخرى حطمت ثلاثا من أكبر سفائنه . ولم يتمكن من العودة إلى معسكر أبيه شرق
المصب البلوسيومي إلا بكل عناء . فارتد انطيجونس عن حدود مصر بأقصى
ما يستطيع من سرعة لينجو بما تبقى من جنوده .

واستطاع بطليموس فيما بعد أن يستولى على فلسطين ويسترد جزيرة قبرص
(٢٩٥ — ٢٩٤ ق . م) وكانت قد انتزعتها منه قوات ديمطريوس وظلت بها ست

سنوات بعد موقعة إيسوس . وحوالى سنة ٢٨٧ ق . م كان للأسطول المصرى السيادة فى بحر « ايجة » كما استرد بطلميوس حمايته الفعلية على مجموعه جزيرة قوقلادس .

والآن لنعد لذكر بعض الحقائق الأولى الخاصة بالجيش .

بطلميوس الأول (ساتراب — سوتر) ٣٢٣ — ٢٨٢ ق . م :

عندما اختار بطلميوس مصر لتكون مقرا لحكمه وجد أنها قد وهبته أشياء عديدة . وهبته ارضا يسهل الدفاع عنها وثروة مادية عظيمة . سواء من مواردها الطبيعية أو من المتاجر التى كانت ترد اليها على ظهر النيل . وخلعت على ملوكيته فوق ذلك عظمة التقاليد المصرية — وهبته نضارتها ولكنها مع كل ذلك لم تعطه كل الضروريات فانها لم تزوده بالقوة البشرية وكانت من أهم الحاجات اليه . والحقيقة أن مصر كان فيها عددا وافر من الرجال ولكنهم لم يكونوا حينذاك فى زعمه من الطابع الذى يستطيع قائد حربى أن يؤلف منهم جيشا يناجز كتائب مؤلفة من جنود مقدونية وأغارقة . فكان من الضروري أن يحصل بطلميوس على عدته من المقدونيين أو الأغارقة ، ولكن أنى له بهؤلاء ؟ خطرت له فكرة انشاء مقدونية اصطناعية فى مصر ، وذلك بأن يكون طبقة من الفلاحين للمقدونيين أو الأغارقة . فنشر ألوقا منهم فى عرض البلاد وطولها . يفلحون الأرض ويستولدون الماشية . فإذا أذن مؤذن الحرب هبوا اليها ، فحملوا الحراب راجلين . أو امتطوا صهوات جيادهم فرسانا . وخرجوا فيالق أو صفوفات يتبعون بطلميوس أو أحد قواده إلى حيث أراد .

ومن أجل أن تعمر المدن الاغريقية الجديدة كالأسكندرية وتثبت قدم العساكر المستعمرين فى البلاد ، استوفد بطلميوس ألوقا من الاغارقة والمقدونيين إلى مصر . لم يجلبهم كلهم من أغارقة مقدونية بل كان أكثرهم ممن يقعون فى الأسر بعد النصر كما كان من بينهم فرق تألفت جنودها من المغامرين الذين استقدمهم كرم بطلميوس أثر أن ذاع عنه فى العالم الاغريقى أنه ذلك الجواد الكيس الكريم الشهم . الذى يجدر بكل رجل فقى يود أن يعيش جنديا أن يعبر البحر ليكون تحت إمسته .

لما بدأ حكم بطليموس الأول في مصر كان الجنود الوطنيون يؤلفون طبقة مستقلة من طبقات الشعب المصري . تلك الطبقات كان من أهمها طبقة الفلاحين ورجال الدين . وكان الأغريق يطلقون على هذه الطبقة المحاربة كلمة ماشيموى (Machimoi) أو الرجال المحاربون^(١).

ويسود الشك إلى أى حد كانت تشترك الجنود المصرية في جيوش البطالة قبل أن يعتلى العرش بطليموس الرابع (فيلوباتور) (Philopator) فقد ذكر المؤرخ (Polybius) بوليبيوس أن تسليح المصريين كمحاربين في عهد بطليموس ٤ (٢١٧ ق.م) كان عملاً وقتياً ، في حين ذكر المؤرخ ديودورس أن في معركة غزة (٣١٢ ق.م) اشترك الجنود المصريون مع بطليموس الأول وقامت بعض الوحدات المصرية بأعمال النقل بينما قامت أخرى بأعمال القتال .

ومن المحتمل أن يعود سبب استخدام الجنود المصرية إلى حاجة بطليموس الأول (سوتر) اليهم لمعاونة قواته في حملة (٣١٢ ق.م) الفجائية لكنه لم يكرر التجربة مرة أخرى حتى مر قرن كامل عندما استخدم بطليموس الرابع (فيلوباتور) الجنود المصريين في ميادين القتال . وإذ ذاك سلحت الجنود المصرية بأسلحة القتال التي كان يتسلح بها جنود الأغريق تماماً ونظموا في فيالق نظامية .

وكان المصريون قبل ذلك الوقت يسلحون بالأسلحة والدروع الخفيفة التي كانوا يحملونها في أواخر أيام الدولة المصرية . كما كان لا يطلب منهم سوى الاشتراك في بعض العمليات العسكرية كأعمال الاستكشاف مثلاً .

(١) انظر المصادر الآتية :

1. Lequier : les institutions militaires d l'Egypte sous les lagides
Paris II Bevan : A History of Egypt under the Ptolymaic
Dynasty.

راجع أيضاً : إبراهيم نصحي : مصر في عصر البطالة . القاهرة ١٩٤٦ .

ويرى المؤرخ الفرنسى لېسكيه (Lesquier) أن القوات الوطنية (ماشيموى) استخدمها بطلميوس الأول ومن جاء وابعده كحاربين ، أما بطلميوس ٤ فقد أقدم على تسليح المصريين كلهم ، ولم يجند رجال الطبقة المحاربة فقط . وإن كان هذا رأى يختلف عما ذكره المؤرخ بوليبيوس .

وعلى أى حال ، ففي الأيام الأولى من حكم أسرة البطلمة استخدم رجال الطبقة المحاربة فى أعمال الأمن الداخلى او فى الأعمال البحرية كحراسة السواحل والأسطول النهري ثم نظمت القوات المصرية فى الأيام الأخيرة لحكم البطلمة ، فى فيالق اسمها (Laarchiai) يقود كل واحدة منها ضابط يدعى (Laarché) وكانت القوات الأولى التى حاربت فى جانب بطلميوس الأول بعد وفاة الاسكندر ضد منافسيه قوات مقدونية وكان قد أحضر منهم عددا كبيرا استعان بهم فى حروبه ومنحهم مستعمرات عسكرية واستمرت عملية الاستعمار العسكرى فى نمو واطراد فى أيام بطلميوس الثانى و بطلميوس الثالث . وصار المكدونيون وغيرهم من الجنود الإغريقية الأوربية يكوّنون أغلبية قوات البطلمة حتى معركة رفح التى أسبجىء الكلام عليها .

ويجب علينا أن نميز بين القوات النظامية والقوات المأجورة ، فقد كان رجال القوات الأولى من المقدونيين ، وبمرور الأيام انضمت اليهم عناصر أخرى ، فجند البعض من الأغريق المقدونيين المتوطنين فى الاسكندرية أو باتوليس (مدينة جرجا) . وكانت الأغلبية العظمى من رجال الجيش بعد الجنود المقدونيين من الاغريق وسكان الجبال البلقانية فكان رجال تراقيا يكوّنون العنصر الأكبر الذى يلى رجال مقدونية ثم الكرتيين من الاغريق . وكانت هناك نسبة صغيرة من الآشوريين وفيهم بعض اليهود . وكان لاختيالة اعتبار يسمو على المشاة فقد كانت أقطاعات جنود الخيالة أكثر اتساعا من أقطاعات جنود المشاة . وكانت تميز فيالق الخيالة عن بعضها بالأرقام كما هو الحال فى هذه الأيام . فيقال الفيلق الثانى والثالث والرابع .. وهكذا — وفى بعض الأحيان كان يميز فيلق عن آخر باسم مقاطعته التى ينتمى إليها ، فيقال فيلق الميسين وفيلق التراقين وهكذا ..

وكانت للفيالق المرقومة (Hipparchies) اللقام الأسمى . أما الفيالق التي تنتمي الى الأجناس المذكورة فكانت كما يعتقد المؤرخ ليسكيه تجيء بعدها في المنزلة ، وكانت الى أوائل عصر فليوباتور تتألف من جنود من أجناس ومن أوطان مختلفة دون تمييز لسكنهم احتفظوا بالزرد والدروع كما تمسكوا بتقاليد أبناء وطنهم في وسائل القتال

وكانت المشاة المنظمة (Pozoi) تسلح طبقا للأساليب المقدونية بالحرايب الطويلة ومنها تألفت الفيالق الثقيلة . وفي موقعة رفح كان عدد الفيلق ٢٠٠٠٠ جندي وكان ينظم الفيلق في وحدات تسمى (Chibirchis) ميزت عن بعضها بأرقام ، وكانت الكلمة الاغريقية التي تدل على كلمة ضابط المشاة (Hegemon) أما ضباط الحبال فكانت تطلق عليهم كلمة (Hipparchoi)

وكان القواد الذين اضطلعوا بالقيادات العليا في الجيش البطلميوسى من كبار الجنود المغامرين الذين كانوا يقدون من البلاد الاغريقية من وراء البحار ليقودوا قوات الملك المنظمة وكانوا قد تدربوا بين أفراد العصابات الجبلية منذ شببت أظافرهم .

والى جانب الجيش البطلميوسى للنظم المؤلف من الاغريق والمقدونيين ، للمتوطنين في مصر — والجنود المصريين — كانت هناك جنود مأجورة كثيرة العدد جلبها وأشرف عليها زعماء عصابات سابقون تدربوا على أعمال القتال في جبال و غابات آسيا الصغرى — وقد جمعهم من بين رجال المقاطعات التي تألفت منها بلاد اليونان في تيارم وييلو بونيز واسبندوس . فكان الزعيم اذا جمع أفراد جماعته قدم نفسه ورجاله الى الملك أو المدينة التي تقدم اليه أجرا أكبر من غيرها .

قلنا إن ثروة أسرة البطالمة اجتذبت جنودا كثيرين من هذا الطراز ، جاءوا من شعوب فيما وراء البحار في أفواج كثيرة . كما أن كثيرا من مملوك البطالمة استمدوا قواتهم المأجورة من المحاربين الذين امنازوا في استعمال بعض الأسلحة الخاصة كحملة القسي والدرقات الثقيلة وحملة السيوف ذات النهاين من أهل كريت وتراقيا ، أو من رجال بلاد الغال ذوي الشعر الطويل الناعم وسكان الشمال المسلحين بالدروع الطويلة

الضيقة والسيوف ذات الطول الممتاز وكانت لهؤلاء سطوة تؤثر على أعدائهم ومن استخدمهم ودفع لهم مرتباتهم .

وفي موقعة رفح كان جيش بطليموس الرابع مؤلفا من ١٠.٠٠٠ مأجور (خيالة ومشاة) منهم ٣.٠٠٠ جندي كريتى و ٦.٠٠٠ تراقي ومن بلاد الجال وكانت الجنود المأجورة تستخدم لعدة سنوات يتفق عليها . ومن بين الستة آلاف جندي المذكورين كان لأربعة آلاف منهم على الأقل اقطاعات وفيرة في مصر . كما كان الجنود المصريون في الجيش للنظم ، وكان للملك الآيات خاصة من الجنود المختارة وهي تؤلف حرسه الخاص يقيمون في ثكنات مجاورة للقصر الملكي غالبا في الاسكندرية ، وكان الحرس مؤلفا من الخيالة والمشاة وكان بين جنود الحرس وحدة مؤلفة من الجنود المصريين سلحوا على نسق الفيلق الاغريقية في رفح وعلى حسب الأسلوب للمصري القديم .

جلس بطليموس الرابع على العرش بعد وفاة أبيه . وقد ورث ملكا واسع الأطراف مدعم الأركان ، اشتمل على جنوبى سورية ومصر وقبرس وبرقة ، وكانت البحرية المصرية أقوى بحريات دول شرقى البحر المتوسط وقد امتد نفوذ سفنها الى جزر بحر ايجه وبعض أجزاء تراقية حول اينوس ومارونيا . وكان منافسه العظيم انطيوخوس — ملك دولة السلوقيين وميديا .

فراى ان ينشئ جيشاً مصرية لمحاربة قوات انطيوخوس المدربة . ولم يكن هذا العمل الحربى أمراً صعباً على دولة لها مقام مصر وقدرتها على الثروة والانتاج ففي استطاعة الملك استدعاء الخبراء العسكريين لتنظيم القوات الحربية التى تحتاجها البلاد فى تلك الظروف . واعدادهم لميادين القتال ويعتقد المؤرخ « ماهافى » أنه ليس من المعقول أن تفقد مصر قواتها الحربية الوطنية بعد ثلاث سنوات من وفاة بطليموس الثالث . ويضعف شأنها إلا إذا كان الجيش قد أهمل اهالا تاما أثناء الأعوام الأخيرة من شيخوخة الملك ومرضه .

صحيح جدا أن الجيش أصابه الاهال فى ذلك الحين ، ويدل على ذلك أن رجال البلاط الاسكندري عندما شعروا بوطاة الأزمة التى هددت سلطانهم خارج البلاد

عملوا على زيادة عدد قوات الجيش بإضافة عدد من المجندين الجدد واهتموا بتدريب الصفوف الموجودة ولما كانت الزيادة المنشودة تتطلب وقتاً طويلاً في حين كان انطيوخوس يهدد حدود مصر رأى رجال البلاط أن يدخلوا في مفاوضات مع انطيوخوس كسباً للوقت إلى أن يكملوا وحدات الجيش ويكونوا آله حرية تقوم بالدفاع عن البلاد . وكان غرضهم أن يعرقلوا مشروعه الحربى لغزو مصر (فى عام ٢١٩ ق.م) فاستدعت القوات الموجودة وتجمعت فى مدينة البازيوم تحت قيادة الملك الشاب . وأوصلوا الترع بالنهر بوسائل تجعلها صالحة لتكون خطوطاً للدفاع والمعروف أنه إلى ذلك الحين لم يكن انطيوخوس قد تقدم إلى مصر. فلما قدم شتاء عام ٢١٨ — ٢١٩ لم يكن مسيطراً تماماً فى قلب سوريا ولم يكن الساحل فى قبضته كما أنه لم يكن قد حزح القائد نيولاوى من ثغر دورة (Dora) واذ ذاك بدأ للمفاوضات المصرية مع انطيوخوس والذي فهم أن المصريين مستعدون لقبول شروطه معها كانت ورضى انطيوخوس بهدنة أربعة أشهر حادى أثناءها لقضاء فصل الشتاء .

وفى أثناء الشتاء استمرت للمفاوضات بين مندوبى العاهلين . ولكى تستمر للمفاوضات معقدة وتتطلب زمناً طويلاً ، اتصل البلاط الاسكندري . رجال بعض الإمارات الصغيرة ليتدخلوا بصفة وسطاء فى الصلح وقد برعوا فى تأدية هذا الواجب السياسى فى صالح مصر ، فبينما كانت للمفاوضات تبلغ الذروة اذ يسود للمفاوضات روح النشاط فتتعدد بعض المسائل وتذهب جهود المفاوضين هباء منثوراً ثم تتجدد ثانية وهكذا .

أما فى الاسكندرية وفى فصل الشتاء فقد كان النشاط سائداً جميع النواحي ، فكان الجنند الجدد يصلون اليها من جميع الجهات ، وتنشأ لهم العسكرات ، ويبدءون التمارين بوساطة ضباط من الأغريق فأصبحوا قادرين على القتال واشتركوا فى معظم الميادين للمقدونية تحت راية ملكين .

وكانت تصنع للمهات الحرية ومعدات القتال بنشاط وسرعة ليكون كل شىء على أتم الاستعداد بمجرد اعلان القتال . وكانت الجنود المأجورة تتدفق سفنهم على

ميناء الاسكندرية وسرمان ما ينضمون إلى معسكراتهم ويؤلفون وحدات جديدة في الجيش المصري .

وفي ذلك الوقت حرم على رجال البعثات الأجنبية النزول إلى شاطئ الاسكندرية لكي لا يلاحظوا النشاط العسكري الذي سرى في البلاد والاعداد القائم للحرب المقبلة ولكي يكون السر مجهولا في الشتاء انتقلت عاصمة البلاد (الاسكندرية) إلى مدينة منف حيث كانت تستقبل الوفود الأجنبية . وفي هذه المدينة القديمة وبين أحراش النخيل العالية ، لم تكن تظهر دلائل الاستعداد للحرب .

ونعلم مما كتبه بوليبوس كيف أعيد تنظيم الجيش المصري ، فأصدرت الأوامر بتسريح القوات القديمة وأعيد تنظيم الجنود في وحدات جديدة حسب أجناسهم وطبائعهم وأعمارهم ومهارتهم في استخدام أسلحة خاصة للقتال تختلف عن الأسلحة التي تدربوا على استعمالها للقتال .

كان هذا الطارئ الفجائي باعثا على اتخاذ عمل جديد ، فقرر البلاط انشاء فيلق من الوطنيين مع الفيلق المقدوني والإغريقي ، وتألفت قوات مصرية وطنية بلغ تعدادها عشرين ألف مقاتل مسلحين ومنظمين على الأساليب المقدونية ، وتدريبوا على استعمال (الساريسا) المقدونية . وهم في تشكيلات منظمة . وتألفت من المصريين وحدات كبيرة من الحيلة درهم بوليكرات الأرجوسي (Polycrates of Argos) الذي نشأ في أحضان أسرة شريفة من قدماء الأغريق وبجانب وحدات المصريين تجندت قوات من آلاف اللوبيين ، وأهالي برقة المصريين إندمجوا في الجيش المصري (في الحيلة أو في المشاة) وقد تسليح ثلاثة آلاف منهم حسب الأساليب المقدونية بقيادة قائد مقدوني من برقية اسمه أمونيوس (Amnonius) . واستدعى من للمستعمرات العسكرية في مصر الرجال القادرون على حمل السلاح — فوفد من الفيوم وغيرها عدد لا يقل عن ٤٠٠٠ من رجال فرنسا (Gauls) وتراقية ووصل ألفان عن طريق البحر من تراقيا بقيادة ديونيوس (Dionysius) ومع ذلك كان معظم الجيش من الأغريق والمقدونيين — وقد وصل عدد فيلقهم ٢٥٠٠٠ وليس كالفيلق المصري علاوة على الوحدات الأغريقية المسلحة الخفيفة والحيلة المقدونية .

وفي ربيع عام ٢١٨ انقطعت المفاوضات بين الطرفين دون نتيجة . وقد طالت
همدا لمهارة المفاوضات سوسيبوس (Sosibius) فتقدمت قوات أنطيوخوس بسرعة
ودخلت مدن فلسطين ووصلت إلى غزة وانتصرت بسهولة على القوات القليلة العدد
التي لم تقاوم القوات المتدفقة وانسحبت بمهارة واستدرجت المهاجمين .

موقعة رفح الثانية (٢٢ يونيو — ٢١٧ ق . م) :

كانت الخطة الحربية التي وضعت لا تتطلب استخدام الجيش الأصلي قبل الوقت
المناسب وكانت قد تحركت معظم وحداته بقيادة الملك نفسه في إقليم بوبسطة .

وفي ربيع عام ٢١٧ ق . م كان قد حان الوقت للدخول في المعركة الحاسمة .
وفي ١٣ يونيو تحرك الجيش المصري بقيادة الملك طابرا صحراء سيناء إلى فلسطين .
وكان مؤلفا من ٧٠ ألفا من المشاة وخمسين ألفا من الخيالة و ٧٣ فيلا أفريقيا تألف
منها سلاح الأفيال . وكان في ركاب الملك القائدان سوسيبوس واجاتوكليس
Agathocles وشقيقة الملك الطفلة أرسينو .

فلما بلغ أنطيوخوس خبر اقتراب الجيش المصري جمع قواته في مدينة غزة .
واستعد لمقابلة بطلميوس ثم تقابل الجيشان بالقرب من مدينة رفح على تخوم الصحراء
في المكان الذي اصطدمت فيه منذ خمسة قرون سابقة قوات ملك الاشوريين وهزمت
للمصريين . وكان جيش أنطيوخوس لا يقل كثيرا عن الجيش المصري (١) ولولا
ما كان في أخلاق أنطيوخوس من التهور والاندفاع لا انتصرت قواته على الجيش
للمصري . فبذ بادىء الأمر لم يكن الحظ حليف بطلميوس . فأكادت المعركة تبدأ
حتى هاجت الفيلة الأفريقية وزجرت ولم تقف لتقاوم عدوتها الهندية . ولولا ثبات
الجنود المصريين ، وهم مسلحون لأول مرة بالرمح الثقيلة لما أحرز بطلميوس النصر
على السلوقيين .

(١) كان جيش أنطيوخوس مؤلفا من قوات اغريقية ومقدونية وقوات اسبوية جندوا من
سوريا وفارس وآسيا الوسطى ، وكلهم مسلحون على الأساليب المقدونية وسلاح الفيلة
المؤلف من ١٠٢ من أفيال الهند .

بلوسيوم السابعة (١٧٠ ق . م) :

أعلنت الحرب بين بطلمیوس ٦ (فيلومتر) وخاله أنطيوخوس ٤ في سورية عام ١٧٠ ق . م . فحشد هذا جيشه وسار إلى مصر ، والتقى الجيشان عند بلوسيوم وانتصر أنطيوخوس وأسر خصمه ، ثم تقدم إلى منف ودخلها دون مقاومة ، ثم قصد الاسكندرية ، بيد أنه عجز عن فتحها ، فعاد إلى سورية بعد أن ترك حامية عسكرية في بلوسيوم ، ثم عقد الصلح بين الجانبين بوساطة روما .

بلوسيوم الثامنة (٥٥ ق . م) :

ضعفت أسرة البطالمة ، وتدخلت روما في شئون مصر . ففي أيام بطلمیوس ١٣ ضم الرومان قبرس إلى أملاكهم ، فلجأ إلى روما متوسلاً إلى مجلس الشيوخ لمساعدته ضد الشعب المصري الذي ثار عليه وخلعه . لكنه لم يلق أى عون ، فالتجأ إلى القائد بومبي الذي طلب من جابينوس الوالى الرومانى في سورية أن يساعده ، فأعد الوالى جيشاً أرسل معه ماركوس أنطونى أميراً على الفرسان . سارت الحملة عام ٥٥ ق . م . ، فوصلت بلوسيوم وهزمت حاميتها اليهودية . ثم أقبل جابينوس على رأس جيش آخر زاحفاً على مصر ، ففتحها وقتل الملكة يرينيس وزوجها أرفلاوس ، ثم ولى بطلمیوس ثانية على العرش .

بلوسيوم التاسعة (٤٨ ق . م) :

مات بطلمیوس ١٣ تاركاً ابنين وبنيتين : كليوباترة ، وأرسينوس ، وبطلمیوس الأكبر والأصغر . وكان قد أوصى قبل وفاته أن تزوج كليوباترة بابنه الأكبر ، وأرسل الوصية إلى مجلس روما لتنفيذها ، وأن يتولى الوصاية على ابنه إلى أن يبلغ الرشد . فأنفذ المجلس الوصية وعين « بومبي » وصياً على بطلمیوس .

وكانت كليوباترة ذات مطامع ، وراغبة في الاستقلال بالملك ، فحاولت إبعاد أخيها ، ثم نشبت الحرب بينهما ، فهزمت كليوباترة وفرت إلى سورية حيث أعدت جيشاً هادت به إلى مصر ، وانتصرت على أخيها وقتلته ، وانفردت في حكم البلاد .

ثم تنازع بومبي ويوليوس قيصر السلطة في روما . وانحازت كليوبطرة إلى أولهما
وقدمت له العون ، ولكن فاز قيصر عليه في معركة فرساليا باليونان (٤٨ ق . م .)
وعند ذلك انتهز بومبييس ، القائم على تربية بطلميوس الأصغر ، الفرصة ، وأعلن
سيده ملكا على البلاد وعزل كليوبطرة . فهربت إلى سورية حيث أعدت جيشا
وزحفت به على بلوسيوم التي أجبرتها حاميتها على عدم التقدم .

وكان بومبي عقب هزيمته قد فر راكبا البحر ، ووصل إلى بلوسيوم كلاجيء
سياسي ، وبعد أيام نفذت مؤامرة قتله . ثم وصل يوليوس قيصر إلى الاسكندرية
مطاردا خصمه ، وعرف بما حدث ، فزن على خصمه . ومنذ ذلك الحين أصبح
القنصل الأوحـد لروما ، ومن ثم بدأ يعمل لإزالة سوء التفاهم بين كليوبطرة وأخوها
فأمرها بصرف جيوشهما من بلوسيوم . وكان بطلميوس الأصغر قد عاد إلى
الاسكندرية ، ورأى أن يطيع أمر قيصر . لكن وصيه بومبييس لم يوافقـه ،
وأرسل إلى أخيلاس قائد الجيوش في بلوسيوم لكي يعود بجيشه إلى الاسكندرية ،
وألـا يرضخ لأوامر قيصر . وفي الوقت نفسه أرسل بطلميوس بأمر قيصر إثنين
من رجاله إلى أخيلاس ليبقى في بلوسيوم ، وكان القائد من رأى بومبييس ، فقتل
الرجلين ، وزحف على الاسكندرية على رأس جيش كبير . أما كليوبطرة فبقيت
مع جيشها خلف بلوسيوم ، وأدركت أنها تستطيع استمالة قيصر إليها ليحكم لها عند
شقيقتها ، وعزمت على أن تذهب إليه متخفية ، ونالت منه ما أرادت .

وصل أخيلاس بجيشه إلى الاسكندرية ، ونشبت بينه وبين قيصر عدة معارك
برية وبحرية ، كان النصر فيها يتبادلـه كل منهما : معركة حصار حول القصر ،
ومعركة بحرية في الميناء الغربى ، ومعركة بحرية أخرى ، وفقد جزيرة فاروس ،
ومعركة السد ، ومعركة النيل حيث هزم بطلميوس ١٤ وغرق وانكسر جيشه .
وأخيرا أصبح موقف قيصر حرجا بين مؤامرات القادة ورجال القصر ، وأصبح
في حاجة إلى قوات لإنقاذه من الورطة .

بلوسيوم العاشرة :

وصلت النجيدات إلى قيصر في بلوسيوم ، ففتحت المدينة عنوة ، وزحفت على منب وهليوبوليس ثم عبرت النيل . وكان قيصر قد عين بطالمبوس الأصغر بعد وفاة أخيه شريكا في الملك لكليوبطرة . وماد هو إلى روما بعد تقاضيه معها وزواجه منها تاركا في مصر حامية من جنوده تنفق عليها كليوبطرة .

وفي روما قتل قيصر غيلة . فطلبت كليوبطرة من مجلس الأعيان بروما أن يعترف بإبنها من قيصر شريكا لها في ملك مصر بدلا من أخيها . لكن رجال السلطة لم يوافقوها ، فعادت إلى مصر لعلها تنفذ عزمها عند سنوح الفرصة ، وانتهى الأمر بقتل شقيقها ، ثم انفردت بالحكم .

أسرعت كليوبطرة في إرسال نجدة إلى مارك أنطوني للانتقام من مديري قتل قيصر ، فكان جوابه عليها أن طلب منها الحضور إليه في طرسوس فلبت دعوته وفتنته بجماها ، ثم سأله أن يأتي معها إلى الاسكندرية ، فحضر وأولدها بنتا ثم توأما . وأرغمته الأحداث في روما بعد تولية خصمه أوغسطس قيصر الحكم على السفر إليها . وفي أكتيوم نشبت المعركة عنيفة (٣١ ق م) بين الخصمين ، ففر مارك أنطوني إلى الاسكندرية وعاش شهورا مع كليوبطرة .

بلوسيوم الحادية عشرة (٣٠ ق م) :

وتبعه أوغسطس حتى وصل إلى بلوسيوم وحارب جيش مصر وقواتها البحرية . فسلمت له المدينة ، ثم زحف إلى الاسكندرية . مخرج مارك أنطوني لقتاله ، ولكن خائنه قواده وفتحوا الطريق لأوغسطس ، فدخل المدينة .. والمعروف بعد ذلك أنه استل سيفه وانتحر ، في الوقت الذي انتحرت فيه كليوبطرة . وبموتها انتهى حكم البطالمة في مصر ، وبدأ حكم الرومان ، فالبيزنطيين حتى فتحها العرب بقيادة عمرو بن العاص (٦٣٩ م) .

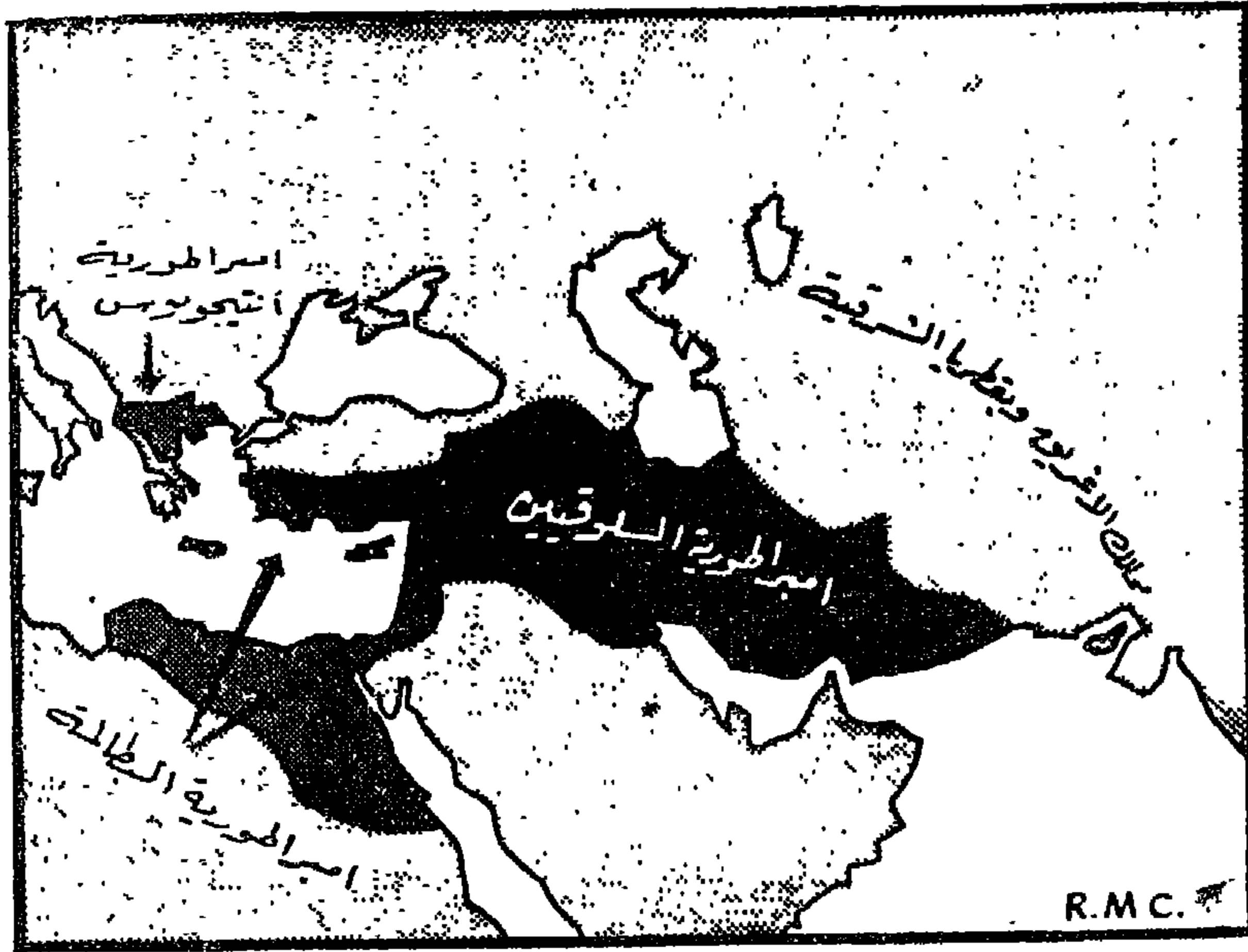
استخدام الفيلة :

كان بين أسلحة الجيوش الإغريقية بعد وفاة اسكندر المقدوني فيالق للفيلة « وكان استخدام هذا الحيوان بعد غزو الاسكندر للهند وفتحها . ففي القرن الرابع ق . م ، جلب سيلوقوس ^(١) من بلاد الشرق عددا من الفيلة الهندية ، وعفى بها في مدينة أباميا (Apamea) في وادي نهر الأورنت بسورية . وقد كان نقل الفيلة من الهند بطريق البحر عملا شاقا متعبا لا يقوم به غير أغنياء الملوك وفي عهد بطلميوس الثاني أوصى بأن يكون قنص الفيلة وجلبها عملا منظما تقوم به الحكومة على حسابها في أواسط وجنوبي إفريقية . فنظمت البعثات الخاصة لذلك وكان من أهمها في عهده ما وضع تحت قيادة ساتيروس (Satyrus) وأميدس (Eumides) فقد وصلا في رحلات متعددة إلى أقصى سواحل البحر الأحمر وإلى بلاد الصومال . واصطادا الفيلة . فكانت تنقل بحرا في سفن شيدت لذلك الغرض أطلق عليها حملة الأفيال (Elephantegoi) كما تسمى اليوم حاملة الطائرات (air craft - carrier) فإذا وصلت تلك السفن للشحونة بالفيلة إلى ميناء يرنيقة في البحر الأحمر نقلت عن طريق الصحراء إلى قفط (Koptos) وأومبي (Ombi) فيتسلمها موظف خاص عرف باسم مراقب الفيلة لتدريبها والعناية بها .

أما المكان الرئيسي للفيلة فكان في منف . وقد استدل من نقش أدوليس (Adulis) أنه كان من أهم أعمال بطلميوس الثالث جلب الفيلة من الجنوب .

(١) سيلوقوس أحد قادة الاسكندر ، ولاء على بلاد فيها بين النهرين ، فبدأ نجمه في المصعود إلى أن مات الاسكندر (٣٠٦ ق . م) فأعلن نفسه ملكا عليها ، كما أعلن بطلميوس الأول نفسه ملكا على مصر .

وقد كان على ساحل البحر الأحمر عدة محطات عسكرية تقام مؤقتا للعناية
بالفيلة منها ثيرون (Theron) التي حصنها القائد إيميدس (Emédes)، وبالقرب من
سواكن ويريقة ومصوع وأرسينو^(١) وكثيرا ما ترك قواد حملات صيد الفيلة
نقوشا ونصبها على سواحل بلاد الصومال استدل منهم على وصول قوافلهم إلى تلك
البلاد كما أثبتوا الغرض من رحلاتهم إليها.



(ش ٨٥) إمبراطوريات خلفاء الاسكندر الأكبر

(١) أرسينو مدينة بالقرب من بوغاز باب المندب وصل إليها نفوذ البطالمة .

٥ - الجيش الرومانى فى مصر

قبل التحدث عن النظام العسكرى فى مصر فى أثناء الاحتلال الرومانى ، نتكلم بإيجاز عن النظام الإدارى الذى عرف فى البلاد .

جابهت حكام مصر فى طول تاريخها القديم ثلاثة أمور رئيسية ، يتوقف عليها نجاح حكمهم لتلك البلاد ، وكان إهمالها يؤدى دائماً إلى تداعى الحكم القائم ، كانت هذه الأمور الثلاثة : —

- أ — الاحتفاظ بهدوء البلاد الداخلى .
- ب — الدفاع عنها ضد أى غزو أجنبى .
- ج — اصلاح طرق الرى والسهر على تنظيمها .

كان الاستقرار الذى نتج عن حروب بترونيوس فى اثيوبيا وإيجاد منطقة فاصلة بين مصر وأثيوبيا وتخضع لإدارة حاكم طيبة (Epistratigos) وتحميها حامية خاصة ، كان ذلك كافياً لصد أية متاعب تأتى من ناحية الجنوب لعدة سنوات ، وكانت كذلك القوة التى تركها أوغسطس فى مصر كافية بل وأكثر من الكافية للوقوف فى وجه أى خطر يهدد البلاد من الداخلى أو الخارج حتى أنه فى سنة ٢٣ م سحبت كتيبة من القوة المصرية .

وكان القائد الأعلى لسكل القوات هو الحاكم العام لمصر (Prefect) ، وكان جنود القوة مصريين فى الغالب ، وكلما تقدم الزمن كلما زادت نسبتهم فى الجيش .

وكان الجنود يقطعون الأراضى فى القرى وعواصم الأقاليم ، وكان لهم فى تلك الأماكن أثر كبير ، وكونوا طبقة عليا بالنسبة للسكان الأصليين .

وبعيدا عن الاسكندرية كانت المدن الكبرى تنزع إلى التألب على سلطة الحاكم وقد بدأ اقليم طيبة الثورة لدى وصول جياة الضرائب الرومانيين سنة ٣٠ — ٢٩ ق . م ، ولكن الثائرين سرعان ما شعروا أن قوة الاحتلال الرومانية كانت تختلف عن الجيش البطلمي المنحل ، فتمكن أول حاكم مصر جالوس (C Gallus) من إخماد الثورة في أيام ، وكان من قبل قد أخذ ثورة أخرى في هيرونبوليس ، وكانت أعمال جالوس المذكور بالغة القسوة حتى أن المصريين أخذوا إلى السكون مدة قرن ونصف قرن بعد ذلك .

أما عن التنظيم الإداري فان أوغسطس نزع إلى نظام للركزية المتطرفة ، كما كان البطالمة قبله ، وكما فعل العرب بعده ، كان الحاكم المسمى (Epistratigos) يشرف على شئون اقليم طيبة المدنية والعسكرية في آخر أيام البطالمة ، فنبع الرومان نفس النظام ، ويلوح أن مصر قسمت في ذلك العهد إلى ثلاثة أقسام إدارية ، طيبة والدلتا ومصر الوسطى بما فيها إقليم أرسينوى ، وعلى رأس كل قسم من هذه حاكم يسمى (Epistratigos) ، وكان جميعهم من أصل روماني ما عدا في طيبة فكان أغريقيا ، وكان نفوذهم إداريا مدنيا وقضائيا في وقت واحد ، ويشرف على الجميع الحاكم العام (Prefect) أي الوالى .

الجيش الروماني في مصر

في السنوات الأولى من حكم الإمبراطور أوغسطس كانت حامية مصر الرومانية تتألف من الآتى : —

١ — ثلاث فرق (Legions) إحداها بالأسكندرية والثانية في بابليون (مصر القديمة) .

٢ — تسع سرايا (Cohorts) ثلاث منها في الاسكندرية وثلاث في أسوان .

٣ — ثلاثة آليات للفرسان (Alae) .

وقد جهزت الحامية المصرية على ذلك الوجه لمواجهة كل الاحتمالات التي لم تكن معروفة بالضبط ، لأن حدود مصر لم تكن في الواقع فاصلة إلا من الجهة الشمالية ، وإن كانت الصحراء في الشرق والغرب قد كونت حدوداً دائمة ، كذلك لم تكن قوة جيرانها معروفة على وجه الدقة . هذا وقد كانت داخلية البلاد نفسها واحتياجها لقوات دائمة لاختضاع الثورات التي اشتهرت بها في آخر حكم البطالمة أمراً لا بد من وضعه موضع الاعتبار (١) .

غير أن الأحداث أفهمت الرومان أن القوات بمصر أكثر من اللازم ، فان دولة مرو في الجنوب خلدت إلى السكون بعد عدة مشاغبات وأنشئت عدة محطات عسكرية ممتدة على النيل جنوب أسوان ، فكانت كافية لتأمين الأجزاء الجنوبية من البلاد أما غزوات الصحراء فكانت قليلة وبسيطة ، وأما عن الثورات الداخلية فقد عرف مركزها وأصبح من السهل التغلب عليها .

وهكذا ما أتى عهد تيبريوس حتى كانت إحدى الفرق الثلاث قد سحبت ، وبعد ذلك بقليل جمعت الفرقتان الباقيتان في معسكر واحد بنيو كوبروليس قرب الاسكندرية وعلى العموم فقد أنقصت الحامية وأصبح عدد رجالها ١٦٧٠٠ بعد أن كان ٢٢٨٠٠

وفي عهد نيرون ظهرت فرق أخرى بمصر ، ولكن بصفة مؤقتة ، ولم تكن جزءاً من الحامية الأساسية ، ويرجح أنها جاءت مصر وقما فسكر الإمبراطور نيرون في غزو أثيوبيا ، ولكن في سنة ١٠٩ أضيفت فرقة بصفة دائمة لقوة جيش الاحتلال الروماني واستمرت الفرقتان القديمتان في مركزها بالاسكندرية ، ثم اختفتا بعد ذلك حتى كانت كل الحامية عبارة عن فرقة واحدة هي التي أضيفت سنة ١٠٩ وذلك في عهد أنيطونيوس ييوس ، وبقي إلى جانبها بعض السرايا (Cohorts) وبعض آليات الفرسان ، وكان عدد الجميع حوالي أحد عشر ألفاً ومائة رجل ، واستمر الحال كذلك

(١) Milne J.G. : A History of Egypt under the Roman Rule
pp 171-174

حتى عهد ديوكليتيان تقريبا اذ أعيد تنظيم الجيش الروماني فخلت فرقة وأتت مصر وحدات جديدة .

وفي خلال القرن الخامس اختفى نظام السكتائب من التنظيم البيزنطي للجيش بما ادخله جستنيان من التعديلات، وحلت محلها الوحدات ذات الأرقام . كما يستدل على ذلك من وثائق العصر ، وكانت الوحدات ذوات الأرقام تحمل أحيانا أسماء البلاد التي تعسكر فيها أو أى أسماء رسمية أخرى .

ومن المحتمل أن كل مدينة كبيرة كانت تعسكر فيها وحدة خاصة ، بينما تحرس الحدود قوات أخرى عظيمة ، أما شواطئ الدلتا فلها قواتها الخاصة منذ عهد أوغسطس .

وليس لدينا دليل على أن مصر وجدت بها جنود من قوات حلفاء الرومان ، وكان الأسطول يشرف على الملاحة النهرية داخل البلاد ، كما أنيطت به مهمة إرسال الغلال من مصر الى روما بحرا .

أما عن جنسيات الجنود التي خدمت في مصر فقد كانت في الغالب تتجند محليا ، حتى سنة ١١٩ كانت هناك ٦١ سرية (Cohorts) منها ثلاثة عشر من اهل مصر والباقي من شتى الممتلكات الشرقية ، وفي القرنين الثاني والثالث نجد مجموع الفصائل بلغ ستا وأربعين ، منها ثلاثون من أهل مصر عامة وكان التجنيد اجباريا لايعفى منه الفرد الا نظير مبلغ معين من المال ، وكانت قوات مصر العسكرية عبارة عن حاميات للأمن الداخلى أكثر من كونها وحدات معدة ليادين القتال .

ونحن نفتقر الى ما يثبت أن جيش الاحتلال الروماني قد اشترك في حروب خارج حدود مصر ، أو أنه اشترك في قتال مع قوات منظمة داخل حدود البلاد نفسها ، ذلك أنه بعد الفتح الروماني كان القرن الأول في مصر بعد الميلاد فترة هدوء وسلام مما أعطى للباطرة فرصة لإلحاق بعض وحدات من جيش مصر في الليادين الأخرى عندما كانت تدعو الضرورة لذلك ، كما حدث فعلا في أيام الامبراطور فاسبسيان في فلسطين وأيام الامبراطور تراجان في بارتيا .

وفي القرن الثاني قامت ثورتان عظيمتان في الداخل بسبب اليهود في أيام تراجان. وهديران ولكن سرعان ما أخمدتا بعد نضال بسيط .

وقد تعرضت البلاد مع ذلك لبعض الغزوات كان نصيبها الفشل ، وكانت من بينها غزوة فارسية سنة ٥٠١ نجحت بعض الوقت ثم عاد الرومان فأرجعوا القطر لسلطانهم ، وفي النهاية جاء فتح العرب ففضى نهائيا على الحكم الروماني بمصر ، والواقع أن الحامية الرومانية في البلاد لم تكن من القوة بحيث تستطيع مواجهة غزوة أجنبية منظمة ، وكان الغرض الأساسي منها ضمان الهدوء والسلام داخل حدود مصر نفسها .

ومما وجه الرومان عنايتهم له ، قوات المهجاة فزادوها لأهميتها في الدفاع ضد غزوات بدو الصحراء ، وتحديثا الوثائق أنه في منتصف القرن الثاني كانت بصعيد مصر قوة كبيرة من المهجاة .

وكانت للجيش الروماني بمصر واجبات سياسية إلى جانب قيامه بواجباته العسكرية فهو مكلف بحراسة المباني والمصالح الحكومية والمصانع المختلفة وعليه مراقبة اللواتي ومجاري المياه ، كما كان يقوم أفرادهم بمد الطرق وإصلاحها وحفر القنوات وتطهيرها وكانت القوات العسكرية تشترك أحيانا في جباية الضرائب ، ولا سيما في العهد البيزنطي .

كانت جميع القوات المحتلة بمصر منظمة بحيث تخضع جميعها لقيادة الوالي (Prefet) العين حاكما على مصر من قبل الأمبراطور الروماني ، واستمر الأمر كذلك حتى عهد ديوكليتان ، وكانت الاسكندرية هي المركز العسكري للبلاد ، وكانت الدلتا محصورة بين قوات موزعة في الاسكندرية ذاتها وبلوزيوم وبابليون وعلى طول الطرق ، كما توزعت وحدات صغيرة ، أما السويس فاختصت بقوة خاصة . .

وعلى النيل الأعلى كانت توجد وحدات في مختلف بلدان مصر الوسطى ، أما قفط ، فاعتبرت المفتاح الرئيسي إلى البحر الأحمر ، ولهذا وضعت بها قوات كبيرة منظمة وإلى جانب ذلك وزعت قوات في أسوان وطيبة وعند الشلال الأول حيث كانت الحدود الجنوبية للاحتلال الروماني .

وقد قوى الدفاع عن منطقة فيلة والنوبة ، ثم نزع الرقابة والقيادة من يد الوالى (Prefect) وأعطيت لقائد عسكري ، وبعد ذلك بقرن قسم الجيش فأصبح في مصر الوسطى والسفلى يخضع لقيادة الحاكم العام للقطر ، وفي طيبة يخضع لقيادة حاكم ليبيا وأقاليم الجنوب ، واستمر الأمر كذلك حتى عهد جوستينيان حيث وزعت مصر على أربعة حكام لكل منهم الاشراف العسكرية والادارى على ربع البلاد كالآتي :

١ — غرب الدلتا ويسمى اصطلاحيا مصر .

٢ — شرق الدلتا ويسمى اصطلاحيا أوجستنيكا (Augustanmica) .

٣ — مصر الوسطى وتسمى اصطلاحيا أركاديا .

٤ — إقليم طيبة .

وبدأت بذلك اللامركزية في إدارة الجيش تظهر ، بمعنى أن كل وحدة كانت تقوم بواجباتها منفصلة تماما عن الأخرى ، وخاصة في العهد البيزنطى ، وقد كان ذلك محتملا طالما كان الجيش قائما بأعمال شبيهة بأعمال الشرطة ، ولكنه انتهى بالدمار عندما اضطر الجيش لمقاومة الغزو العربى .

وكانت حماية البلاد والدفاع عنها يقوم على أساس إنشاء بعض الحصون والأسوار والتحصينات المحلية ، وأهم هذه كان في فيلة وأسوان .

الدفاع عن مصر :

نتج عن سقوط الاسكندرية في أول أغسطس سنة ٣٠ ق.م وضع الشرق كله تحت أقدام أوكتافيوس ، وأصبح لزاما عليه أن يسعى لضمان سلامته ، ولم تكن المهمة سهلة في أى مكان قدر سهولتها في مصر التى حبتها الطبيعة بمحدود منيعة جعلتها أفضل البلاد من ناحية الدفاع فى حوض البحر الأبيض كله ، ولقد أملت جغرافية مصر الطبيعية مبادئ السياسة العسكرية اللازمة للدفاع عنها ضد الغزو الخارجى وللاحتفاظ بالهدوء الداخلى .

إن مصر سهل منبسطة تكون من فتات الحجر الجيري الذي كان ينحدر تدريجياً من شواطئ البحر الأحمر حتى خط الواحات الممتد من حذاء أسوان إلى سيوة حيث معبد آمون القديم ، ويحد هذا السهل من شماله الشرقى شبه جزيرة سيناء ، وهو شاسع جداً يخلو من الأرض الصالحة للزراعة إلا فيما عدا الأجزاء التى يمكن أن يغذيها النيل بمياهه المنحدرة من جبال الحبشة وأفريقيا الاستوائية وجميعها تمتد على جنبات مجراه .

ويضيق ذلك المجرى عند الشلال الأول ويشق طريقه بين صخور رملية وجيرية حتى يصل إلى الأقصر (طيبة) ، فيتسع الوادى كثيراً ويتراوح عرضه بين اثني عشر وثلاثين ميلاً حتى يصل إلى القاهرة فتتكون الدلتا العظيمة التى تقع فى شمالها عدة بحيرات ، وكانت الاسكندرية تكاد تكون منفصلة عن باقى القطر لا يصلها به سوى ممر ضيق من الأرض حتى ممائها الأقدمون « الاسكندرية المتاخمة لمصر » (Alex andria ad Aegyptum) .

فوادى النيل إذن كان من الصعب الوصول إليه من جهة الشمال لوجود البحر الأبيض المتوسط ، ومن الغرب تحمى القطر صحراء ليبيا بينما تحميه من الشرق صحراء العرب ، وهكذا صدق قولهم عن مصر إنها متعزلة عن العالم بأسوار منيعة تحفها من جميع الجهات ، أما جنوب مصر فيحميه الشلال الأول ومن بعده مملكة الحبشة المفككة والتى كانت فى اوضاع رغم عدم تنظيمها سبب كثير من الشا كل .

وتدلنا أعمال التنقيب على أنه فى وقت الغزو الرومانى كانت الحبشة مقسمة كما كانت فى القرن الثالث قبل الميلاد — إلى مملكتين : الشمالية منها ومركزها نباتا والجنوبية ومركزها مروي .

(١) يشكر المؤلف الأستاذ الدكتور محمد عواد حسين لمساعدته القيمة فى كتابة هذا الفصل الختامى .

وكان أول من ولى أمر مصر ج . جالوس صديق فرجيل فأصبح عليه أن يوطد العلاقات مع أثيوبيا جنوبا وأن يضمن هدوء البلاد داخليا فيقضى على الثورات التى شبت فى شرق الدلتا بعد أن توطد حكم الرومان وحس الأهالى بعبئه الثقيل . وكانوا يظنون أنه بادية الأمر شيئا يسيرا فإذا به أشد من الذى سبقه ، وكانت أولى الثورات فى مدينة هيرونوبوليس (Heronopolis) شرقى الدلتا ، وفى طيبة حيث كهنة آمون أصحاب النفوذ الواسع الذين كانوا شوكة فى جنب الحكام السابقين . وكانت الثورات متواصلة ، ولكن سرعان ما كانت تخمد بفضل الحاكم الرومانى جالوس ، كما يحدثنا بنفسه على النصب التذكارى (Stele) الذى خلفه فى فيلة والمؤرخ فى ١٥ أبريل سنة ٢٩ ق . م . ففيه يقول مفتخرا أنه قضى على ثورة طيبة فى ظرف خمسة عشر يوما ثم مضى جنوبا حتى الحدود وواصل سيره إلى ما بعد الشلال الأول حيث استقبل سفراء فيلاى وأجبر ملكها على قبول الحماية الرومانية .

وقد داخل الغرور صدر جالوس لهذه الانتصارات فظن نفسه فرعوناً جديداً بمصر وبدأ يقيم لنفسه التماثيل فى أنحائها مما كانت نتيجة أن استدعاء الامبراطور أوغسطس ثم صدر قرار السناتو بآتهامه ، فانتحر .

ثم اضطرت روما إلى سحب قوات الحدود الجنوبية للانتفاع بها فى حملة وجهت لبلاد العرب تحت قيادة اليوس جالوس ، فكانت فرصة طيبة انتهزها أهل أثيوبيا للثورة وتدفقوا إلى الحدود سنة ٢٥ ق . م ، وتغلبوا على حاميتها الصغيرة . للسكونة من ثلاث كتائب فقط وتقدموا نحو الفنتين ، وكان والى مصر وقتئذ بترونيوس فذهب لمقاتلة الأثيوبيين بقوة بلغت عشرة آلاف من المشاة وثمانمائة من الحيلة فانتصر عليهم وطاردهم حتى طادوا إلى بلادهم وتمكن من كسرهم فى دكة ثم نباتا عاصمة الأثيوبيين الشمالية حيث كانت تعيش الملكة وابنها ، وقد حاولت أن تصالح بترونيوس ولكن له أبن .

وعاد بترونيوس مع الأسرى ، ومعه تماثيل أوغسطس التى كان الأثيوبيون قد نقلوها معهم . وفى طريقه حصن أبريم بقوة تبلغ أربعمائة من الرجال زودهم بمئونة

تكفيهم لمدة عامين كاملين . ولما وصل إلى الاسكندرية أرسل إلى أوغسطس ألفا من الأسرى تأكيداً لانتصاره .

وبعد عامين فكرت ملكة أثيوبيا للعودة إلى المشاغبة ولكن الوالى الرومانى أوقفها عند حدها فاضطرت لمفاوضته فى سبيل الصلح وتم الاتفاق بين الطرفين نهائيا وكان من نتيجة تلك الحرب الأثيوبية احتلال منطقة تسمى Dode kaschoines تمتد من أسوان إلى حيرا (١) وهى التى كان البطالسة قد أهدوها لمعبد أريس فى فيلة فأصبحت من أملاك العبودة المقدسة ، وكونت فاصلا بين مصر وأثيوبيا ، وهكذا أمنت مصر حدودها الشرقية . والغربية آمنة بطبيعتها لأن عرب الصحراء كانوا من الضعف بحيث لا يستطيعون القيام بغزوات على أرض الوادى .

وكانت مهمة الجيش الأساسية فى مصر هى الدفاع عن الحدود والاحتفاظ بالهدوء والسكينة فى داخل الحدود ، وكانت حامية واحدة ومتوسطة القوة كافية للغرض ، ولكن أوغسطس كان يرغب فى الاحتياط الكامل لكل الطوارئ فى مصر . فوضع فيها قوة كبيرة فى الواقع بالنسبة لحاجة الدفاع .

وكانت القوة كلها تخضع للحاكم (الوالى) وتتكون من ثلاث فرق ، وتسع كتائب وثلاثة آلايات من الحيلة ، والقوة فى مجموعها تبلغ حوالى ٣٢٠٠٠ من الرجال ، وكانت هناك قوة بحرية تشترك مع الأسطول السورى فى حماية الشواطئ الجنوبية للبحر الأبيض وتوصيل البضائع التجارية من الاسكندرية الى روما ، كذلك اقتنى أوغسطس أثر البطالمة فى تخصيص حامية نيلية لملاحظة الملاحة فى النهر من أسوان حتى البحر الأبيض وكانت فى الغالب تحت سيطرة الأسطول .

ويحدثنا سترابو عن توزيع حامية مصر فى أول الأمر ، فيقول إن إحدى الكتائب كانت بالاسكندرية وأخرى يابليون على الشاطئ الشرقى للنيل ، أما عن التسع فصائل ، فثلاث منها كانت بالاسكندرية وثلاث أخرى فى أسوان والباقي موزع

Hiera (١)

في أنحاء البلاد ، ويحتمل أنها كانت في مصر الوسطى ، وأما بخصوص وحدات الحيلة أو الآليات كما كانت تسمى Alae فلم يشير سترابو إلى أما كن معينة لها بالذات وإن قال إنها كانت موزعة في أما كن مناسبة .

وكانت فرقة الاسكندرية تسمى فرقة ديوتاروس الثانية والعشرون وذلك نسبة الى الملك ديوتاروس الذي تكونت هذه الكتيبة تحت حكمه في جالاتيا ودربت على النمط الروماني ثم ضمت للجيش بعد ضم جالاتيا الى أملاك الإمبراطورية سنة ٢٥ ق م وكان معسكر الكتيبة على بعد ثلاثة أميال شرق العاصمة في حي نيكوبوليس .

وأما كتيبة بابليون فنكاد لانعلم عنها شيئا ، وأما الكتيبة الثالثة فلم يشير اليها سترابو وإن كنا نعتقد أنها وجدت بمصر العليا عند قفط أو طيبة وكانت تسمى (سيرنيكا الثالثة) وقد وجدت آثارها عند طيبة حيث استخدمت في إخماد ثورتها ، وكانت قفط مركزا تجاريا هاما كما كانت مركزا حريا .

من ذلك نستطيع أن نستنتج مميزات التنظيم العسكري لمصر في عصر أوغسطس فقد كان احتلال مصر السفلى مضمونا بالقوات الثلاث التي ضمت الدلتا بين الاسكندرية وبابليون وبلوزيوم ، وكانت المواصلات بين تلك القوات الثلاث تقوم عن طريق فروع النيل وقنواته .

وكانت الاسكندرية هي المركز العسكري البري والبحري لمصر ، وكانت أهميتها تزداد شيئا فشيئا ، أما القيمة الاستراتيجية لبابليون فتتضح في أنها تتحكم كحلقة الاتصال بين مصر السفلى والعليا . أما بلوزيوم فكانت تشرف على الصحراء وبدوها ولاشك أن وحدات صغيرة من الجند كانت تحتل الحافة الشرقية للدلتا على الطريق للموصل بين بلوزيوم وبابليون ومنف ويحتمل أن مثل هذه الوحدات وجدت على طول الطريق بين منف — الاسكندرية — سيرانيكا (برقة) .

وفي سنة ٧ م ساد مصر السكون والهدوء وصمحت الظروف بانقاص حاميتها فسحبت كتيبة بابليون ولكن الفصائل بقيت كما هي وأصبحت قوة مصر حوالى سبعة عشر ألفا من الرجال .

وكانت تتوزع فى كبريات المدن مثل الأشمونين (هرموبوليس ماجنا) قوات مستقلة ، وفى بداية حكم أوغسطس حفرت الآبار وقد حدثنا عنها سترابو الذى جمع معلوماته عن مصر وقت زيارته لصديقه اليوس جاليوس وهو يحكمها ، كما حدثنا عن مستودعات المياه العظيمة التى أنشئت فى ذلك الحين ، وكانت تقوم بأعمال الحفر قوات من الجند ، وكانت كذلك تسهر على صيانة المنشآت بعد إتمامها قوات أخرى من الجيش لحمايتها من بدو الصحراء الذين دأبوا على مهاجمة الطرق التجارية .

وفى جنوب طيبة حيث يضيق مجرى النهر أمكن عمل المواصلات مع الحدود عن طريق الحصون المقامة على جانبي النيل .

أما بخصوص الاحتلال العسكرى للنوبة الجنوبية فلا نكاد نعرف الكثير عنه .

ديوقلد يانوس (٢٨٤ — ٣٠٥) .

لما تولى ديوقلد يانوس الحكم ، أقدم على عدة إصلاحات وتغييرات أساسية فى الشؤون الادارية والعسكرية والاقتصادية . وكان من أهمها فصل السلطتين المدنية والعسكرية فى المقاطعات الخارجية التى تحكمها الامبراطورية . فلم يعد الجيش خاضعا لحاكم مصر العام إذ أسندت قيادة الجند إلى قائد مستقل ، وضمت ليبيا إلى مصر وقسمت قيادة الجيش بين ثلاثة أشخاص (١) ولما تولى يوستنيانوس الحكم (٥١٨ — ٥٦٥) وتبعه أفراد أسرته حتى عام ٦١٠ عدل عن فكرة الفصل بين السلطتين المدنية والعسكرية ، وقسم الجيش إلى خمس وحدات كبيرة بعدد المقاطعات وجعل كل وحدة تخضع لإمرة حاكم المقاطعة ، وكان حكام المقاطعات يخضعون لقائد الشرق الذى كان مقره القسطنطينية .

وسرعان ما تفاقمت الأحوال لأن واجبات الحاكم المدنية أبعدته عن حياة الجيش ، وتبعاً لذلك عن متابعة تطور الفنون الحربية . ولم يزد عدد رجال الجيش على ٣٠٠٠٠ جندي ، وزعوا على المراكز العسكرية على الحدود وفى الداخل ، ثم فى المدن الكبرى وكان الوجه البحرى محصناً تحصيناً قوياً فى الزوايا للدلتا ، فى

الفرما شرقا ، والاسكندرية غربا ، وفي بايلون (مصر القديمة) جنوبا حيث كانت بها حامية كبيرة . وفي الوجه القبلى أنشئت على طول الوادى مراکز عسكرية فى المواقع الهامة ، مثل قفط وأسوان

والواقع أن الجيش فى مصر فى العصر البيزنطى كان جيشا هزيلا يقوده رؤساء غير أكفاء ، ويتألف من جنود مرتزقة غير مؤهلين ، وكان واجهم يقتصر على قمع الاضطرابات الداخلية ومساعدة الحكام على جمع الضرائب ، كأنهم رجال شرطة وقد أصبح للجندى حق الزواج واتخاذ مهنة مدنيه فى أثناء مدة خدمته فى الجيش^(١) وبمجرد أن خضعت أثيوبيا لم يعد على مصر خطر فى الواقع مدة قرنين ونصف قرن حتى فتح العرب مصر بقيادة عمرو بن العاص .

(١) د . مراد كامل : حضارة مصر فى العصر القبطى ، ص ٢٠ — ٢١ القاهرة ١٩٦٨

ملحق بأشهر قادة الجيش في مصر القديمة

آى (حوالى ١٣٤٤ — ١٣٤٢ ق . م) :

قائد خدم فى بلاط الملك أخناتون ثم تولى قيادة الفرسان . كان أول ثلاثة من القادة العسكريين الذين بلغوا العرش بين عهدي الأسرتين ١٨ و ١٩ . اعتلى العرش بعد وفاة توت عنخ آمون ، ولم يحكم سوى ثلاثة أعوام .

أمنمحب (ح ١٤٩٠ — ١٤٣٦ ق . م) :

قائد اشتهر بشجاعته وحسن تصرفه فى المعارك التى قادها تحوتمس الثالث عند أطراف نهر الفرات . دونت سيرته على جدران قبره بجمانة طيبة .

أونى (وونى) :

قائد عسكري وسياسي . اشتهر فى عهد الملك يي الأول (الأسرة السادسة) . قاد حملتين إحداهما فى فلسطين ، والأخرى فى بلاد النوبة .

بى نخت :

قائد لمع فى أيام يي الثانى (ح ٢٣٢٠ ق . م) قاد حملة لتأديب الخارجين من أهل واوات بالنوبة السفلى ، وحملة أخرى لتأديب بدو الصحراء الشرقية . من آثاره مقبرته القائمة فى جبانة أسوان على الشاطئ الغربى للنيل .

حور محب (ح ١٣٤٢ — ١٣٠٣ ق . م) :

قائد وملك ، وثانى فرعون من القادة العسكريين . نشأ جندياً وبلغ منصب القيادة فى أواخر أيام الأسرة ١٨ فى أيام اخناتون وكانت مصر والشرق الوسيط

تضطرب بالفتن الدينية والسياسية ثم بلغ العرش ، فأخذ مصر من السقوط . لم يعهد بالعرش لأحد من أسرته ، وإنما جعله لزميله في الجيش — القائد رمسيس الذى عرف فيما بعد باسم رمسيس الأول . شيد له قبر فى منف ولا يعرف مكانه .

حرخوف :

قائد برز فى أيام الدولة القديمة (٢٤٢٠ — ٢٢٧٠ ق . م) . قاد أربع قوافل إلى النوبة ، وأشهرها الثالثة . دون أخبار رحلة قام بها على جدران قبره بجبانة أسوان على الشاطئ الغربى للنيل .

سكنن رع (حوالى ١٥٩٥ ق . م) :

قائد وسليل بيت الإمارة فى طيبة أيام حكم الهكسوس . تزعم المكافين لاجلاء الغاصبين فقاد الثورة عليهم حين استفزه أميرهم أبوفيس . مات شهيدا « موميأؤه فى دار الآثار المصرية .

كاموسى (ح ١٥٧٠ — ١٥٧٠ ق . م) :

ابن سكنن رع وخليفته فى الجهاد الوطنى ، وثانى أبطال ثورة التحرير . قاد بعد أيه ثورة المصريين ضد الهكسوس ، فاجلاهم عن الصعيد ، وظل يطاردهم حتى أبلغهم رأس الدلتا .

أحمس (أحموسى — أمانوس) (١٥٧٠ — ح ١٥٤٥ ق . م) :

شقيق كاموسى . قائد وملك سطر فى الجهاد أروع صورة للشجاعة والوطنية فى طرد الهكسوس من مصر . دون أخبار حملة ضدهم أحد رجاله ويدعى أحموسى أيضا فى قبر له بجبانة الكاب . تربع على العرش فى طيبة وجعل منها عاصمة لمصر ولما مات خلفه ابنه أمنمحتب الأول .

تمحوت موسى — تمحوتمس الثالث (١٤٩٠ — ١٤٣٦ ق . م) :

سادس فراعنة الأسرة ١٨ . تمكن بالرغم من اضطراب الشرق بمختلف

العواصف السياسية أن يصبح سيد الموقف في الشرق الوسيط . قاد في سبيل ذلك
١٧ حملة حرية خاض بها معارك مظفرة ، منها معركة مجدو . كان أول من أدار
معركة حرية منظمة .

رمسيس الثاني (١٢٩٠ — ١٢٢٤ ق . م) :

ثالث فراعنة الأسرة ١٩ واشهر الفراعنة وأغنىهم في الآثار . لازمه الحظ في
مبادين الحرب ، فانتصر على جيوش خيتا (الحيثيين) في معركة قادش ، فسعى
إليه الأعداء يرجون السلام ، فمنحهم إياه وأكد بمعاهدة كانت الأولى من نوعها
في التاريخ . واشتهر أيضا بين القادة رمسيس الثالث (١١٩٥ — ح ١١٦٣ ق م)
في معارك ضد اللويين .

مراجع عريضة

- إبراهيم نصحي : تاريخ مصر في عصر البطالة ، جزءان . ١٩٤٦
- أحمد بدوي : في موكب الشمس جزءان . القاهرة
- : حور محب . مجلة كلية الآداب (جامعة القاهرة) ، المجلد ١٠ ، ج ١ ، مايو ١٩٤٨ ، ص ١٢٥ — ١٤٢ .
- _____ : أيام المكسوس في مصر . المجلة التاريخية ، المجلد الأول ١٩٤٨ ، ص ٤١ — ٨٦ .
- أحمد فخري : مصر الفرعونية ، القاهرة .
- إرمان ، أدولف : (ترجمة د . عبد المنعم أبو بكر ومحرم كمال) مصر والحضارة المصرية . القاهرة .
- إمماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار . جزءان . القاهرة .
- بتلر : (ترجمة محمد فريد أبو حديد) : فتح العرب لمصر ، القاهرة
- برستد ، جيمس هنري : (ترجمة د . حسن كمال) تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الغزو الفارسي . القاهرة
- بل ، هارولد : (ترجمة الاستاذ زكي على) : الهيكلية في مصر . القاهرة .
- دريتون وفاندييه : (ترجمة عباس يومى) : مصر سلسلة شعوب شرق البحر الأبيض المتوسط (القاهرة ١٩٤٩
- سليم حسن : مصر القديمة ، ١٦ جزءا (١٩٤٠ — ١٩٦١) : القاهرة .

عبد العزيز صالح : الحضارة المصرية . فصل التربية العسكرية ، المجلد الأول .
وزارة الثقافة والارشاد القومى .

محمد عواد حسين : حركات المقاومة الوطنية فى مصر البطلمية، القاهرة
هامرتون ، جون : تاريخ العالم، تعريب إدارة الترجمة بوزارة المعارف ظهر ٧ أجزاء .

د . محمد صقر خفاجة : تقديم وشرح د . أحمد بدوى :
هيرودوت يتحدث عن مصر . دار القلم . القاهرة .

بولسون ، جون : ترجمة د . أحمد لطفى :
الحضارة المصرية . مؤسسة فرانكلن للطباعة والنشر . القاهرة .

BIBLIOGRAPHY : مراجع أجنبية

- ALLSHORN, F : Thotmes the third : Egypt's mighty King.
London, The Sheldon Press, 1928.
- BONNET, H. : Die Waffen der Volker des alten Orients,
Leipzig, 1926.
- BREASTED, J. H. : The Battle of Kadesh. A study in the earliest
Known military strategy. Chicago, 1903.
- _____ : Ancient Records of Egypt, 5 Vols., Chicago,
1907, 2nd. Ed., London 1925.
- _____ : A History of the Ancient Egyptians, London,
1929 (1)
- BAIKIE, J. : A History of Egypt from the earliest times to
the end of the XVIII dyn , 2 Vols , Blackie
1929.
- BORCHARDT, L. : Alt agyptisch Festungen an der zweiten
Nilschnelle, Leipzig, 1923.
- BRUGSCH, HENRY : A History of Egypt under the pharaohs,
2 Vols., Murray, London, 1881.
- BUDGE, W. : Egypt and her Asiatic Empire, from Vol. IV
of the series entitled "A history of Egypt from
the end of the neolithic period to the death
of Cleopatra, 1901
- CHABAS, F. : Sur les campagnes de Thotmis III en Asie
d'après la steles d'Amenemhat., 1874
- CHAMPOLION : Monuments de l'Egypte et de la Nubie, Paris
1835 ---45

(١) ترجمه الى العربية الدكتور حسن كمال . القاهرة .

- DRIOTON, E. : Vandier, J. : Les peuples de l'Orient Méditerranéen, II. L'Égypte Presses Universitaires de France (1)
- EDGERTON, W. }
 & WILSON, J. } Earlier Historical Records of Ramses III 1935.
- EMERY, W. B : Archaic Egypt. Pelican Ed. London, 1961
- ENGBERG, ROBERT: The Hyksos reconsidered. Studies in Ancient oriental Civilization. Institute of the University of Chicago, 1939.
- ERMAN, ADOLF : (tran.) Life in Ancient Egypt, London, 1894.
 ————— : The literature of the Ancient Egyptians. London 1927
- FAIRSERVIS, W. A : The Ancient Kingdoms of the Nile (with map and photographs). Mentov. New York, 1962
- FISHER, CLARENCE The Excavations of Armageddon. Oriental Institute. Communications. No. 4, 1928 (with maps).
- GAUTHIER, H. : Précis de l'Histoire d'Égypte par divers historiens. Le Caire, 1932.
- GRIFFITH : Beni Hassan, Survey of Egypt.
- HALL, H. R. : The Ancient History of the Near East. London, 1920.
- HASSAN, SELIM : Le Poème dit de Pentaour et le Rapport officiel sur la Bataille de Qadesh, Le Caire, 1929.
- Helck, Hans Wolfgang: Der Einfluss der Militärführer in der 18 ägyptischen Dynastie. Leipzig, 1939.
- KUENIZ, Ch. : La Bataille de Qadesh, Mem. de l'Inst. Fr., Le Caire, 1928 1934.
- LEPSIUS, R. : Denkmäler aus Ägypten und Äthiopien nach den Zeichnungen... Berlin 1842/45.
- LORET, V. : L'inscription d'Ahmès, fils d'Abana. El kab. Bibl. d'étude de l'Institut Français.
- LUSHINGTON, E. : The Victories of Seti I recorded on the Great Temple of Karnak, 1879.
- MASPERO, G : Life in Ancient Egypt and Assyria, London, 1892

(١) ترجمه إلى العربية الدكتور عباس بيومي وراجعه الاستاذان محمد شفيق غربال
 وعبد الحميد الدواخلي .

- _____ : The Struggle of the Nations. Edited by
A. H. Sayce, 2 Vol , London, 1896.
- _____ : L's mémoires de Sinouhit - la lutte de Sinouhe
contre le bédouin
- MEYER, E. : Bericht uber eine Expedition nach Agypten
zur Erforschung der Darstellungen der Fremd
volker. 1913.
- _____ : Gottesstaat, militarherrschaft und Landewesen
in Aegypten zur 21 und 22 Dynastie.
Berlin Akademie, 1928.
- MURRAY, M. A. : The Splendour that was Egypt, London, 1949.
- MONTET, P. : (trans) . Everyday Life in Egypt in the daysof
Ramses the Great, Paris 1946, London, 1962.
- MORET, A. : Les invasions iraniennes et asiatiques — les
hyksos, le concert international au XVe. siècle
L'entente égypto-hittite et les peuples de la mer.
- .& Davy : From Tribe to Empire : Social organization
among primitives and in the Ancient East,
London, 1926.
- MULLER, M. : Asien und Europa nach altagyptischen
Denkmalern, Leipzig, 1893.
- _____ : Die Alten. Agypten als Krieger und Eroberer
in Asien, Alter Orient, 1903.
- Nelson, Harold. H. : The Battle of Megiddo, Chicago, 1913.
- PASSYPKHIN, E. A. : L'Art militaire de l'ancienne Egypte,
St. Petersbourg, 1901 (en russe).
- PEET, T. E. : The Stela of Sebek-Khu, the earliest record o
an Egyption campaign in Asia, 1914.
- _____ : Egypt, the imperialism of the 18th dynasty,
(See. : Great events in History), London, 1934.
- Petrie, Flinders : Tools and Weapons illustrated by the Egyptian
collection in the University College, London, 1917
- _____ : Tel Defeneh (Tanis), La forteresse. London, 1888
- _____ : Hyksos and Israelite cities, 1906

- : A History of Egypt, 3 Vols. London 1984,
1920, 1923.
- READE, W. : The Martyrdom of Man, Chapt. on War)
Thinker's Library, No. 25 London
- Save, T.-Soderbergh : The Navy of the 18th Egyptian Dynasty,
Ypsala Universitets Aras Krift (6)
- : Agypten und Nubien, Lund.
- Shipton, G. M. : Guide to Megiddo, Dept. of Antiquities.
Palestine, N D.
- Smith, G Elliot : The Ancient Egyptians and their influence upon
the civilization of Europe, London, 1911
- STEINDORFF, G } When Egypt ruled the East. The University
and SEELE, K. } of Chicago Press, Illinois, 1942.
- TOMKINS, H. : The Campaigns of Ramses II in his fifth year
against Kadesh.
- Von PAWLIKOW- }
SKI-CHOLEWA, A. } Die Heere des Morgenlandes. Berlin. 1940.
- WEIGALL, A. : The Glory of the Pharaohs. London. 1923.
- : The History of the Pharaohs, 2 Vols., London
1925. 27.
- WEIL, R. : XIIme. dynastie, royauté de Haute - Egypte
et domination Hyksos dans le Nord. Le Caire
1953.
- : Les deuxième et troisième dynasties égypti-
ennes, Paris, 1908.
- WIEDERMANN, E. : Das alte Agypten.
- WILKINSON. J. G. : Manners and Customs of the Ancient Egypti-
ans, 3 Vols., London, 1837.
- WINLOCK, H. E. : The Rise and Fall of the Middle Kingdom in
Thebes., New York, 1947.
- WOLF, WALTER : Die Bewaffnung des Alte Agyptischen Heeres.
Leipzig, 1926.
- WRESCINISKI, W. : Bilder Atlas zur agyptischen Kulturgeschichte.
Leipzig, 1923.

II. Articles*

- Blackman, A. M. : An indirect reference to Sesostris III's campaign in the tomb chapel of Dhoty-htp at el-Bersheh. J. E. A. , Tome II, 1st part.
- Bucher, P. : Les textes des tombes de Toutmosis III et d'Amenophis II. M. del Inst. Fr.
- Burne, : Some notes on the Battle of Khaderh. J. E. A. , Vol. 7, p. 191-195 1921.
- Clarke, Somers : Ancient Egyptian Frontier Fortresses, J. E. A. , part 3, p. 155-179, 1916.
- : El Kab and the Great Wall, J. E. A. , part VII, p. 51-79, 1921.
- Emery, W. B. : A Master Work of Egyptian Military Architecture of 3000 years ago, Illustrated London News, Sept., 1959, pp. 232-233 and 249-251
- : A preliminary Report on the Excavations of the Egyptian Exploration Society at Buhen, Kush, VII, (1959).
- Fakhry, Ahmad : Tomb of Nabamun, Captain of Troops. Ann. du Service des Antiq. de l'Egypte, t. XLIII, pp. 369-375, 1943.
- Faulkner, R. O. : Egyptian military standards, J. E. A. , Vol. 27, pp. 12-18, 1941.
- : The Battle of Megiddo, J. E. A. , Vol. 28, pp. 2-15, Dec. 1942.
- : The Wars of Sethes I, J. E. A. , Vol. 33, pp. 34-39, 1947.
- : The Euphrates Campaign of Tuthmosés III. J. E. A. vol. 32 p. 39—42. 1946.
- : Egyptian sea — going ships. J. E. A. vol XXVI, p. 3—9; and vol. 27. P. 158. 1940—41.

* J. E. A : Journal of Egyptian Archaeology.

- : Egyptian military organization. J. E. A.
vol. XXXIX p. 32—47. 1953.
- : The Baale of Kadesh. Mitteilungen des
Deutschen Arch. Institut. Band 16, p. 93—III.
1958.
- Floyer, : L'ancien mur de Denderah, B. I. E.,
99-102, 1894.
- Foucart, G. : Une expédition au desert sous les Pharaons de
l'ancien Empire, 1896.
- Gardiner, A. H. : The defeat of the Hyksos by King Kamose
J.E.A. Vol. III, p. 95, ff. 1916 and Vol.V, pp.54 ff.
- : An ancient list of the fortresses of Nubia,
J.E.A., Vol. III, p. 184, 1916.
- : The ancient military road between Egypt and
Palestine, J.E.A. Vol.VI. pp.179-205, 1920.
- Gardiner, & Langdon : The Treaty of alliance between Hittites and
Ramses III, J.E.A., p. VI.
- Gardiner, A.H. : Piankhi's Instructions to his Army, J.E.A.
Vol. 35, pp. 219-233, 1949
- & Gunn : The Expulsion of the Hyksos, J.E.A.. Vol.5,
pp. 36, 1918.
- Goedicke, H. : Considerations on the Battle of kadesh. J.E.A.
vol 52, pp. 71—80 1966.
- Hogarth, D. G. : Egyptian Empire in Asia, J.E.A.
- Lesquier, G. : Les armes (armes de main, de choc, de jet,
les armes défensives). Mémoires de l'Inst.
franc. du Caire.
- Kitchen, K.A. : Some new light on the Asiatic Wars of Ramses
II. J.E.A. vol 50, pp. 47—70. 1964.
- Loukianoff : Un troisième texte du Poème de Pentaour sur
la face ouest du Temple de Luxor, Bull. Inst-
d'Egypte, t. IX, p.57, 1927

- Lucas, A. : The Battle of Megiddo, Bull. S. Royale d'Archéology, Alex. No.34, Vol. II, pp 74-80, 1941,
- Maspero, G. : Le récit de la campagne contre Megiddo, sous Thoutmès III, Rec. de travaux relatifs à la philologie et l'archéologie égyptienne et assyriennes, p.48-56, 139-150, Paris 1880.
- Michalidis, G. : De la signification spéciale de certaines armes dans l'antiquité. Annales du Service des Antiq. de l'Egypte, t. XLVII, 1947.
- Moret, Alexandre : La campagne de Seti 1er. au Nord du Carmel d'après les fouilles de N. Fisher. Revue de l'Egypte ancienne, t. I, p. 18-30, Paris 1925
- Muller, Georg : Die Agypten und ihre libyschen Nachbar, D.M.G.Z. Ed. 78, p.36-60, Leipzig, 1924.
- Müller, Max : Inscriptions of Shoshenq 1st., Karnak, Egyptological Researches, Carnegi Inst. of Washington Publications, p. 143-153, Washington 1910.
- _____ : Syrian Victories of Ramses II, Luxor (North-west wall). Egyptological Researches, p. 154-180 Washington 1910.
- _____ : Ramses II taking Palestinian Cities (Karnak). Egyptological Researches, V. 2, p.104-108, Washington 1910.
- Naville, E. : Did Menepthah invade Syria, J.E.A. Vol. II8
- Noth, M. : Die Wege der Pharaonenheere in Palastina und Syrien. Deutscher Palast Verein Zeitschrift, Bd. 60, p.183-239, Leipzig 1937-1938.
- Parker, Richard : Darius and his Egyptian campaign. American Journal of Semetic Languages, Revival, p. 1-2, London 1925.
- Passykin, E. de : Les operations militaires de Thoutmès III après la prise de Megiddo, Rec. de travaux, pp.169-175, Paris 1904.
- Reisner, G. A. : Uronarti, Sudan Notes and Records, XIV, pp. 1-14, 1931.

- : Excavations at Semna and Uronarti, Sudan
Notes and Records, XII, p. 154, 1929
- Save, T. - Soderbergh : The Hyksos Rule in Egypt, J.E.A. Vol. 37,
pp. 53-71, 1951.
- Sethe, K. : Altaegyptische Ordensauszeichnung. Zeit
argypt. Spr. und Altertumkunden. Vol. XLVIII,
p. 143, Leipzig.
- Taggart, E. : A note on the Horemheb Relief. The Brooklyn
Museum Quarterly, Vol. XIX, No. 4.8. p. 147 ff.
- Wilson, J.W. : The Texts of the Battle of Kadesh. The Ame-
rican Journal of Semitic Languages and Lite-
ratures, Vol. XLIII , pp. 266-287, October 1926-

III — GRECO-ROMAN

- Bell, H. Idris : Egypt from Alexander the Great to the Arab conquest Oxford, 1948.
- Bevan, E. : History of Egypt under the Ptolemaic DynastyJ London, 1927.
- Butler, A. J. : The Arab Conquest of Egypt and the last thirty years of the Roman Dominion. Oxford, 1902.
- Chester, A. V. : Byzantine Egypt : Economic Studies, pp.215-229
ohnson and West : Princeton University Press, 1949.
- Droysen, H. : Heerwesen u Kriegführung der Grichen, 1889.
- Emery. W.B. : Nubian Treasure, London, 1948.
- Garofalo, M. : Sulle armate tolemaiche, Bull. de la Société d'Arch. d'Alex. 1898, 1902.
- Graindor, P. : La Guerre d'Alexandrie. Le Caire, 1931.
- Lesquier, J. : Les institutions militaires de l'Egypte sous les Lagides, Paris 1911.
- : L'armée romaine d'Egypte, à Auguste à Dioclétien, Mem. de l'Inst. Fran., 1918.
- Mahaffy, J. . : The Empire of the Ptolemies, London, 1895.
- : A History of Egypt under the Ptolemaic Dynasty, London, 1898.
- Maspero, J. : Organization Militaire de l'Egypte Byzantine, Paris, 1912.
- Meyer, P. M. : Das Heerwesen der Grischen und Romer in Aegypten, 1900.
- Milne, G. : History of Egypt under Roman Rule, London, 1924.

الفهرست

المحتوى

صفحة

مقدمة الكتاب	٣
تمهيد : تواريخ الدول والأسرات في مصر القديمة	١١

القسم الأول

الجيش في مصر القديمة :

الدولة القديمة : الخدمة العسكرية — امتيازات الجنود	٢٠
الدولة الوسطى : الرتب العسكرية — التدريب العسكرى	٢٧
الدولة الحديثة : نقوش المعابد والمقابر — مجلس شورى الحرب	٣٢
تنظيم الجنود للقتال — الجنود الفرسان — ادارة الجيش والنظم الحرية	
كاتب المجندين — التجنيد — حماية الحدود — قائد الجيش — القائد الأعلى	
وظائف المتقاعدين — جندى الميدان — الضابط — ألقاب الشرف فى الجيش	
آلهة الحرب — الحصون فى مصر القديمة — حصون الجنوب — قلعة	
كوبان — قلعة سمنا — بوهين — الحصون فى أعقاب الأسرة ١٢	
تطور عمارة الحصون	...
صناعة الأسلحة فى مصر القديمة : الدرع — القوس — الرمح — المقلاع	٨٩
السيف — المدية — السيف القصير — البلطة ذات اليد القصيرة	
الصولجان — صناعة العربات والأسلحة — العجلات الحربية . أطقم الجياد	
توزيع الأسلحة والمهمات العسكرية — أعلام الجيش — الموسيقى العسكرية	

القسم الثانى

حروب مصر القديمة

صفحة

- ٢١ مينا وتوحيد مصر: الأسرات الأولى والثانية والثالثة والرابعة والخامسة
والسادسة والثامنة حتى الحادية عشرة . الأسرة الثانية عشرة والثالثة عشرة
٣٠ الهكسوس ومعركة التحرير . الملك أحس الأول . أثر الهكسوس فى مصر

القسم الثالث

- ٣٧ الامبراطورية المصرية الأولى : تحوتمس الثالث
معركة مجدو — مجد مصر الحربى — الضعف على أيام اخناتون —
توت عنخ آمون — الأسرة التاسعة عشرة — حورمحب — سبتى الأول
رمسيس الثانى
٩١ الامبراطورية المصرية الثانية : معركة قادش — منفتاح واليهود
الأسرة العشرون — رمسيس الثالث
٣٤ معارك الأسرة العشرين
٣٧ الأسرة الثانية والعشرون : شيشنق الأول — شيشنق الثانى . . .
الأسرة الثالثة والعشرون والرابعة والعشرون وحكم الليبيين . . .
٣٩ الأسرة الخامسة والعشرون : حكم النوبيين — بعنخى — طهارة
٤١ الأسرة السادسة والعشرون : بسمتيك الأول — بسمتيك الثانى
٤٨ الأسرة السابعة والعشرون : الفرس فى مصر
٥٠ الأسرة الثامنة والعشرون ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ مصر بين أبناءها والفرس

القسم الرابع

- ٥١ الجيش فى أيام البطالمة

القسم الخامس

- ٦٨ الجيش فى أيام الرومان

صفحة

٢٧٩	ملحق بأشهر قادة الجيش
٢٨٢	مراجع الكتاب : المراجع العربية — المراجع الأجنبية
٢٩٣	فهرست الكتاب

فهرست الصور والخرائط

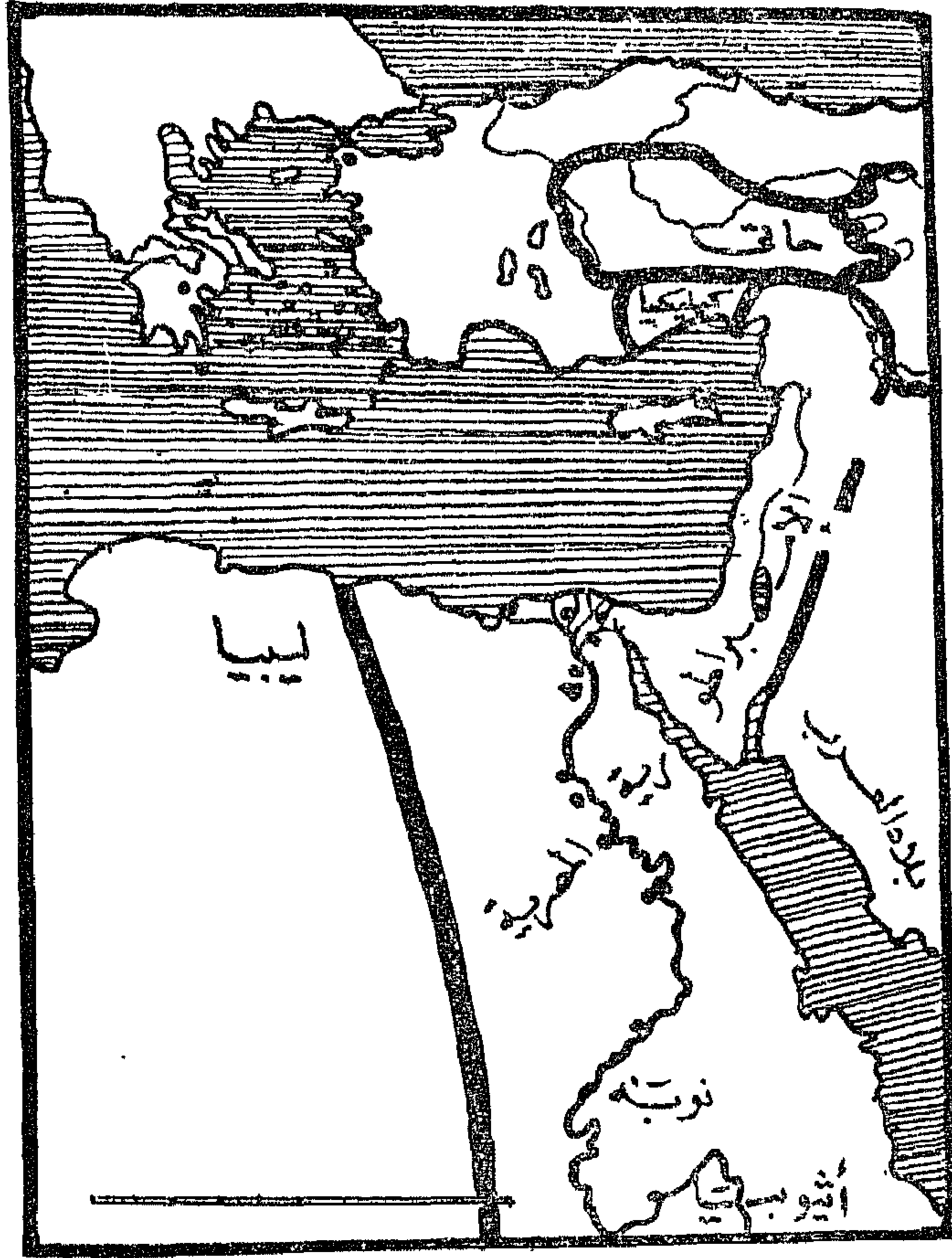
صفحة

٣٤	ش ١ — جنود نظاميون — حملة الرماح والباط
٧٨	ش ٢ — قطاع أفق لمدينة الكاب القديمة وأسوارها وقلعتها
٨٣	ش ٣ — مخطط أفق لقلعة شونة الزيب وتفصيلات معمارية
٨٤	ش ٤ — مخطط أفق لقلعة كوبان
٨٤	ش ٥ — تفصيلات معمارية لقلعة كوبان
٨٥	ش ٦ — مخطط أفق لقلعة سمعة الشرق
٨٥	ش ٧ — مخطط أفق لقلعة سمعة الغرب
٨٦	ش ٨ — خريطة النيل تبين أما كن الحصون القديمة بين حلفا وسمعة
٨٨	ش ٩ — حملة الدروع والرمح في الجيش المصري
٩٧	ش ١٠ — دروع مصرية متنوعة الشكل
٩٧	ش ١١ — خوذات ومقلاع وسياط وضباط يحملون الشارات
٩٨	ش ١٢ — فصيلة من جنود الدولة القديمة يحملون العصي
٩٨	ش ١٣ — فصيلة جنود نظامية من حملة الباط والقسي
٩٩	ش ١٤ — ستة أشكال تبين طرق استخدام القوس المصرية
١٠٠	ش ١٥ — أشكال مختلفة لرءوس النشاب وعصى الترميثة
١٠٠	ش ١٦ — خمسة من جنود أمنحوتب الرابع (اخناتون)
١٠١	ش ١٧ — أشكال متنوعة لسلط القتال والصولجانات
١٠٢	ش ١٨ — الحنجرة وكيفية الطعن به
١٠٢	ش ١٩ — فارس مصري قديم على ظهر جواده
١٠٣	ش ٢٠ — منظر يبين تدريب الجياد وترويضها في مدينة هابو

- ش ٢١ — مناظر مختلفة تبين صناعة عربية القتال في طيبة ١٠٤
- ش ٢٢ — عربية قتال مصرية يجرها جوادان ١٠٥
- ش ٢٣ — أفراد البيت المالك في عجلاتهم الحربية ١٠٥
- ش ٢٤ — عربتان للقتال وقطع أطقم الخيل ١٠٦
- ش ٢٥ — أقدم أشكال العلم المصري ١١٣
- ش ٢٦ — علم عهد الملك إخناتون ١١٣
- ش ٢٧ — علم مربع الشكل ١١٤
- ش ٢٨ — علم مربع الشكل ١١٤
- ش ٢٩ — علم مربع يمتاز بريشة في الجانب العلوى ١١٤
- ش ٣٠ — علم البحارة ١١٤
- ش ٣١ — علم سفينة الملك ١١٤
- ش ٣٢ — علم سفينة الشمس ١١٤
- ش ٣٣ — علم منقوش على جدران الدير البحري ١١٥
- ش ٣٤ — علم يمثل رأس صقر ١١٥
- ش ٣٥ — علم يمثل رأسا بشرية ١١٥
- ش ٣٦ — علم التدريب لاحدى الوحدات البحرية ١١٦
- ش ٣٧ — علم وحدة بحرية ١١٦
- ش ٣٨ — علم وحدة بحرية ١١٦
- ش ٣٩ — علم وحدة بوليس العاصمة ١١٦
- ش ٤٠ — عربية رمسيس ٣ الحربية ١١٧
- ش ٤١ — شارات الرتب العسكرية المصرية ١١٨
- ش ٤٢ — الجنود المصريون يحاصرون قلعة للأعداء ١١٩
- ش ٤٣ — قلعة سمينة التى شيدها سنوسرت الأول ١٢٥
- ش ٤٤ — منظر من قبر « بنت أمون » فى طيبة ، وكان صاحبه ضابطا ١٢٧
- ش ٤٥ — خمسة من جنود « أمنحتب الرابع » (إخناتون) تل العمارنة ١٢٨
- ش ٤٦ — خريطة موقع مجدو العام ١٣٨

- ش ٤٧ — خريطة توضح مواقع العسكرات المصرية والآسيوية أمام مجدو ١٣٩
- ش ٤٨ — خريطة توضح حركة التفاف القوات المصرية بالقوات الآسيوية
- أمام مجدو ١٤١
- ش ٤٩ — خريطة تبين حدود مصر في عهد تحتمس الثالث ١٤٣
- ش ٥٠ — لوحة نارمر (الأسرة الأولى) تبين الملك نارمر متغلبا على أعدائه ١٤٥
- ش ٥١ — تمثال من البرونز للملك يبي الأول (الأسرة السادسة) ١٤٧
- ش ٥٢ — تمثال من البازلت الأخضر للملك خفرع (الأسرة الرابعة) ١٤٩
- ش ٥٣ — تمثال من الحجر الرملي للملك سنوسرت الأول (الأسرة ١٢) ١٥١
- ش ٥٤ — تمثال من الجرانيت الرمادي للملك سنوسرت الثالث (الأسرة ١٢) ١٥٣
- ش ٥٥ — تمثال للملكة تيتا شيري جدة أحموسى (الأسرة ١٨) ١٥٥
- ش ٥٦ — بلطة قتال عثر عليها بمقبرة الملكة آح حوتب ١٥٧
- ش ٥٧ — رأس تمثال للملك تحوتمس ٣ (الأسرة ١٨) ١٥٩
- ش ٥٨ — تمثال للملك توت عنخ آمون (الأسرة ١٨) ١٦١
- ش ٥٩ — خنجر ذهبي ذو مقبض منقوش باسم الملك توت عنخ آمون ١٦٣
- ش ٦٠ — تمثال للقائد الملك حور محب (الأسرة ١٨) ١٦٥
- ش ٦١ — تمثال للملك رمسيس الثاني (الأسرة ١٩) ١٦٧
- ش ٦٢ — لوحة للملك رمسيس الثالث (الأسرة ١٩) ١٦٩
- ش ٦٣ — رمسيس الثالث قابضا على سيفه المعقوف وقوسه ١٦٩
- ش ٦٤ — نموذج تخيلي لحصن بوهين في عصر الدولة الوسطى ١٧١
- ش ٦٥ — شارات الذبابات الذهبية الخاصة بالضباط ١٧٣
- ش ٦٦ — معبد حصن بوهين بعد تجديد بعض مبانيه ١٧٥
- ش ٦٧ — خريطة تبين حدود مصر الجنوبية في عهد أمينوفيس ٣ ابن تحوتمس ٤ ١٩٠
- ش ٦٨ — خريطة تبين موقع قادش هدف رمسيس ٢ ١٩٩
- ش ٦٩ — خريطة تبين الوضع الأول لفرق الجيش المصرى في معركة قادش ٢٠٥

- ش ٧٠ — خريطة تبين الوضع الثانى لفرق الجيش المصرى فى معركة قادش ٢٠٧
- ش ٧١ — خريطة تبين الوضع الثالث لفرق الجيش المصرى و فرق
الحيشين فى معركة قادش ٢١١
- ش ٧٢ — خريطة تبين الوضع الرابع لفرق الجيش المصرى و فرق
الحيشين فى معركة قادش ٢١٣
- ش ٧٣ — منظر من معركة قادش بعد ما ضل رمسيس ٢ بأبناء زائفة ٢١٥
- ش ٧٤ — خريطة تبين الوضع الخامس لفرق الجيش المصرى و فرق
الحيشين فى معركة قادش ٢١٥
- ش ٧٥ — مناظر فى المعسكر ٢١٩
- ش ٧٦ — بعض مناظر معركة قادش فى الرمسيوم ٢٢١
- ش ٧٧ — منظر للقتال الناشب فى إحدى مراحل معركة قادش ٢٢٣
- ش ٧٨ — القتال فى إحدى مراحل حصار قادش ٢٢٧
- ش ٧٩ — مناظر عامة ومنوعه لتدريب الجيش على القتال ٢٢٩
- ش ٨٠ — لوحة للملك رمسيس ٣ وهو يصوب سهمه ٢٣٠
- ش ٨١ — جندى آشورى مسلح بالأسلحة الخفيفة ٢٣٨
- ش ٨٣ — تمثال لآشور ناصر بال ملك آشور (المتحف البريطانى) ٢٤٣
- ش ٨٤ — فارس آشورى مسلح بالقوس ٢٤٥
- ش ٨٥ — خريطة تبين امبراطوريات خلفاء اسكندر ٢٦٦
- ش ٨٦ — الامبراطورة المصرية فى عنفوانها ٢٩٩



(ش ٨٦) الامبراطورية المصرية في عنفوانها

الجيش في مصر العربية
للمؤلف تحت الطبع



